شرح العقيدة الحطاوية

للأستاذ العلامة
أبي الفداء سعيد فودة حفظه الله تعالى

الحمد لله رب العـــالمين، قـــال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي-بمصر- رحمه الله:

هذا([1]) ذكر([2]) بيان([3])

عقيدة([4])

أهل السنة والجماعة([5])

على مذهب([6])

فقهاء أهل الملة([7]) أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكـــوفي، وأبي يوسف يعقـــوب بن إبـــراهيم الأنصـــــــاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشـــيباني رضـــوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول([8]) الدين،

ويـدينون به ربَّ([9]) العـالمين معتقـدين بتوفيق الله:

إن الله([10]) واحد لا شريك ([11]) له.

ولا شيء يعجزه([12])

ولا إله غيره([13])

قديم ([14])بلا ابتداء.

دائم ([15])بلا انتهاء.

لا يفنى ولا يبيد([16])

ولا يكون([17]) إلا ما يريد.

لا تبلغه الأوهام([18])

ولا تدركه([19]) الأفهام([20])

ولا يشبه الأنام([21])

حي لا يموت، قيوم([22]) لا ينام

خالق بلا حاجة([23])،

رازق بلا مؤنة([24])، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة([25])

ما زال بصفاته قديما قبل خلقه([26])

لم يزدد بكونهم([27]) شيئا لم يكن قبلهم من صفته.

وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا([28])

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري([29])

له معنى الربوبية ولا مربوب([30])،

ومعنى الخالق ولا مخلوق([31])

وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم([32])

ذلك بأنه على كل شيء قدير([33])، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير.

لا يحتاج إلى شيء([34])

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)([35])

خلق الخلق بعلمه([36])،

وقـدر لهم أقـدارا، وضـرب لهم آجـالا، ولم يخف عليه شـــــــــيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

أمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجــري بتقــديره ومشــيئته، ومشــيئته تنفــذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شـاء لهم، فما شـاء كـان وما لم يشأ لم يكن.

يهـدي من يشـاء، ويعصم ويعـافي فضـلا، ويضل من يشاء ويخـذل ويبتلي عـدلا، وكلهم متقلبـون في مشيئته، بين فضله وعدله.

وهو متعال عن الأضـداد([37]) والأنـداد([38])، لا رادَّ لقضـائه ولا معقب لحكمه ولا غـالب لأمـره، آمنا بذلك كله وأيقنَّا أن كلا من عنده.

وأن محمــدا عبــده المصــطفى ونبيه المجتــبى ورسوله المرتضى([39])

وأنه خاتم الأنبياء([40])، وإمام الأتقياء.

وسيد المرسلين([41])، وحبيب رب العالمين.

وكل دعــوى النبــوة بعــده فغي وهــوى([42])وهو المبعـوث إلى عامة الجن وكافة الــورى، بــالحق والهدى، وبالنور والضياء.

وإن القرآن كلام الله([43])،

منه بدا([44])

بلا كيفية([45]) قولا([46])،

وأنزله على رسوله وحيا([47])

وصـدقه المؤمنـون على ذلك حقـا، وأيقنـوا أنه كلام الله تعـالى بالحقيقـة، ليس بمخلـوق ككلام البرية([48])

فمن سـمعه فــزعم أنه كلام البشر فقد كفــر، وقد ذمه الله وعابه وأوعــده بســقر، حيث قــال

تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعد الله بسقر لمن قـال (إن هـذا إلا قـول البشـر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر([49])

ومن وصف الله بمعـــنى من معـــاني البشر فقد كفر([50])

فمن أبصر هـذا اعتـبر، وعن مثل قـول الكفـار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.([51])

والرؤية([52]) حق لأهل الجنة([53])

بغير إحاطة ولا كيفية([54])

كما نطق به كتاب ربنـا(وجـوه يومئذ ناضـرة[22] إلى ربها نـــاظرة[23]) وتفســـيره([55]) على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحــديث الصــحيح عن الرســول صــلى الله عليه وســـلم فهو كما قـــال، ومعنـــاه على ما أراد، لا نـــدخل في ذلك متـــأولين بآرائنا ولا متـــوهمين بأهوائنـا، فإنه ما سـلم في دينه إلا من سـلّم لله عز وجل ولرســوله صــلى الله عليه وســلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه([56])

ولا تثبت قدم الإسـلام إلا على ظهر التسـليم والاستسـلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمــه، ولم يقنع بالتســـــليم فهمـــــه، حجبه مرامه عن خـــالص التوحيـــد، وصـــافي المعرفـــة، وصـــحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكـذيب، والإقـرار والإنكـار، موسوسا تائهـا، شاكا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم([57])، أو تأولها بفهم([58])، إذ كـان تأويل الرؤية وتأويل كل معـنى يضـاف إلى الربوبية بـــترك التأويل ولـــزوم التســـليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتـوق النفي والتشـبيه، زلّ ولم يصب التنزيـــــه، فـــــإن ربنا جل وعلا

موصـوف بصـفات الوحدانيـة، منعـوت بنعـوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية([59])

وتعالى([60]) الله عن الحدود والغايات([61])

والأركان والأعضاء والأدوات([62])

لا تحويه الجهات([63]) الست ([64])

كسائر المبتدعات([65])

والمعراج حق([66])، وقد أُسري([67]) بالنبي صـلى الله عليه وسـلم بشخصه([68]) في اليقظة إلى السـماء([69])، ثم إلى حيث شـاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شـاء، وأوحى إليه ما أوحى(ما كذب الفؤاد ما رأى) فصلى الله عليه وسـلم في الآخرة والأولى([70])

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق([71])

والشفاعة([72]) التي ادخرها لهم

حق([73])، كما روي في الأخبار([74]).

والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق([75]).

وقد علم الله تعـالى فيما لم يـزل عـدد من يدخل الجنة، وعدد من يـدخل النـار جملة واحـدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه.

وكـذلك أفعـالهم فيما علم منهم أن يفعلـوه، وكل ميسر لما خلق له([76])،

والأعمـال بـالخواتيم([77])، والسـعيد من سـعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله([78]).

وأصل القـدر سر الله تعـالى في خلقـه، لم يطلع على ذلك ملك مقـرب ولا نـبي مرسـل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة للخـذلان، وسـلم للحرمان ودرجة الطغيان، فالحـذر كل الحـذر من

ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القـدر عن أنامـه، ونهـاهم عن مرامـه، كما قـال تعـالى في كتابه ﴿لا يُسْـأَلُ عَمَّا يَفْعَـلُ وَهُمْ يُسْـــأَلون﴾. فمن ســـأل لم فعل فقد ردَّ حكم الكتاب ومن ردَّ حكم الكتـاب كـان من الكـافرين[79].

فهـذا جملة ما يحتــاج إليه من هو منــور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسـخين في العلم، لأن العلم علمان، علم في الخلق موجـود، وعلم في الخلق مفقـود.فإنكـار العلم الموجـود كفــر، وادعــاء العلم المفقــود كفــر، ولا يثبت الإيمـان إلا بقبـول العلم الموجـود وتـرك طلب العلم المفقود.

ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم[80]، فلو اجتمع الخلق كلهم على شـيء لم يكتبه الله تعـالى فيه ليجعلـوه كائنا لم يقـدروا عليـه، جف القلم بما هو كــائن إلى يــوم القيامــة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصـــيبه، وما أصـــابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد ســبق في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقـديرا محكما مبرمـا، ليس فيه نــاقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغــير. ولا نـــاقص ولا زائد من خلقه في ســـماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمـان وأصـول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبربوبيته، كما قال تعالى في كتابه(وخلق كل شيء فقدره تقــديرا) [الفرقان:2]، وقال تعـالى(وكـان أمر الله قـدرا مقدورا)[الأحزاب:38].

فويل لمن صار لله تعالى في القـدر خصـيما، وأحضر للنظر فيه قلبا ســـــقيما، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب ســرا كتيمــا، وعــاد بما قال فيه أفاكا أثيما.

والعرش([81])

والكرسي([82]) حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما([83])، إيمانا وتصديقا وتسليما.

ونؤمن بالنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين غير مكذبين([84]).

ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله تعالى، ولا نجادل في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين.

ولا نقول بخلق القرآن ولا نخالف جماعة المسلمين.

ولا نقول لا يضر مع الإسلام ذنب لمن عمله([85]).

ونرجو للمحسنين من المؤمنين، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم وسبيل الحق عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة([86]).

ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه([87]).

والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان([88]) وأن جميع ما أنزل الله في القرآن

وجميع ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق.

والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى.

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن([89]).

والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى.

ونحن مؤمنون بذلك كله، ولا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين([90])، وهم في مشيئة الله وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما قال الله تعالى في كتابه العزيزإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء([91]) وإن شاء عذبهم بقدر جنايتهم بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثه إلى جنته، وذلك بأن الله مولى أهل المعرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هديته ولم ينالوا من ولايته([92]).

اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله مَسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة([93])، ونصلي على من مات منهم، ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم من ذلك شيء، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.

ولا نـرى السـيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف([94]).

ولا نرى الخـروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا([95]) ولا ندعو على أحد منهم، ولا نـنزع يـدا من طاعتهم ونـرى طـاعتهم من طاعة فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة([96]).

ونتبع السـنة والجماعة ونجتنب الشـذوذ والخلاف والفرقـة، ونحب أهل العـدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة.

ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه([97]).

ونـرى المسح على الخفين في السـفر والحضر، كما جاء في الأثر([98]).

والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين بـرهم وفـاجرهم لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما([99]).

ونـؤمن بـالكرام الكـاتبين وأن الله قد جعلهم حافظين([100]).

ونـؤمن بملك المـوت الموكل بقبض أرواح العالمين([101]).

وبعذاب القبر لمن كان له أهلا وبسـؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جـاءت به الأخبـار عن رسـول الله وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين([102]).

والقـبر روضة من ريـاض الجنة أو حفـرة من حفر النار([103]).

ونؤمن بالبعث وبجزاء الأعمـال يـوم القيامـة، والعـرض والحسـاب وقـراءة الكتـاب والثـواب والعقاب والصراط([104]).

والميزان يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشرِّ والطاعة والمعصية([105]).

والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان ولا يبيدان.

وإن الله خلق الجنة والنار وخلق لهما أهلا، فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلا منه. وكل يعمل لما قد فرغ منه وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد.

والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال الله تعالى(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).

وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد([106]).

ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم([107])، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله) نقول لا حيلة لأحد ولا حركة ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا(تقدس عن كل سوء وحَيْن([108])، وتنزه عن كل عيب وشين)(لا يسأل عماً يفعل وهم يسألون)([109]).

وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات([110]).

والله تعــالى يســتجيب الــدعوات، ويقضي الحاجات([111])، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غـــنى عن الله تعـــالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصـار من أهل الحَيْنِ([112]).

والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى.

ونحب أصــحاب رســول الله صــلى الله علي وسـلم، ولا نفـرط في حب أحد منهم، ولا نتـبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخــير يذكرهم، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله صـلى الله عليه وســـلم أولا لأبي بكر الصــــديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمـة، ثم لعمر بن الخطــاب رضي الله عنــه، ثم لعثمــان بن عفــان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

وأن العشرة الذين سماهم رســول الله صــلى الله عليه وســـلم وبشـــرهم بالجنة نشـــهد لهم بالجنة على ما شـهد لهم رسـول الله صـلى الله عليه وســلم، وقوله الحق وهم: أبو بكــر، وعمر وعثمــان وعلي وطلحة والزبــير وســعد، وسـعيد وعبد الــرحمن بن عــوف، وأبو عبيـدة بن الجـراح وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

ومَنْ أَحْسَــنَ القــولَ في أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسي من كل رجس، فقد برئ من النفاق.

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يُذْكَرُونَ إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

ولا نفضل أحـــدا من الأوليـــاء على أحد من الأنبياء عليهم السـلام، ونقـول نـبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم.

ونؤمن بأشراط السـاعة من خـروج الـدجال ([113]) ونــزول عيسى ابن مــريم عليه الســلام من الســماء، ونــؤمن بطلــوع الشــمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها([114]).

ولا نصدق كاهنا ولا عرافا([115])، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ونــــرى الجماعة حقا وصـــوابا والفُرقة زيغا وعــذابا، ودين الله في الأرض والســماء واحــد، وهو دين الإسلام، قال الله تاعلى(إن الــدين عند الله الإسلام) وقال تعالى(ورضـيت لكم الإســلام دينــا) وهو بين الغلو والتقصــير، وبين التشــبيه والتعطيـــل، وبين الجـــبر والقـــدر، وبين الأمن واليــأس، فهــذا ديننا واعتقادنا ظــاهرا وباطنــا، ونحن بـــرءاء إلى الله من كل من خـــالف الـــذي ذكرناه وبيناه.

ونســأل الله تعــالى أن يثبتنا على الإيمــان، ويختم لنا بــه، ويعصــمنا من الأهــواء المختلفــة، والآراء المتفرقـــــة، والمـــــذاهب الردية مثل المشـبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغــيرهم من الــذين خــالفوا الســنة والجماعــة، وحــالفوا الضـلالة، ونحن منهم بـرءاء وهم عنـدنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق.

([1]) يشير رحمه الله تعـالى بقوله هـذا إلى ما وقر في قلبه من اعتقــاد راســخ، فكل ما ســيذكره على القرطاس فهو حاضر في قلبه وعقله، فالإشارة إنما تكون إلى ذلك. ولذلك قال بعض العلمـاء المحققين إن الإشـارة قد تكون إلى موجـود في الخـارج، أو موجـود في الـذهن. فالــذي أشــار إليه الإمــام الطحــاوي موجــود في عقله ونفسه. هذا ويجوز أن يكون الإمام الطحاوي قد كتب هذه المقدمة بعد كتابته وتقريــره جملة العقائد المســطورة، فلذلك أشار إليها بقوله هذا، وهذا الاحتمال وإن كان جائزا عقلا إلا إنه ليس موافقا لما كان عليه الإمام الطحاوي من عظيم المكانة، وكبير العلم، ومن كان كذلك فإنما يناســبه القول بأن العقائد حاضرة في نفسه كما قلناه قبلا.

([2]) الـذكر قد يكـون لسـانيا وقد يكـون قلبيا ونفسيا. والإشارة قد تكـون إلى ما هو موجـود خارجا وقد تكـون إلى ما هو موجـود في النفس. والـذكر إذا قصد به اللسـاني فـالأرجح أن تكـون الإشـارة خارجيـة، ويجـوز أن تكــون قلبية بتنزيل ما هو في القلب في الخــارج، وعلى هذا فالإشارة الخارجية إلى ما هو في النفس تكون مجازا باعتبار وجوده في الخـارج. وإن كـانت الإشـارة إلى ما هو في النفس فالمراد بالذكر النفسي.

وعلى كل الأحـوال فالمسـتفاد من ذلك كله وجـوب أن يكـون المـذكور مشـارا إليـه، والإشـارة كما هو معلـوم لا تتعلق إلا بما هو معلوم موكّد ويقيني، فـالواجب أن تكـون هذه العقائد معلومة ويقينية إذن.

([3]) قوله "بيان" يعـني تفصـيل، لأن البيـان لا يكـون مجملا، والمجمل هنا بمعـنى الكلام الـذي لا يعـرف مدلولــه، أو الكلام الــذي لا يكفي لبنــاء العمل من نفي وإثبات عليه، فهو يحتاج إلى غيره لبيانه. فما يذكره الإمام الطحاوي هنا هو بيان بمعنى أنه يكفي المـرء إذا اعتقـده، فما نفــاه فهو منفي، وما أثبته فهو مثبت. ولا يجــوز أن يقول قائل إن ما أطلق الإمام الطحاوي نفيه فربما يكــون ثابتا من وجـه، أي إن ما ينفيه الطحـاوي بـإطلاق لا يجـوز نفيه بــإطلاق، بل يجب فيه التفصــيل وبيــان المعــاني

المحتملة فيــه، فما كــان منه مقبــولا فقبل وما كــان منها منفيا فينفى. هذا القـول وهـذه الطريقة لا يجـوز أن تقـال هنـــا، لأن هـــذا ينـــافي البيـــان أي التفصـــيل الـــذي يصف الطحـاوي فيه عقيدتـه. وهـذا الكلام يشـكل اعتراضا عليه من القائئ به، لا شرحا لكتابه. فافهم.

([4]) العقيــدة هي ما يعتقد لذاتــه، والعقد هو الربط، فالنفس تكون مربوطة بهـذه العقائد ربطا أكيـدا لا انفكــاك له ولا انحلال. وهــذا الربط يكــون منظــورا إلى حصوله لذاته لا من حيث كونه شرطا للعمل فقط. بل ولو لم يكن العمل واجبا، فإن العقيدة مطلوبــة. فالعقيـدة هي الأساس.

قـال العلامة العضد في المواقف مع الشــرح للشــريف الجرجـــاني(1/38):"(والمـــراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقـاد دون العمـل)فـإن الأحكـام المـأخوذة من الشـرع قسـمان، أحـدهما: ما يقصد به نفس الاعتقــاد كقولنا الله تعـالى عـالم قـادر سـميع بصـير، وهـذه تسـمى اعتقادية وأصلية وعقائد، وقد دوِّن علم الكلام لحفظهـا. والثـاني ما يقصد به العمل كقولنا الوتر واجب والزكـاة فريضة وهـذه تســـمى عملية وفرعية وأحكاما ظاهريـــة، وقد دون علم الفقه لها."اهـ

ففي هــذه الفقــرة يوضح السـيد الشــريف غاية علم الكلام ومفهـــوم العقائـــد. وقد نص على ذلك غـــيره من المحققين.

وقد يفهم بعض النــــاس من ذلك أن العقائد لا ينبـــني عليها العمـل، وهـذا الفهم باطـل، بل إن العمل لا يصح إلا عليهـا، ولكن المفهـوم مما قلنـاه هو أن العقائد مقصـودة لـذاتها وإن لم يـرِد المعتقد أن يعمل الواجبـات الشـرعية، فعـــدم فعله لـــذلك لا يعفيه من لـــزوم اعتقـــاد للعقائد الإيمانيـــة. فهـــذا هو المقصـــود من قـــولهم أن العقائد مقصودة لذاتها.

([5]) أهل معناها أصـحاب. والسـنة هي ما ورد عن الرسـول عليه الصـلاة والسـلام من أقـوال وأفعـال وتقريرات ويتضمن ذلك ما ورد عنه عليه الصلاة والسـلام

من عقائد، أصلية وفرعية. والجماعة هم أصحاب الرسـول عليه السلام الذين ماتوا ولم يخالفوا ما عليه النـبي صـلى الله عليه وسلم.

فالمقصــود بأهل الســنة والجماعة هم الــذين نصــروا السنة واتبعوا الجماعة، فيما مرَّ. ولهذا سموا بأهل الســنة والجماعة.

والذي عليه العلماء أن أهل السـنة ليسـوا مجسـمة ولا مشــبهة، ولا يــدخل مجسم ولا مشــبه في أهل الســنة. ولذلك فإن كثـيرا من الحنابلة لا يـدخلون في أهل السـنة، وكذلك الكرامية فهم قطعا ليسـوا من أهل السـنة، بل إن بعض فرق الحنابلة أولى بالخروج من أهل السنة من فرق الكرامية. واعلم أن الحنابلة أيضا افترقوا إلى فرق عديدة في ذات الله تعالى، فمنهم المنزهون مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمــام ابن عقيل والإمــام ابن الجــوزي وكثــير من المتأخرين، ومنهم مجسمة كأمثال القاضي أبي يعلى وابن قدامة المقدسي وابن الزاغــــــوني وابن تيمية وابن قيم الجوزيــة، ويمكن أن يُــدرَج معهم ابن كثــير والــذهبي مع أنهما ليسا من الحنابلة في الفقه، وتجد كلامهم غير صريح في التجســيم ولكن الخبــير يعــرف مــرادهم، وإنما لم يصــرحوا بــذلك لعــدم تمكنهم في هــذا البــاب، وأيضا لاختلاطهم بكبار علماء السادة الأشاعرة أهل السنة.

وأما المالكية فقليل منهم مجســم، وكــذلك الأحنــاف ولكن يوجد في هؤلاء معتزلة، وأما الشــافعية فيوجد فيهم معتزلة ومجسمة، ولكن نسبتهم قليلة محصورة، وغــالبهم من أهل السنة الأشاعرة، ولله الحمد.

وقد يسألى بعض الناس فيقولون: ومـتى بـدأت طائفة أهل الســنة في الظهــور، والتحقيق في الجــواب أن أهل السنة موجودون منذ كان الرسـول عليه السـلام موجـودا، بل إنهم موجودون منذ ظهور الإسـلام، لأنهم هم القـائلون بالعقائد الصــحيحة، والفهم التــام للــدين. هــذا من حيث الحقيقة وأما التسمية فككل التسميات فإنها ظهـرت بهـذا الوضح متأخرة، في زمان التابعين. والله تعالى أعلم.

([6]) المذهب اسم مكـان في الأصل من ذهَبَ يـذهَبُ ذهابا ومـذهبا، ثم اسـتعير للطريقة الطريقة الـتي تحتوي على الأدلة والأساليب في تقرير المفاهيم. فالإمام أبو حنيفة له طريقة خاصة في تقرير وتـــــدعيم العقائد والفقه وفي بيانها لعامة النـاس. فالإمـام الطحـاوي ينص هنا على أنه يسير في توضـيح العقائد على الطريقة الـتي اتبعها الإمام أبو حنيفة وصاحباه اللذان سماهما.

واعلم أن الإمام أبا حنيفة له طريقة خاصة، لا يسـتلزم أن له عقائد مختلفة كليا عن غـيره من أئمة أهل السـنة، بل يعني أنه ربما يخالفهم في بعض الأسـاليب وربما بعض الأحكام، كما سوف نوضحه في موضعه أثنـاء تعليقنا على هذا المتن الجليل.

أما المســائل الأصــول فلا يوجد خلاف فيها بين أبي حنيفة وبين غـيره من أئمة السـنة، ولله تعـالى الحمـد. فتوجد طـرق أخـرى لتوضـيح العقائد عند أهل السـنة غـير طريقة الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنـه، وذلك مثل طريقة الإمام أبي الحسن الأشعري، والحارث المحاسبي، وعبدالله بن أبي كلاب، وغيرهم كثير، وهؤلاء بحمد الله لم يختلفوا في أصول، بل كان جل اختلافاتهم في بعض فروع العقائد.

([7]) الملة هنا بمعـنى الـدين. فهـولاء الفقهـاء الذين سماهم الإمام الطحاوي من أعظم فقهاء الدين. ولا يعـني ذلك أنه لا يوجد غـيرهم فقيـه، بل هـؤلاء هم الـذين اتبع الطحاوي طريقتهم في ذلك.

([8]) الأصـول جمع أصـل، وهو ما يبـنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره. وأصول الدين اعتـاد العلمـاء أن يطلقـوا هـذا الاسم على العقائـد، سـواءا ما كـان منها ثابتا على سـبيل القطع أم على سـبيل الظن، أقصد ما لم يحتمل الخلاف فيه وما احتملـــه. وعلى هـــذا الاصـــطلاح مشى الإمـــام أبو جعفر الطحـــاوي، فإنه يقصد بمســائل الأصول المسائل العقائدية، كما تراها أيها القارئ في هـذا المتن. وأنت تعلم أن من هـــذه المســائل ما جـــرى فيه الخلاف بين أهل السنة، كما سنعلمك في محله.

فالطحاوي يقصد بالأصـول الدينية ما كـان منها مطلوبا الاعتقاد به لذاته، كما سردناه لـك، وهو مصـطلح العقائـد، ولم يفرق بين ما كان منه يحتمل الخلاف وما لم يحتملــه. ولم يفــرق كــذلك بين ما كفر مخالفه وما لم يكفــر، فلم يجعل التكفير قيدا لمسائل الأصـول، وعـدم التكفـير قيـدا لمسائل الفـروع، بل اعتـبر الفـروع هي المسـائل العملية مطلقا، والأصول هي المسائل العقائدية.

فأصول الدين إذن عند الإمام الطحاوي تــرادف العقائد والفروع ترادف العمليات.

ولكن يشـكل على إدراجه مسـألة المسح على الخفين وغيرها في هذا المتن ولا خلاف في أن هذه المســائل من مســائل الفــروع. فــالجواب:إنه لاحظ في إدراجه هــذه المسـائل في هـذا المتن جـانب وجـوب الاعتقـاد بجـواز المسـح، لا جـواز العمل بالمسـح. ومعلـوم أن الأول يكفر من يخالفـه، باعتبـار أن الـدليل القطعي قـائم عليـه، وأما الجانب الثاني فلا يكفر من لا يعمل به، لكونه من الفــروع مطلقا. وبذلك يجاب على غيرها من المسائل.والله تعـالى أعلم.

ويمكن أن يقال إن مصطلح الأصـول يـدخل فيه كل ما كــان مقطوعا بــه، لا يحتمل الخلاف، أو أن الخلاف فيه لا يلتفت إليه لابتنائه على مجرد شبهة، وأما الفروع فبخلافه. وعلى هذا فإدخال الطحـاوي مسـألة الخف جـائز ومطـرد مع هذا الاصطلاح. فتأمل.

ويمكن أن تقول إن مصـطلح الأصـول إذا أطلق يـدخل فيه أصول العقائـد، وأصـول الفقـه، أي المسـائل الأصـول من الفقه. وعلى هذا فإذا قيل "أصول الدين" فباعتبـار أن الدين شامل للعقائد والفقه، فإنه يدخل فيه الأصـليات من العلمين.وبالتالي فيجوز إدراجهما في فن واحد.

([9]) الـرب: معنـاه في اللغة كما نقله الإمـام الطـبري في تفسـيره (1/47):"وأما تأويل قوله رب فـإن الــرب في كلام العــرب متصــرف على معــان، فالســيد المطاع فيهم يدعى ربا، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة

وأهلكن يوما ربَّ كنـــــــدة وابنه   ورب معد بين خبت وعرعر

يعني رب كندة سيد كندة، ومنه قول نابغة بني ذبيان

تخب إلى النعمان حـتى تناله   فـدى   لك من رب تليدي وطارفي

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا، ومنه قول الفرزدق بن غالب

كـانوا كسـالئة حمقـاء إذ حقنت سـلاءها في أديم غـير مربوب

يعـني بـذلك في أديم غـير مصـلح. ومن ذلك قيـل: إن فلانا يــرب صــنيعته عند فلان إذا كــان يحــاول إصــلاحها وإدامتها.

ثم قال: والمالك للشيء يدعى ربه.

وقد يتصرف أيضا في وجوه غير ذلك غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة."اهـ

إذن، يتحصل من ذلك أن المعــاني الثلاثة لكلمة الــرب في اللغة هي السـيد المطـاع، والمصـلح للشـيء،والمالك للشـــيء. وهي الثلاثة الـــتي ذكرها الإمـــام الطـــبري في تفسيره.

وبناء على نفس المعاني قال الإمـام العلامة البيضـاوي في تفسيره مع حاشـية الشـيخ زادة(1/32)أيضـا:" الـرب في الأصل مصـدر بمعـنى التربيـة، وهي تبليغ الشـيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وُصِفَ به للمبالغة، كالصوم والعــدل. وقيل هو نعت من رَبَّه يَرَبُّـه فهو ربٌّ، كقــــول نمَّ ينُمُّ فهو نَمٌّ. ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه."اهـ

وقال الشيخ زاده في حاشيته(1/32): "قـال الجـوهري رب فلان ولـــده يربُّه ربا ورببه تربيبا بمعـــنى ربـــاه تربية المربـوب والمـربي. والمصـدر وإن كـان معـنى حقه أن لا يطلق على الـــذات إلا أنه أطلق ههنا على الـــذات بقصد

المبالغة في اتصافه به، مثل رجل صوم ورجل عدل أي صائم وعادل."اهـ

ولو تأملنا في هذه المعاني الثلاثة المذكورة أعلاه لرأينا أنها ترجع إلى أصل واحد، وهو نسبة التصرف المطلق الذي لا يقيده قيد إلى الله تعالى وحده في تدبير شؤون العالمين.وأنت تعلم أن هذا المعنى لا يجوز نسبته إلى غير الله تعالى.

والمشركون لم يكونوا ينسبون إلى الله تعالى وحده هذا المعنى، بل كانوا يشركون معه غيره. والدليل على ذلك ما قاله تعالى في سورة الزمر [ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (3)]، ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن المشركين قد عبدوا غيره، ونسبوا إلى غير الله فعلا من الأفعال، وهو التقريب إلى الله. فهذان أمران اثنان لا يجوز نسبتهما إلا إلى الله تعالى. والمشركون قد نسبوهما إلى غير الله تعالى.فكانوا بذلك من المشركين. فإن حاصل معنى الآية:إن المشركين يقرون أنهم عبدوا غير الله تعالى، ولكنهم يدعون أنهم ما فعلوا ذلك إلا ليقربهم هؤلاء إليه تعالى. فانظر تعقيب الله تعالى على قولهم:فإنه سبحانه وتعالى قد كذبهم في دعواهم، وحكم عليهم بالكفر لفعلهم.

وقال العلامة الحلبي في سيرته(1/10) أثناء كلامه عن عمرو بن لحيّ أنه:"أول من أدخل الشرك في التلبية فإنه كان يلبى بتلبية إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام وهي لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك، وهذا لا بأس به. فقال ذلك عمرو، فتبعته العرب على ذلك. أي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم

ويجعلون ملكها بيـده . قـال تعـالى توبيخا لهم (وما يـؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)."اهـ

في سـورة آل عمـران، قـال الله تعـالى [قل يا أهل الكتاب تعـالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (64)]

قال أبو الليث السمرقندي في تفسيره المسـمى ببحر العلـــوم(1/275):"[ولا يتخذ بعضـــنا بعضا أربابا من دون الله] لأنهم عبدوا عيسى ربا من دون اللـه، ويقـال لا يطيع بعضـــنا بعضا في المعصـــية كما قـــال:"اتخـــذوا أحبـــارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" أي أطاعوهم في المعصـــية، ويقـال لا يتخذ بعضـنا بعضا أربابا كما قـالت النصـارى إن الله ثالث ثلاثة."اهـ

وفي سـورة آل عمـران [ما كـان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون اللـه، ولكن كونـوا ربـانيين بما كنتم تعلمـون الكتـاب وبما كنتم تدرسـون(79)ولا يـأمرَكم أن تتخـذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (80)]

قال السـمرقندي(1/180) ربـانيين أي متعبـدين،وأربابا يعـني عيسى وعزيـرا والملائكة صـلوات الله عليهم، ولو أمركم بذلك لكفر، وتنزع النبوة منه.

وفي سـورة التوبة [قـاتلوا الـذين لا يؤمنـون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسـوله ولا يـدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حـتى يعطـوا الجزية عن يد وهم صاغرون (29) وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بـأفواههم يضـاهئون قـول الـذين كفـروا من قبل قـاتلهم الله أنى يؤفكـون (30)اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مـريم وما أمـروا إلا ليعبـدوا إلها واحـدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (31)]

وروى الإمام الترمذي حـدثنا الحسـين بن يزيد الكـوفي حـــدثنا عبد الســـلام بن حـــرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عـدي بن حـاتم قـال أتيت النـبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هـذا الـوثن وسـمعته يقـرأ في سـورة براءة { اتخذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله } قال أما إنهم لم يكونـوا يعبـدونهم ولكنهم كـانوا إذا أحلـوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه قال أبو عيسى هــذا حــديث غــريب لا نعرفه إلا من حــديث عبد الســلام بن حــرب وغطيف بن أعين ليس بمعــروف في الحديث

وروى الطـــــبراني حـــــدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو غسـان مالك بن إسـماعيل وابن الأصـبهاني ح وحـدثنا أبو حصين القاضي ثنا يحيى الحماني قالوا ثنا عبد السـلام بن حـرب أنا غطيف بن أعين من أهل الجزيـرة عن مصـعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال أتيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم وفي عنقي صـليب من ذهب فقـال يا عـدي اطـرح هـذا الـوثن من عنقك فطرحته فـانتهيت إليه وهو يقـرأ سـورة بـراءة فقـرأ هـذه الآية { اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله } حـتى فـرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقـال أليس يحرمـون ما أحل الله فتحرمونه ويحلــون ما حــرم الله فتســتحلونه قلت بلى قــال فتلك عبادتهم

ورواه الإمام الـبيهقي في سـننه الكـبرى فقـال: حـدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو غسان مالك بن إسـماعيل وابن الأصبهاني ح وحدثنا أبو حصين القاضي ثنا يحـيى الحمـاني قالوا ثنا عبد السلام بن حرب أنا غطيف بن أعين من أهل الجزيرة عن مصعب بن سـعد عن عـدي بن حـاتم قـال أتيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم وفي عنقي صـليب من ذهب فقــال يا عــدي اطــرح هــذا الــوثن من عنقك فطرحته فانتهيت إليه وهو يقـرأ سـورة بـراءة فقـرأ هـذه الآية { اتخــذوا أحبــارهم ورهبــانهم أربابا من دون الله }

حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلــون ما حــرم الله فتســتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم.

وروى الإمام البيهقي أيضا في سننه الكبرى قال: حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو غسان مالك بن إسـماعيل وابن الأصبهاني ح وحدثنا أبو حصين القاضي ثنا يحـيى الحمـاني قالوا ثنا عبد السلام بن حرب أنا غطيف بن أعين من أهل الجزيرة عن مصعب بن سـعد عن عـدي بن حـاتم قـال أتيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم وفي عنقي صـليب من ذهب فقــال يا عــدي اطــرح هــذا الــوثن من عنقك فطرحته فانتهيت إليه وهو يقـرأ سـورة بـراءة فقـرأ هـذه الآية { اتخــذوا أحبــارهم ورهبــانهم أربابا من دون الله } حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلــون ما حــرم الله فتســتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم.

فتوحيد الربوبية إذن أعم من أن يكون مجرد الدعاء، أو مجرد أن يعتقد الواحد بأن الله خالق لهذا العــالم، ولو من دون الاعتقــاد بأنه مــدبره حقيقة على الــدوام، أي إن من اعتقد أن الله هو الـذي خلق العـالم، ثم اعتقد مع ذلك أن غير الله تعالى له تصـرف في تـدبير شـؤون الكـون، فـإن هـذا ليس محققا لتوحيد الربوبية على الإطلاق. وإلا لكـان كثير من المشركين موحدين للربوبية. وهذا باطل مطلقـا، لما مضى من الأدلة الدالة على أن الربوبية أعم من مجرد ذلك التصور.

ويتحصل من هذا أيضا غلط ابن بـاز الهائل في تعليقاته على العقيـــدة الطحاوية عنـــدما قـــال في أقســـام التوحيـــــد:"القسم الأول: توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه، وهو الإيمـان بأنه الخـالق الـرازق المـدبر لأمور خلقه المتصـرف في شـئونهم في الـدنيا والآخـرة لا شـــريك له في ذلــك، كما قــال تعــالى(الله خــالق كل شيء)،وقال سـبحانه(إن ربكم الله الـذي خلق السـموات والأرض في ســتة أيــام ثم اســتوى على العــرش يــدبر

الأمر)الآية. وهذا النوع قد أقر به المشركون عبـاد الأوثـان وإن جحد أكـــثرهم البعث الونشـــور، ولم يــــدخلهم في الإسـلام لشــركهم بالله في العبادةوعبــادتهم الأصــنام والأوثـان معهه سـبحانه، وعـدم إيمـانهم بالرسـول محمد صلى الله عليه وسلم."اهـ

فقوله بأن المشركين قد حققوا هذا النوع من التوحيد، باطل لا شك فيه كما رأينا بالأدلة الســـابقة، فهم كـــانوا مشركين في توحيد الربوبيـة، ولـذلك كـانوا مشـركين في توحيد الإلهية أي العبــادة على حد تعبـــيره، لأن هــــذين النوعين راجعين إلى أمر واحد على ما هو التحقيــق، وكما ســترى. فيســتحيل أن يكــون واحد موحــدا توحيد ربوبية ومشــركا في العبــادة. وما هـــذا إلا وهما توهمه هـــؤلاء الوهابيون ثم صدقوا به.

فائدة في معـنى كلمة الإلـه، وأنه لا فـرق بين الألوهية والربوبية:

قال الله تعالى في سـورة الأعـراف:[وإذ أخذ ربك من بــني آدم من ظهــورهم ذريتهم وأشــهدهم على أنفســهم ألست بربكم قـالوا بلى شـهدنا أن تقولـوا يـوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (172)]

وقال تعالى في سورة الأنعام:[وإذ قـال إبـراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مــبين (74) وكــذلك نــري إبــراهيم ملكـوت السـماوات والأرض وليكون من الموقنين (75) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قــال هـــذا ربي فلما أفل قــال لا أحب الآفلين (76) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القـوم الضـالين (77) فلما رأى الشـمس بازغة قال هذا ربي هـذا أكـبر فلما أفلت قـال يا قـوم إني بــريء مما تشــركون (78) إني وجهت وجهي للــذي فطر الســـماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشـــركين (79) وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخـاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شــيء علما أفلا تتـــذكرون (80) وكيف أخـــاف ما أشـــركتم ولا

تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم يـنزل به عليكم سـلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون (81)]

وقـال تعـالى في سـورة الأنبيـاء يحكي قصة سـيدنا إبراهيم مع قومه:[ولقد آتينا إبـراهيم رشـده من قبل وكنا به عالمين (51) إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل الـتي أنتم لها عاكفون (52) قالوا وجدنا آباءنا لها عابـدين (53) قـال لقد كنتم أنتم وآبـاؤكم في ضـلال مـبين (54) قـالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين (55) قـال بل ربكم رب السـماوات والأرض الـذي فطـرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين (56)]

وقال تعالى في سورة الشـعراء:[فأتيا فرعـون فقـولا إنا رسول رب العالمين (16) أن أرسل معنا بني إسـرائيل (17) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (18) وفعلت فَعلَتك التي فعلت وأنت من الكـافرين (19) قـال فعلتها إذا وأنا من الضـالين (20) ففـررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (21) وتلك نعمة تمنها علي أن عبَّدتَّ بـني إسـرائيل (22) قـال فرعـون وما رب العـالمين (23) قـال رب السـماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقـنين (24) قـال لمن حوله ألا تسـتمعون (25) قـال ربكم ورب آبـائكم الأولين (26) قـال إن رسـولكم الـذي أرسل إليكم لمجنـون (27) قـال رب المشـرق والمغـرب وما بينهما إن كنتم تعقلـون (28) قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (29)]

ثم قال تعـالى في آخر القصـة:[فـألقى موسى عصـاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (45) فألقي السحرة ساجدين (46) قالوا آمنا برب العالمين (47) رب موسى وهـارون (48) قـال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبـيركم الـذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيـديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين (49)]

وقال تعالى في سورة القصص:[وقـال فرعـون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على

الطين فاجعل لي صــرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (38)]

وقـال تعـالى في سـورة النازعـات:[هل أتـاك حـديث موسى (15) إذ نـاداه ربه بـالوادي المقـدس طـوى (16) اذهب إلى فرعـــــون إنه طغى (17) فقل هل لك إلى أن تـزكى (18) وأهـديك إلى ربك فتخشى (19) فـأراه الآية الكـبرى (20) فكـذب وعصى (21) ثم أدبر يسـعى (22) فحشر فنـادى (23) فقـال أنا ربكم الأعلى (24) فأخــذه الله نكـال الآخـرة والأولى (25) إن في ذلك لعـبرة لمن يخشى (26)]

وقال تعالى في سـورة الأنعـام:[قل إنـني هـداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبـراهيم حنيفا وما كـان من المشـركين (161) قل إن صـلاتي ونسـكي ومحيـاي ومممـاتي لله رب العــالمين (162) لا شــريك له وبــذلك أمـرت وأنا أول المسـلمين (163) قل أغـير الله أبغي ربا وهو رب كل شـيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تـزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مـرجعكم فينـبئكم بما كنتم فيه تختلفون (164)]

وقال تعالى في سورة الأعراف:[وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهـورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسـهم ألست بربكم قالوا بلى شـهدنا أن تقولـوا يـوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (172)].

قـال العلامة القضـاعي ص89:"فـأول ما خـاطب الله الأرواح قال:ألست بربكم، واكتغى منهم بالإقرار بوحدانيته في الربوبية، وأول ما تسأل الموتى في قبورها من ربك، واكتفى منهم بالإقرار بأنه ربهم."اهـ

وأيضا فـإن حـديث سـؤال الملكين في القـبر مشـهور فإنهما يقولان للميت:من ربك؟ ولا يقولان من إلهك؟ فـإذا أجابهما :الله ربي. اكتفيا منه في التوحيد بهذا الجواب ولم يقولا له هذا توحيد الربوبية وهو لا ينجيك.

واعلم أن نفس اللوازم التي تترتب على صفة الربوبية تـترتب على صـفة الألوهية أيضـا، وذلك لأنهما متلازمتـان، قـال الله تعـالى في سـورة المؤمنـون:[ما اتخذ الله من ولد وما كـان معه من إله إذا لـذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصـفون (91)] فـرتب على تعـدد الآلهة العلو والاختلاف، والاسـتقلال في التـدبير والسلطان. وكذلك قال الله تعالى في سورة الأنبيــاء:[لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسـبحان الله رب العـرش عما يصـفون (22)]، فــرتب الله تعـالى وقــوع الاختلاف وفساد الكون على مجرد وجود أكثر من إلـه، وهـذا يعـني أن الإله هو المدبر، وقد بينا فيما سبق أن الرب هو المدبر أيضـا، فـإذن يتحصل أن من اعتقد بوجـود آلهة غـير اللـه، فإنه يعتقد بوجود أرباب غير الله تعالى فيستحيل أن يكون موحدا توحيد ربوبية كما يزعم بعض الجهلة.

هـذه بعض الأدلة الـتي تـدل على عـدم الانفكـاك بين الربوبية والألوهية، واسـتحالة أن يـؤمن واحد بـأن الله هو الـــرب وحـــده ومع ذلك يعبد غـــيره، كما زعمت طائفة الوهابية في هـــذا الزمـــان، وكما مر قسم من كلام أحد زعمـائهم وهو ابن بـاز مفـتي المملكة العربية السـعودية، وقال أيضا في تعليقاته على متن الطحاوية:"القسم الثاني توحيد العبادة، ويسمى توحيد الألوهية وهي العبـادة، وهـذا القسم هو الـذي أنكـره المشـركون فيما ذكـره الله عنهم ســبحانه بقوله (وعجبــوا أن جــاءهم منــذر منهم وقـــال الكافرون هذا ساحر كذاب.أجعل الآلهة إلها واحدا إن هــذا لشىء عجاب) وأمثالها كثير. وهذا القسم يتضمن إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بأنه المستحق لهـا، وأن عبـادة ما سواه باطلة، وهذا هو معنى لا إله إلا اللـه، فـإن معناها لا معبود حق إلا الله كما قال الله عز وجل:(ذلك بــأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل).اهـ

كذا قال، والحقيقة أن ما ذكره من آيات هي تـدل على خلاف ما يريد إثباته، فإن الله تعالى نسب إلى الكفار أنهم يعتقدون بمجموعة من الآلهة، لا بإله واحـد، فهم يجمعـون

الآلهة، ولا يوحدونها، ولا يتأتى منهم الجمع إلا بعد إيمـــانهم بالتماثـل، وكـذلك فـإنهم أطلقـوا على كل واحد من هـذه المعبودات أنه إله، وهـذا يعـني أن له نفس خصـائص الإله الآخر، وهذا هو عين الكفر والشرك في الربوبيــة. وأما الآية الأخرى التي استشـهد بها فهي أيضا عليه لا لـه، فـإن الله تعالى يحكم على ما يـدعوه هـؤلاء المشـركون بـالبطلان، والبطلان هنا يعــني أنه غــير موجــود، أو أن الحكم الــذي ينســبونه إليه باطــل، أي القــول بأنه إلــه، وهـــذا النفي يستلزم أنهم كانوا يثبتون أنه إله، وقد مرَّ بيان معنى الإله. وليس المـراد بطلان عبـادتهم فقـط، بل إن بطلانها سـببه بطلان إلهية ما يدعونه.

وبهذا يتبين لك أيها القارئ أن جميع ما يستدل به هؤلاء معكـــــــــوس عليهم وهو حجة عليهم لا لهم، وأن الأدلة القاطعة قد قامت على بطلان تفريقهم بين الأمــرين، وأن قولهم بأن المشركين كانوا موحــدين توحيد ربوبية إنما هو قول باطل، لا أساس له في الدين.

فائدة أخرى في توحيد الأسماء والصفات:

أما النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي يقول به طائفة الوهابية فهو ما يسمى عندهم بتوحيد الأســماء والصــفات، وهو عندهم كما وضحه ابن باز أيضـا:"الإيمـان بكل ما ورد في كتـاب الله العزيز وفي الســنة الصــحيحة عن رســول الله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصـفاته وإثباتها لله سبحانه على الوجه الـذي يليق به من غــير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيـل..الخ".اهــ. وحاصل هـذا النـــوع من التوحيد عنـــدهم، هو إثبـــات بعض الصـــفات والأســماء الــواردة إضـافتها إلى الله تعـالى بنفس معانيها اللغوية الحقيقية إلى الله تعــالى، وهــذا هو عين التشــبيه والتمثيل وإن كانوا يفرون منه في اللفظ. فهم قــائلون به معــنى، وســوف نــبرهن على صــحة قولنا هــذا في أثنــاء شـــرحنا وتعليقنا على كلام الإمـــام الطحـــاوي رحمه الله تعالى.

([10])   كلمة الله تــدل على الــواجب الوجــود، المنفرد بالكمال، المحتاج إليه كل ما عداه، المستغني عن كل ما ســواه. وهي لا تطلق إلا على الله الواحــد. وقولنا الله لا شريك له تـدل حقيقتها على نفي كل ما سـوى الله تعـالى من الآلهة المـدعاة، والأربـاب المفـتراة. ولا نحتـاج بناء على المعـنى المـذكور لكلمة الله إلى أي تقـدير لكي يتم المعنى المراد.

([11])   الواحد إنما يكـون شـريكا لمن يكـون له مضارعا، وأما من لا شبيه له، فيلزم أن لا يكون له شريك قطعا، لأن الشراكة تستلزم انقسـام الملك وعـدم التمكن من التصرف فيه إلا بـإذن الآخـر، وهـذا باطل لا يجـوز في حق الله تعالى، لما ثبت من كونه هو الملك لا ملك سواه. ولما ثبت من عـدم إمكـان وجـود مالك غـيره، لأن المالك يجب أن يكـون مسـتقلا في ملكـه، والمسـتقل في ملكه يجب كونه مستقلا في وجوده، ولا مستقل في الوجــود إلا الله عز شأنه، فكيف يكون له شريك؟

([12])   العجز في اللغة كما ذكـره الـدكتور فضل عباس في كتابه المفيد إعجاز القرآن الكـريم ص16 تـدل على مؤخر الشـيء، وعلى التقصـير عن بلـوغ المـراد.اهــ فيصـير معـنى كلام المصـنف أن الله لا يمنعه عن تحقيق مــراده شــيء مطلقــا. وتنبه إلى أن المــانع للواحد عن تحقيق مراده لا بد أن يكون ممانعا لـه، أي لا بد أن يكـون له إرادة مســتقلة عن إرادة الممنــوع، وكـــذلك لا بد أن يكون للمانع قدرة مستقلة عن قدرة الممنوع، فبغير ذلك، يسـتحيل أن يحصل الإعجـاز. ولا يتحقق هـذا الوصف أي قولنا"ولا شيء يعجزه إلا في الله تعالى.

([13])   من التوضيحات السابقة لمعنى كلمة الإله يصبح معنى هذه العبـارة مفهوما وبينـا. فالله تعـالى لا إله غيره بالفعل.

([14])   القديم مشتق من القِدَمِ، والمراد بالقـدم في اصــطلاح علمــاء هــذا الفن، هو عــدم الأوليــة. وليس المراد به هو الوجود منذ أزمان لا بداية لهـا. وقد ورد هـذا الوصف في حق الله تعـالى وصـفاته فقد قـال الإمـام أبو

داود رحمه الله تعالى حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال أقط قلت نعم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم. وهذا الحديث جميع رواته ثقات. فهو لا ينزل عن مرتبة الحسن مطلقا. وتأمل كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم السلطان الذي هو صفة لله تعالى بكونه قديما. فيجوز إذن أن يوصف الله تعالى بكونه قديما، لأن وصف وصفه وصف له جل شأنه.

وقد روى الحاكم حديثا فيه اسم القديم أيضا فقال في مستدركه: حدثناه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بهمدان ثنا الأمير أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي بهمدان ثنا أبو أسد عبد الله بن محمد البلخي ثنا خالد بن مخلد القطواني حدثناه محمد بن صالح بن هانئ وأبو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أحمد بن سفيان النسائي ثنا خالد بن مخلد ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة الله الرحمن الرحيم الآله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباريء المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الودود الغفور الشكور المجيد المبديء المعيد النور الأول الآخر الظاهر الباطن الغفار الوهاب القادر الأحد الصمد الكافي الباقي الوكيل المجيد المغيث الدائم المتعال ذو الجلال والاكرام المولى النصير الحق المبين الباعث المجيب المحيي المميت الجميل الصادق الحفيظ الكبير القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق

العلام العلي العظيم الغني المليك المقتدر الأكرم الرؤوف المدبر المالك القدير الهادي الشاكر الرفيع الشهيد الواحد ذو الطـــول ذو المعـــارج ذو الفضل الخلاق الكفيل الجليل الكريم هذا حديث محفوظ من حـديث أيـوب وهشـام عن محمد بن ســـيرين عن أبي هريـــرة مختصـــرا دون ذكر الأســـامي الزائـــدة فيها كلها في القـــرآن وعبد العزيز بن الحصـــين بن الترجمـــان ثقة وإن لم يخرجـــاه وإنما جعلته شاهدا للحديث الأول.اهـ

وروى ابن ماجه أيضا قـال: حـدثنا هشـام بن عمـار ثنا عبد الملك بن محمد الصـــنعاني ثنا أبو المنـــذر زهـــير بن محمد التميمي ثنا موسى بن عقبة حـــدثني عبد الـــرحمن الأعـرج عن أبي هريـرة أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسـما مائة إلا واحـدا إنه وتر يحب الـــــــــوتر من حفظها دخل الجنة وهي الله الواحد الصمد الأول الآخر الظاهر البـاطن الخـالق البـارئ المصـــور الملك الحق الســـلام المـــؤمن المهيمن العزيز الجبـار المتكـبر الـرحمن الـرحيم اللطيف الخبـير السـميع البصير العليم العظيم البـار المتعـال الجليل الجميل الحي القيوم القادر القاهر العلي الحكيم القريب المجيب الغـني الوهـــاب الـــودود الشـــكور الماجد الواجد الـــوالي الراشد العفو الغفـور الحليم الكـريم التـواب الـرب المجيد الـولي الشـهيد المـبين البرهـان الـرءوف الـرحيم المبـدي المعيد الباعث الوارث القوي الشديد الضار النافع الباقي الـواقي الخـافض الرافع القـابض الباسط المعز المـذل المقسط الـرزاق ذو القـوة المـتين القـائم الـدائم الحافظ الوكيل الفاطر السـامع المعطي المحـيي المميت المـانع الجـامع الهـادي الكـافي الأبد العـالم الصـادق النـور المنـير التـام القديم الوتر الأحد الصـمد الـذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال زهير فبلغنا من غـير واحد من أهل العلم أن أولها يفتح بقـــول لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك له له الملك وله الحمد بيده الخـير وهو على كل شـيء قـدير لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى.اهـ

ومن هذا تعرف فساد ما قاله ابن باز في تعليقاته على عبارة الطحاوي هذه:"هـذا اللفظ لم يـرد في أسـماء الله الحسـنى كما نبه عليه الشـارح رحمه الله وغـيره، وإنما ذكـره كثـير من علمـاء الكلام ليثبتـوا به وجـوده قبل كل شيء، وأسـماء الله توقيفية لا يجـوز إثبـات شـيء منها إلا بـالنص من الكتـاب العزيز أو السـنة الصـحيحة، ولا يجـوز إثبات شـيء منها بـالرأي كما نص على ذلك أئمة السـلف الصـالح. ولفظ القـديم لا يـدل على المعـنى الـذي أراده أصـحاب الكلام لأنه يقصد به في اللغة العربية المتقـدم على غـيره وإن كـان مسـبوقا بالعـدم كما في قوله سـبحانه(حـتى عـاد كـالعرجون القـديم) وإنما يـدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف وهي قوله قديم بلا ابتداء، ولكن لا ينبغي عده في أسماء الله الحسنى لعد ثبوته من جهة النقل، ويغني عنه اسمه سـبحانه الأول كما قـال عز وجل (هو الأول والآخـر)الآيـة. والله ولي التوفيق.اهـ

وهذا الكلام كما ترى فيه مغالطات: الأولى:جزمه بعدم ورود القـديم في النقـل، وهو وارد كما ذكرنـاه.الثانيـة:ادعـاؤه أن علمـاء الكلام هم فقط من استعمل هـذا اللفـظ، وهو باطل لأن كثـيرا من المحـدثين اسـتعمله أيضـا، بل اسـتعمله أيضا شـيخ المجسـمة على الإطلاق ابن تيمية الـذي يعتقـدون فيه العصـمة أو يكاد.الثالثة: أنه قال إن اسم القـديم يطلق على ما سـبق غيره وإن كان مسبوقا بالعدم، إلا إنه ادعى أن هـذا اللفظ لا يـدل على المعـنى الصـحيح في حق الله تعـالى إلا بالزيادة التي أشار إليها، مع أن أصل المعـنى الـذي ذكـره كاف في الدلالة على المراد. على أنا لا نسـلم أنه لا يـدل على إلا بالزيادة، لأنه صار مشـهورا عند أصـحاب الفن أي علم التوحيد في الدلالة على عـدم الأوليـة، لا مجـرد السـبق، كما ذكـر.الرابعـة: ادعـاؤه أن من اسـتعمله فإنه جعله اسـما من أسـماء الله تعـالى الحسـنى، وهـذا زعم باطـل، فقد نصـوا على أنهم لا يريـدون بـذلك أكـثر من

الوصف وذلك كما بينه الإمـام العلامة الغـزالي في شـرح أسماء الله الحسنى.

وهو لم يُـرِد من هـذا كله إلا معارضة المتكلمين ولو بالباطل، وإلا فلِم لم يعترض على الطحاوي في استعماله اسم الدائم، مع أنه يرد عليه على مذهبه عين ما يرد على اسم القديم؟! ولكن ليس هو إلا التعصب!

فيتـبين لنا أن نفيه لهـذا الاسـتعمال فيه مغالطـات وأخطـاء عديـدة، وقد قلد ابن بـاز في ذلك ابنَ أبي العز الحنفي في شرحه وهـذا تلقى هـذه الأغاليط عن شـيخهم الأكبر ابن تيمية. فتنبه.

ولم يـذكر السـقاف في شـرحه في هـذا الموضع ما يشفي الغليل، بل اكتفى بإيراد كلام للإمام الـبيهقي يـذكر في أن الأمة أجمعت على جـواز إطلاق لفظ القـديم على الله تعالى. ولم يبين الأصل الـذي قـام عليه هـذا الإجمـاع عندهم.

([15]) اسم الدائم ورد في بعض الروايات وسبق ذكرهـا، وإن كـان فيها كلام، ولكن قد ثبت عند المحققين أن استعمال لفظ في حق الله تعـالى ليس أمـرا عقائـديا خالصا، بل هو أمر عملي، يكفي فيه دليل يعتمد في مجال الظن، خصوصا إذا عضده معناه، أي إذا لم يكن في معناه إشـارة إلى نقص، بل كـان دالا على الكمـال، فإنه يجـوز استعماله في حق الله تعالى. واسـتعماله إن لم يكن على سبيل التسمية فإنه يكون على سبيل الوصـف، وعلى هـذا ينبغي أن يكـون جـائزا، وهو ما اختـاره حجة الإسـلام الغزالي، وإن لم يرد هـذا التفصـيل عن الإمـام الأشـعري، فهذا لا يضر.

والمقصـود بالـدوام هنا ليس الـدوام بزمـان، بل بلا زمان، لأن الزمـان هو التغـير، والتغـير مسـتحيل على الله تعالى، وكذلك القِدَمُ فليس المـراد به القـدم الزمـاني بل المـراد به هو نفي الأوليـة، فهو معـنى سـلبي أي يسـلب وينفي عن الله تعالى ما لا يليق به، وأما القول بأن معـنى القدم هو أن الله تعالى كـان موجـودا منذ زمـان أزلي فلا يقول به عاقل، وقد قال بهذا تصريحا ابن تيمية المجسـم،

واتبعته طائفته من المجسـمة الـذين لا عـون ما يقولـون. وأهل السنة على خلاف ذلك الضـلال، بل على خلافه أيضا سائر فرق الإسلام إلا المجسمة.

ولهذا المعنى تـرى الإمـام أبا جعفر الطحـاوي قد وضح الدوام بقوله بلا انتهاء، لأن الدوام الـذي يكـون بالزمـان لا بد أن تنتهي فيه آنات زمانية متوالية، وأما دوام الله تعالى فلا انتهاء فيـه. وكـذلك قـال في القـدم أنه بلا ابتـداء، لأن القـدم الزمـاني لا بد أن تبتـدئ فيه آنـات زمانية متواليـة، وأما قدم الله تعالى فلا ابتداء فيه مطلقا.

وهذا المعنى لم ينبه إليه أحد من شراح الطحاويــة، بل اكتفـوا بسـياق المعـاني المشـهورة على ألسـنة العلمـاء. حــتى من ادعى أنه ســوف يجــدد في هــذا العلم أقصد السقاف فإنه لم يتبادر هـذا المعـنى إلى ذهنه قـط. لا في الدوام ولا في القِدَم؟! علما أنه عاب على المتأخرين أنهم لا يعملــون عقــولهم في تأليفــاتهم العقائدية بل يكتفــون بـإيراد كلام مما قاله الشـراح قبلهم مقلـدين لهم، والـذي رأيته أن السقاف وقع في شر مما اعترضه على هؤلاء.

([16]) إذا ثبت أن الله تعالى قديم بالمعنى الذي وضحناه، وأنه دائم كـذلك، فإنه يلـزم من ذلك أنه لا يفـنى ولا يبيـد، فهـذا الحكم لازم لزوما ضـروريا على ما سـبق. وذلك لأن القدم الزماني-على التسـليم بوجـوده وهو غـير موجـود- علامة الإمكان، وكذلك الدوام الزمــاني، والممكن لا بد أن يكـون فيه إمكانية الفنـاء، فـالممكن لا يقـال فيه مطلقا أنه لا يبيد، بل إنه يفـنى ويبيـد، ولكنه إذا بقي فإنما يبقى بإبقاء غيره له.

([17]) يكون هنا بمعنى يوجد، لأنها "كان" التامة الـتي معناها الوجـود والحصـول، فـإذا قلنا "كـان زيــد"، فمعناه "وُجِدَ زيـدٌ"، فقوله لا يكـون إلا ما يريـد، معنـاه "لا يوجد إلا ما يريد"، وهذا نص صريح في أن الإرادة يجب أن تتعلق تعلقا تنجيزيا بكل ما هو موجــود، ولا يكفي إمكــان التعلــق، كما يزعمه المعتزلــة، وكما يُفْهَم من كلام بعض المجسمة. وهذا المعنى الذي يقـرره الإمـام الطحـاوي هو عين ما يقـرره الأشـاعرة أهل السـنة من أنه لا يمكن أن

يوجد موجــود إلا بــإرادة الله تعــالى، فــإرادة الله تعــالى متعلقة بــالأمور تعلقا صــلوحيا قــديما وتنجيزيا حادثــا. ولا يجوز أن يقال إن معنى أن الله مريد لكل شيء أنه يسمح به، أي أنه لو أراد عدم وجوده لما وجد، لأنه يـؤول إلى أن إرادته تعـالى سـلبية، بمعـنى أن بعض ما لم يـرده الله قد يوجد بإرادة غيره، وهو قـول المعتزلـة، وهو قـول باطـل، ومخـالف لقـول الطحـاوي كما تـراه، لأن الطحـاوي حصر الكون في الإرادة. ومعنى هذا أن كل موجود مراد لله، فلا يوجد شــيء بغــير إرادة الله تعــالى، كما يقوله المعتزلة بوجود أمور بإرادة العبد لا بإرادة الله تعالى.

وهذه النكتة لم يتنبه إليها أحد من شـراح الطحـاوي، لا المجســمة ولا أهل الســنة من الأشــاعرة ولا من ادعى التجديد منهم؟!

وهذا المعـنى الـذي وضـحناه هنا هو مـراد السـلف في قولهم ما شاء الله كان وما شاء لم يكن، أو ما لم يشأ لم يكن. فإنه تعــالى إذا لم يشأ كونه فإنه يكــون قد شــاء عدمه.

فتحصَّــل من هــذا التحقيق وجــود الموافقة التامة بين كلام الأشاعرة وكلام السلف وكلام الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى. والله الموفق.

تتميم: الإرادة الشرعية والإرادة الكونية

الإرادة في نفس الأمر هي صــــــفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، فما جاز وجوده على أكثر من صورة، فــإن الله ربما يشـاء إيجـاده على صـورة معينة من هـذه الصــور، وحينئذ فــالإرادة هي الــتي تخص الممكن بهــذه الصورة دون تلك، ثم القدرة بعد ذلك توجده على الصورة التي عينتها الإرادة.

هذا هو الأصل في الإرادة، أن تكون تكوينية، وإذا كانت الإرادة تكوينية، فما تتعلق به لا يمكن إلا أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف بمعنى أن لا يقع.

فإذا كان الأمر كـذلك، فهل يمكن أن يقـال بعد ذلك أن بعض ما تتعلق به الإرادة قد لا يقع؟ إذا سـلمنا بما مضـى، فلا يصح أن يقــول ذلك قائــل، ومن يقولــه، فإنه في

الحاصل يقسم الإرادة إلى نـوعين، ومعـنى ذلك أنه يجعل الصفة صفتين، وهذا باطل. ويلزم أن يجعلالصـفة صـفتين لأنه إذا كانت الصـفة واحـدة فـإن تعلقها لا يكـون إلا على صورة واحدة، ولكن قوله إن بعض التعلقـات تقع وبعضـها لا يقـــع، يعـــني أن تعلقاتها ليست على صـــورة واحـــدة، واختلاف التعلقات لا يكون إلاباختلاف المتعلَّقِ، أي اختلاف الصفة نفسها، أي تعددها في ذاتهـا، ومعلـوم أن الصـفات عند أهل السنة واحدة لا تتعدد في الذات، فكما أن الـذات لا تتعـدد فكـذلك الصـفات لا تتعـدد. إذن يكـون قـول هـذا القائل باطلا ولا يستقيم مع قول أهل السنة.

ولكن إذا قال القائل إنني لا أعدد الصفة في ذاتهـا، بل أقـــول أن لفظ الإرادة يطلق على معنـــيين، فيكـــون في الحقيقة صفتان لا صفة واحـدة. أقـول: هـذا الكلام لا يـرد عليه شيء، ولكنه يستلزم إثبات صفة زائـدة على الإرادة، ومعلـوم أن إثبـات الصـفات لا يجـوز أن يقـوم على أمـور محتملـة، بل لا يقـوم إلا على أصـول ثابتـة. وبالتـالي فإننا نســأل هــذا القائــل: هل ثبت لــديك على القطع أن لفظ الإرادة يصــدق على صــفتين اثنــتين لا على صــفة واحــدة فقط. فإن قال نعم فإننا نطالبه بالإتيـان بـإيراد دليل نقلي ثابت في نفسه وثـابت في دلالته على ما يريـد. ولا نسـلم له بما يريد إلا بعد إثبات أن لفظ الإرادة في مـورده الـذي يحضره لا يمكن أن يدل على نفس معـنى الإرادة الأصـلي وهو معنى التخصيص والتكوين الذي لا يحتمل التخلف. أي إنه إذا ثبت من النص أن المعنى المراد بلفظ الإرادة يــدل قطعا على صفة تتعلق بشــيء ويمكن تخلفه ما تتعلق هي بــه، فإننا نســلم له بما يقــول، وهــذا في نفس الــوقت لا يضيرنا لأننا لا نمنع تعـدد الصـفات، بل نقـول بهـا، ولكن لا نثبت صفة على الاستقلال إلا بدليل ثابت لا يتزعزع.

فالحاصل أنه مطــالب بــأمور، الأول: أن ينص على أن الإرادة في ذاتها لا تتكـثر متعلقاتهـا، بمعـنى أن ما يريـده الله لا يمكن أن يتخلــف. الثــاني: أن يكـــون هـــذا النص المــدعى لا يمكن أن يــراد به نفس المعــنى الأصــلي من الإرادة، أي لا يحتمل حمله إلا على معنى ثان. الثـالث: أن

لا يــترتب على إثباته لهــذه الصــفة الثانية المــدعاة أمــور باطلة.

فإذا صح ذلك فيمكن أن يسلم بما يقول، وإلا فإنه يرد.

هــذه كــانت مقدمة كليــة، وتمهيــدا لمناقشة بعض من ادعى أن الإرادة تنقسم إلى قســمين وتتنــوع إلى نــوعين، أحــدهما ســماه بــالإرادة الكونيــة، والثــاني ســماه بــالإرادة الشــرعية. وســوف ننقل لكم نص كلامهم ونباشر بتحليله بعد ذلك، وبيان ما فيه من مفاسد.

قـــال ابن أبي العز التـــابع المطيع لابن تيمية وابن قيم الجوزية في شرحه على الطحاوية ص116:" والمحققــون من أهل السنة يقولون الإرادة في كتاب الله نوعــان،إرادة قدرية كونية خلقيــة، وإرادة دينية أمرية شــرعية، فــالإرادة الشــرعية هي المتضــمنة للمحبة والرضــى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات."اهـ

هــذا هو ما ادعــاه، ولو نظرنا في كلامه لرأينا أنه ينص فيه على ما يلي، أولا: الإرادة من حيث ما هي صــــفة لله لها نوعان ويدعي أن ذلك مذكور في القــرآن. ثانيــا:النــوع الأول إرادة قدرية كونية خلقيــــــــة، أي إرادة هي عينها القدري والكون والخلق، أو بها يتم ذلك. والثاني إرادة هي عينها الأمر والشــرع والــدين، أو بها يتم ذلــك. ثالثــا:الإرادة الشرعية تتضمن المحبة والرضى.

وهذا الكلام فيه مفاسد عديدة.

أولا:قوله إن الإرادة نوعــان، يلــزم على ذلك أن الإرادة مركبة من أمرين، أو إن هذين النوعين اللذان هما صــفتان لله تعالى مركبان، وذلك لأنهما أنواع تحت جنس وما كــان كذلك فهو مركب قطعا.ومعلوم أن التركيب لا يجــوز على الله تعــالى ولا على صــفاته، كما عليه إجمــاع أهل الســنة، إذن هذا الكلام الذي تفوهم به ابن أبي العز مخــالف لكلام أهل السنة.

ثانيا:إذا كان قصــده بالثانية أن الــدين يتم بهــا، فلا وجه للتفريق بينها وبين الأولى، فإن حاصل ذلك أن الدين الذي هو الكلام المــنزل على الأنبيــاء والمشــتمل على الأوامر والنواهي والتشريعات، مكون بالإرادة. فإذن المعــنى راجع

إلى الـذي سـماه بـالنوع الأول من الإرادة وهي التكوينيـة، فلا وجه للتفرقة بينهما. وإذا كـان قصـده أن النـوع الثـاني من الإرادة هو عين الدين فهذا باطل بداهـة. فالـدين ليس هو صـفة قائمة بالله بل هو من لـوازم بعض صـفاته. ولا يوجد احتمال آخر. إذن فكلامه باطل على كل التقادير.

ثالثا:الذي يدل على أنه أراد الـتركيب، أي أنه يريد بـأن الإرادة عبارة عن معنى مركب، أو على الأقل النوع الثاني منها عبـارة عن معـنى مـركب، هو قوله بـأن الإرادة الشـرعية تتضـمن المحبة والرضـة، ومعلـوم أن التضـمن معناه هو اشـتمال الشـيء على غـيره اشـتمال الكل على الجزء، وهـذا هو عين الـتركيب. وإذا أراد بالتضـمن معـنى اللـزوم، فهو زيـادة على كونه اسـتعمالا غلطا للكلمـات خصوصا بعد اسـتقرار المصـطلحات، فإنه يسـتلزم أيضا التركيب للإرادة، أو كون أحد نوعيها مركبـا، لأنه قـال بـأن المحبة لازمة عن المعـنى النـوع الثـاني لها وليست لازمة على المعنى الأول لها، وهذا يستلزم كون النوع الأول غير المعـنى الثـاني، وبما أنهما نوعـان عنـده، فبينهما أمر مشترك، ولاختلاف اللـوازم بينهمـا، فيجب وجـود أمر زائد في أحدهما-على الأقل- على الثـاني، وهـذا يسـتلزم كونه مركبا.

هذه هي بعض المفاسد التي تلزم قوله.

ولكن لا بد أن نوضح هنا، أن هذا الشارح تابع وفي لابن تيمية وسـائر على مذهبـه، ومعلـوم أن ابن تيمية مجسم قائل بتركيب ذات الله تعالى وبتركب صـفاته. ولهـذا فـإن كلام هـذا الرجل موافق لمذهبـه. ولكنه مخـالف لمـذهب أهل السنة، وباطل في نفس الأمر.

إذا كان كلام هذا الرجل وأصحابه مخـالف لأهل السـنة ومخالف للحق، فما هو الأمر الذي دفعه للقول بـه؟! لكي نعـرف ذلك لا بد أن نكمل قراءتنا لكلامه في شـرحه!؟ على الطحاوية، فقد قـال ص116:"وأما الإرادة الشـرعية الأمرية، فكقوله تعـالى(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)البقرة185، وقوله تعالى(يريد ليبين لكم ويهـديكم سـنن الـذين من قبلكم ويتـوب عليكم والله عليم

حكيم)النساء 26، (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما.يريد الله أن يخفف عنكم وخُلِقَ الإنسان ضعيفا)النساء 27،28، وقوله تعالى(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)المائدة 6،وقوله تعالى(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)الأحزاب 33."اهـ كلامه الذي ذكر فيه الآيات التي فهم منها ! ما قال سابقا.

ونحن سوف نناقش استدلاله بالآيات السابقة لنرى هل فعلا تدل على ما يريد هو من إثبات إرادتين أو نوعين من الإرادة؟!

وقبل أن نبين بعض وجوه الرد على مزاعمه ومن تبعه، لا بد أن نقول بأن كلمة الإرادة قد وردت في القرآن الكريم أكثر من مئة وأربعين مرة، والمواضع الوحيدة التي استنبط منها من قال بهذا الرأي الفرق بين هذين النوعين المزعومين من الإرادة هي هذه الآيات السابقة، ومعنى هذا أن أكثر آيات القرآن لا تدل على ما يريدون، بل لا تدل إلا على الإرادة التي من شأنها التخصيص وهي ما يمكن أن تدعى بالإرادة التكوينية على معنى أنها شرط التكوين، لا أنها هي التي يتم بها التكوين، كما وضحناه سابقا. ومجرد هذا يكفي لمن يدعي التفريق ليعيد النظر في مزاعمه بوجود نوعين من الإرادة!

ونحن بالتالي لكي نبين فساد قوله، فإننا سوف نشير إلى المعنى الصحيح للآيات وأنها لا ينبغي أن تحمل على ما ذكروه من الإرادة التي تحمل معنى الرضى والتي في نفس الوقت صفة من صفات الله تعالى، وغير الإرادة المتفق على إثباتها.

إذا كان كذلك، فاعلم أن الآيات التي أوردوها في معرض التفريق بين النوعين لا يفهم منها ما ادعوه

أولا:قوله تعالى(يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر) المقصود من اليسر والعسر، أي التكاليف التي هي يسيرة، فالتكاليف-أي الأوامر والنواهي- التي كلفنا بها الله تعالى في الشريعة هي يسر، وليست بعسيرة.

فإنشــاء هــذه الأوامر اليســيرة هو ما أرادة الله تعــالى. ومعلـوم أن هـذا الإنشـان من نـوع التكـوين، أي تخصـيص الممكن ببعض ما يجـوز عليـه، ولا يـدل على وجـود صـفة أخــرى اســمها الرضى والمحبــة، خصوصا أنه لا يوجد في الآية إلا التصريح بـالإرادة، والمعلـوم من الإرادة هو النـوع الأول لا الثـــــاني، وما دام قد جـــــاز أن تحمل الآية على المعنى الأول، فلا موجب على افـتراض وجـود معـنى آخر للإرادة.

ولكن الـذي بعث هـؤلاء على ادعـاء وجـود معـنى آخر للإرادة هو عدم فهمهم لمدلول الآية، فإن الله تعالى قــال يريد بكم اليسر، فالمراد هو اليسر، بالمعنى الذي ذكرنــاه وهو ما يــدل عليه ســياق الآيــات، وهــذا اليسر أراده الله ملابسا لنا فالباء لأدنى ملابسة، وهذا حاصل بجعله تشريعا لنا لا لغيرنــا. ومعلــوم أن كل هــذه المعــاني داخلة تحت التكوين والتخصيص. فلا داعي لافتراض وجود صــفة إرادة ونوع إرادة آخر غيره.

ثانيـا: قوله تعـالى(يريد الله ليـبين لكم ويهـديكم سـنن الــذين من قبلكم ويتــوب عليكم والله عليم حكيم)، هــذه الآية تفسر نفسها، ولاحظ الأسلوب الذي أورد الله تعــالى الآية بــه، فقد قــال تعــالى(يريد ليــبين لكم) فــالمفعول محـذوف، وتقـديره يريد إنشـاء التشريع أو التشـريع عينه ليبين لكم، فالتشريع للبيـان، وهـذا حاصل بالفعل بـالإرادة التكوينية. ولا يوجد مبرر لافـتراض نـوع إرادة آخـر، اسـمه إرادة تشريعية. فاللام في قوله ليبين للعاقبة.

ثالثــا:قوله تعــالى(والله يريد أن يتــوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)، الأصل في كلمة تــاب في اللغــة: رجــع، قــال الفروزآبــادي في القاموس:"تاب إلى الله توبا ومتابا وتابــةً وتَتْوِبَــةً:رجع عن المعصية. وهو تائب وتواب.وتاب الله عليه:وفقه للتوبة، أو رجع به من التشــديد إلى التخفيــف، أو رجع عليه بفضــله وقبوله، وهو تواب عل عباده."اهــ فـأنت تـرى أن المعـنى اللغــوي لتــاب هو رجــع، وتــاب على أي رجع على، فالله يتوب على العبـاد بمعـنى يرجع عليهم بالفضل والتخفيـف.

والله في الآية الكريمة يريد أن يتوب بمعنى يريد أن يرجع بالفضل والتخفيف على عبـاده، وهـذا الأمر حاصل بالفعل لا يتخلف عن إرادته تعالى، فلا يجوز أن يقال إن هذا الأمر قد لا يحصـــــل، لأن فضل الله تعـــــالى قد حصل بالفعل بإنزاله الشريعة والأحكام، فهذه هي أصل الفضل.

إذن فهــذه الآية أيضا يفهم معناها بنــاءا على المعــنى الأصـــلي للإرادة. فلا داعي إذن لافـــتراض نـــوع آخر من الإرادة.

وقد يقــول قائـل:إن المـراد بتوبة الله عليهم هو قبوله تــوبتهم وإنعامه عليهم، ومعلــوم أن هــذا لا يكــون لجميع الناس بل لبعضـهم. فـالجواب: أن التوبة الصـحيحة موجبة للقبـول. فمهما حصـلت التوبة من واحد وجب قبـول هـذه التوبــة. فلا تخلف إذن. وأيضا فــإن المخــاطبين هم ليس النــاس مطلقا بل هم المتبعين للشــريعة بــدلل وقــابلتهم بالذيت يتبعون الشـهوات، فالمخـاطبون في الآية هم غـير متبعين للشهوات، وهؤلاء لا بد أن يتوب الله عليهم بمعنى يتفضل عليهم، وهذا لا يتخلف.

فالحاصل إذن أن هـــذه الآية أيضا يمكن فهمها بـــدون الحاجة إلى افـتراض نــوع جديد للإرادة. وأيضا فــإن هــذا الفهم موافق لسياق الآيات، وموافق لمعنى الإرادة الوارد في بقية آيـات القـرآن.فادعـاء نــوع جديد لها فيه مخالفة للقرآن من وجوه عديدة كما ترى.

وكـذلك قوله تعـالى في آخر الآية (يريد الله أن يخفف عنكم) فالتخفيف واقع بالفعل بإنزاله تعالى الشريعة، فلم يتخلف ولا يجوز تخلفه عن إرادة الله.

رابعا: قوله تعالى(ما يريد الله ليجعل عليكم من حـرج، ولكن يريد ليطهـــركم وليتم نعمته عليكم)، معناها أن الله ما يريد إنزال هـذه التشـاريع ليشق عليكم ويجعل الحـرج واقعا عليكم، بل إن إرادته لهـــــذه التشـــــريعات إنما هو ليعقبها تطهيركم إن اتبعتموها.

فـــالمراد بالفعل هو إنـــزال التشـــريع، لا التطهــير، بل التطهـير هو غاية التشـريع، وحصـول الغاية مـترتب على التزام الناس بالأحكام.

إذن لا يوجد تخلف للمراد هنا أيضا ولا يجوز حمل هــذه الإرادة على نوع إرادة يصح تخلفه مهما كان معناها.

خامســـا: قوله تعـــالى إنما يريد الله ليـــذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هذه الآية من جنس الآية الســـابقة، وما قيل في تلك يقـــال هنـــا. ولاحظ أن مفعــول الإرادة ليس هو إذهــاب الــرجس، بل هو بــدليل الآيات السابقة،إنزال الأحكـام الخاصة بأهل الـبيت. فهـذه الأحكـــام تعلقت بها إرادة الله تعـــالى ليعقب تمسك آل البيت لها تطهـير الله تعـالى لهم من الـرجس. ولم تتعلق الإرادة مباشـــرة بتحصـــيل التطهـــير، فلا يصح ما يثوله الشــيعة هنا من عصــمة آل الــبيت إذن، ولا يصح أيضا ما ادعاه أتباع ابن تيمية من كـون الإرادة تكـون نـوعين، وأن الإرادة المقصـودة هنا هي إرادة شـرعية تتضـمن الرضـا، وأن ما تعلقت به الإرادة قد يتخلف ولا يحصــل. فهــذا كله باطل لا أساس له كما ترى.

فــأنت تــرى إذن أن ما تعلق به هــذا المــدعي لا يقــوم على أساس قوي، فلا يجـوز القـول بما يقـول بــه، من أن بعض متعلقات الإرادة قد لا تحصـل. أو أن الإرادة نوعــان. فهذا كله كلام لا دليل عليه.

فلا يبقى بعد هذا العرض السريع لأدلتهم إلا رد قولهم.

ويبقى قــول أهل الســنة خالصا بينا واضــحا، وهو أن ما تعلقت به الإرادة فلا بد أن يحصــل، ويســتحيل أن يقع أمر لا تتعلق به الإرادة، وأنه لا يوجد أنـــــــواع من الإرادة. بل الإرادة عبارة عن صفة غــير مركبــة، كما وضــحناه ســابقا. ولو أردنا بيان فساد أقوالهم بتفصيل لفعلنا، ولكن المقــام لا يتسع هنا ولعلنا نخصص لــذلك مبحثا خاصــا، نـــبين فيه اللــوازم الباطلة الــتي تلـزم عن مثل هـذا القـول غـير ما ذكرناه.

وانظر إلى ما قـــال عبد المنعم مصـــطفى حليمـــة(ابو بصــير) في ما ســماه بــالإرادة الشــرعية لتعــرف بشــاعة قـــــــولهم، وذلك في تلخيصه لكلام ابن أبي العز الحنفي ولكهم يسـتقون من مشـرب واحـد، فقد قـال في حاشـية ص65 تعليقا على قوله "وإرادة دينية أمرية

شرعية" :"هـذا النـوع من الإرادة قضت حكمة الله تعـالى أن تتخلف أحيانا ولكن بإذنه وعلمه وإرادتـــه"اهـــ. فهـــذا القول بشع فكيف يقول بأن إرادة الله تعالى تتخلف أي لا تحـدث أحيانـا، وذلك بإرادته نفسـه. وكيف يتوافق ذلك مع قول أهل السنة قاطبة كما أشرنا لك سـابقا"ما شـاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" أي وما شاء عـدم كونه لم يكن. فقولهم هذا ينص على إرادة الله لا يمكن أن تتخلف، وهذا القائل هنا يدعي أن إرادته يمكن أن تتخلـف؟! وهـذا يثبت لك أن كلامهم مخـالف لكلام أهل السـنة، ومخـالف لكلام الطحـاوي وإن تسـتروا خلف وضع شـروح على عقيدتـه، ولكنهم في الحقيقة مخـالفون له في أصـول وفي فـروع، كما رأيت وكما سترى.

وهذه التحقيقات الـتي سـردناها لك هنـا، لا تجـدها في كتــاب، وما ذلك إلا بفضل الله تعـالى وتوفيقــه،فــاحرص عليها.

([18]) البلـوغ كما قـال العلامة الأصـفهاني في مفـردات القـرآن:"الانتهـاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعـبر به عن المشـــارفة عليه وإن لم ينته إليـــه"اهـــ ، فقـــول العلامة الإمـام الطحـاوي بـأن الأوهـام لا تبلغ اللـهَ تعـالى، معناه إذن إنها لا تنتهي إليه، ولا تشارف ذلـك. والـوهم هو الخيـال، وهو كما عرفه العلامة الشـريف الجرجـاني: "هو قـوة جسـمانية للإنسـان محلها آخر التجويف الأوسط من الـــدماغ، من شـــأنها إدراك المعـــاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشـجاعة زيد وسـخاوته، وهـذه القـوة هي الـتي تحكم بها الشـاة أن الـذئب مهـروب عنه وأن الولد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسـمانية كلها مســـتخدمة إياها اســـتخدام العقل للقـــوى العقلية بأسرها."اهـ

وقال أيضا:"الـوهم هو إدراك المعـنى الجـزئي المتعلق بالمعنى المحسوس. والوهمي المتخيل هي الصـورة الـتي تخترعها المتخيلة باستعمال الوهم إياها، كصورة الناب، أو المخلب في المنية المشـــبهة بالســبع. والوهميـــات هي

قضــايا كاذبة يحكم بها الــوهم في أمــور غــير محسوسة كـالحكم بـأن ما وراء العـالم فضـاء لا يتنـاهى، والقيـاس المركب منها يسمة سفسطة."اهـ

وقـــال العلامة الشـــريف الجرجـــاني أيضا في تعريف الخيال:"الخيال هو قـوة تحفظ ما يدركه الحس المشـترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المـادة بحيث يشـاهدها الحس المشـــترك كلما التفت إليهـــا، فهو خزانة للحس المشترك، ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ."اهـ

فالخيـال إذن هو مسـاعد للـوهم، والـوهم هو الحـاكم بالاستعانة بالحس، وكل منهما لا يمكن أن يتصـرف إلا في الأمــور المحسوســة. وهــذا هو عين المعــنى الــذي أراده الإمام الطحـاوي من نفيه لبلـوغ الـوهم لله تعـالى، أي إن الـوهم لا يمكنه أن يحكم على الله تعـالى، بنسـبته صـورة معينة إليه ولا غير معينة، فإن نفي إدراك الـوهم له تعـالى مطلــق. وهــذا كله مبــني على أن الحــواس لا تــدرك الله تعالى، وهذه قاعدة من قواعد أهل السـنة الـتي يتمـيزون بها عن أهل البدعة من المجســـــمة، ومن وافقهم. فالله تعـالى غـير محسـوس بشـيء من الحـواس الظـاهرة ولا الباطنــة، وأما الرؤية فســوف نوضح لك المــراد منها في محله، ولكن هنا نكتفي بأن نقول إن الرؤية المتعلقة بالله تعـــالى ليس من قبيل الإحســـاس بالله تعـــالى عند أهل السـنة، فهـذا ما يجب أن تـؤمن بـه، ولا يـتردد قلبك في الجـزم بــه. فنفينا لكــون الحــواس متعلقة بالله تعـالى لا يســـتلزم إذن نفي رؤيتنا لله تعـــالى، لأن الرؤية المتعلقة بالله تعـــالى عند أهل الحق ليست من قبيل الحـــــواس. فافهم.

واعلم أن الإمــام الطحــاوي لم ينف تعلق الــوهم بالله تعــالى على ســبيل الخِطابة أو مجــرد الوعــظ، كما يحلو لبعض الجهلة أن يعتقــد. بل إنه أشــار بنفي تعلق الــوهم بالله تعــالى، إلى قاعـــدة عظيمة لم أر من وضح أهميتها الكبـيرة كما سـنفعله هنـا، هـذا مع أن علمـاء أهل السـنة أجمعين قد نصــوا على أن الـــوهم لا يتعلق بالله تعــالى. ولكن شـــراح العقيـــدة الطحاوية مع معـــرفتهم وإدراكهم

لمدى الخلاف الذي حصل حول هـذا المتن في أنه هل هو ماش على قواعد أهل السنة أو على قواعد المجسمة، لم يهتم أحد منهم بـإبراز هـذا الأمر كما ذكرنـاه، بل اكتفـوا بتقرير هذه القاعدة على ما هو المشـهور عند أهل السـنة وشـــرحوا كلام الإمـــام الطحـــاوي هنا شـــرحا إجماليـــا، والإجمال لا يكفي كما تعلم في محل الإشـكال. والحق أن عـدم إشـارتهم إلى هـذه القاعـدة لا يعـود إلا إلى عـدم معـــرفتهم الحقيقية بقواعد المجســـمة، فـــأغلبهم اكتفى بالتشنيع على المجسمة بـذكر بعض المسـائل المشـهورة الـــتي خـــالف فيها هـــؤلاء أهل الســـنة، وذلك من دون أن يحـاولوا تأصـيل وبيـان قواعد هـؤلاء، وتمييزها عن قواعد أهل السنة، ومعلوم أن الواحد إذا بين أن الاختلاف حاصل بين أهل الســنة وبين أتبــاع ابن تيمية المتســترين باتبــاع الســـلف كـــذبا منهم، هو اختلاف واقع في الأصـــول دون الفروع، ثم بين أن الإمـام الطحـاوي قد وافق أهل السـنة من الأشاعرة وغيرهم في هذه الأصول، فإن هذا يكون هو الأســـلوب القـــوي والنـــاجح في دحر خططهم وإفســـاد أقـوالهم وفضح عقائـدهم. وهـذا ما سـنبينه لك في هـذه التعليقات.

ذكر طائفة من أقوال أهل السنة في نفي تعلق الـوهم بالله تعالى

أولا: قال الشـيخ عَـدِيُّ بن مسـافر المتـوفى في سـنة 557هـ، في أوائل عقيدته المســماة "اعتقــاد أهل الســنة والجماعة"

حرام على العقـول أن تمثله وعلى الظنـون أن تحـده، وعلى الضمائر أن تعمّق، وعلى النفـوس أن تفكـر، وعلى الفكر أن يحيـط، وعلى العقـول أن تصـور إلا ما وصف به ذاته في كتابه أو على لسـان نبيه صـلى الله عليه وسـلم، فإن كل ما تمثل في الوهم فهو مقدره قطعا وخالقه."اهـ

فكلامه صـريح في أن الـوهم لا يتعلق بالله تعـالى فلا يمكن للإنسان أن يتوهم ويتصور خالقه.

وقـال أيضا في نفس عقيدته المشـار إليهـاص15:"ولا يتناهى في وجوده على معنى نفي الأوليه، لا جسم مصور

ولا جوهر مقدر، معلوم الوجـود بـالعقول والأفهـام، لكن لا تتصوره الأفكار، ولا تمثله الأوهام."اهـ

ففي هـــذا الكلام أيضا تأكيد صـــريح آخر لنفي تعلق الــوهم بالله تعــالى، مكا مضى بيانــه. والشــيخ عــدي بن مســافر من أكــابر المشــايخ الــذين شــهد لهم القاصي والـداني بـالورع والتقـوى والعلم الكبـير، وكـان من أكـابر المربين.

ثانيا:وقال تاج الإسلام أبو بكر محمد الكلاباذي المتوفى في سنة 380هـ في كتاب التعرف لمذهب أهل التصـوف، وهو من العلمـاء المعتمـدين لـدى جمـاهير المسـلمين لم يقـــدح أحد في إمامته ورعايته لأمـــور دينـــه، وتحققه في العقائد، قال في ص35:

"لا تنازعه الهمم ولا تخالطه الأفكــــار. ليس لذاته ولا لفعله تكليف، وأجمعوا على أنه لا تدركه العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته، ولا تتبدل أسماؤه، لم يـزل كذلك ولا يزال كذلك."اهـ

يقصد بالرؤية بـــالعيون أي أن يـــرى في جهـــة، فهـــذا ممنوع مستحيل لاستحالة كونه تعالى في جهة. وعــبر عن ذلك بعض العلماء باستحالة أن تماقله الأجفان أو العيـون، ويريدون بها نفس المعني من نفي حصول رؤيته في جهة، ولا يريـدون بـذلك نفي أصل الرؤيـة. وقد ادعى ابن تيمية فوق ذلك أن الإجماع وقع على رؤية الله تعـالى في جهـة، فانظر مدى بعد رأيه وفساد قريحته.

وتأمل كيف يصـرح الكلابـاذي هنا بـأن الظنـون لا تهجم عليه، ولا تخالطه الأفكار. فهو نفس ما نريد إثباته.

ثالثــا: وقــال الإمــام أبو القاسم القشــيري في مقدمة رسالته-ممزوج بشرح شيخ الإسلام زكريا الأنصــاري- ص(1/26):-

"(ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركــه) فهو مسـتغن عن عرشه ومتــنزه عن المكــان والزمــان (ولا فهم يقــدره ولا وهم يصوره) فهو متنزه عن الجوهر والعـرض،(تعـالى عن أن يقــــال كيف هو أو أين) هو مــــنزه عن الجســــمية والمكان.")اهـ

وعلق العلامة العروسي في حاشـيته فقـال:")قوله ولا فهم يقـدره) أي لقصـور العقـول الكاملة فضلا عن غيرها عن الإحاطة به تعـالى، ومثل ذلـك(قوله ولا وهم يصـوره) وإيضـاحه أن التصـوير إنما يمكن في حق من له صـورة وكيفيه، والله تعالى منزه عن ذلك."اهـ

رابعا:قال الإمام أبو القاسم القشـيري في رسـالته مع شرح شيخ الإسلام زكرياء(1/45):"(أخبرنا الشـيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال:سـمعت محمد بن محمد بن غـالب قـال:سـمعت أبا نصر أحمد بن سـعيد الاسفَنجاني) بفتح الفـاء وبـالنون(يقـول قـال الحسـين بن منصـور) الحلاج مخاطبا خطـاب العـام(ألـزم الكل الحـدث)أي احكم بلـزوم حـدوث جميع الخلـق(لأن القـدم)ثـابت (لـه) تعـالى خاصة لما مـر(فالـذي بالجسم ظهوره) أي إدراكه(فالعرض يلزمه) لاسـتحالة خلو الجسم والجوهر عن العرض (والذي بالأداة)أي الأسـباب(اجتماعه فقواها يمسكه)أي لو فقدت تفرق، والبـاء في الموضـعين صلة لما بعدها(والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت) أي والـذي يتـألف وقتا يجـوز أن يفـترق وقتـا(والـذي يقيمه غـيره فالضرورة) أي افتقاره إلى غيره)تمسه (والذي الـوهم)أي الـذهن(يظفر بـه)أي يتخيلـه(فالتصـوير يـرتقي إليـه)... الخ"اهـ.

فتأمل رحمك الله في العبـارة الأخـيرة كيف ينفي الحلاج بلوغ الوهم والخيال لله تعالى عن ذلك نفيه صريحا لا تردد فيه.

خامسـا:قـال الشـيخ الإمـام أبو القاسم القشـيري في رسـالته ممزوجة بشـرح شـيخ الإسـلام زكريـاء(1/55):"وأخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي رحمه الله قـال سـمعت عبد الواحد بن بكر يقـول سـمعت هلال بن أحمد يقـول سـئل أبو علي الروذبـاري عن التوحيد فقـال:التوحيد اسـتقامة القلب بإثبـات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه. والتوحيدُ)بالرفع وفي نسخة فالتوحيـد(في كلمة) وهي (كل ما صوره الأوهام والأفكـار فالله سـبحانه

بخلافه لقوله تعــــالى[ليس كمثله شــــيء وهو الســــميع البصير)."اهـ

وهــذه الكلمة الــتي ذكرها الشــيخ هنا مشــهورة على ألسنة العوام، لا يستطيع إنكارها إلا جاهل أو مجسـم، وقد أنكرها ابن تيمية في بعض كتبه كما سيجيء.

سادســـا:قــــال أبو القاسم القشــيري في رســالته (1/57)ممزوجا بشـــــــرح شـــــــيخ الإســــــلام زكريا الأنصــاري:ســمعت محمد بن الحســين الســلمي يقــول سـمعت أبا الحسـين الفارسي يقـول سـمعت إبـراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول:متى يتصل من لا شبيه له ولا نظـير له بمن له شـبيه ونظـير)حـتى يقـال فلان وصل إلى اللـــه، ويـــراد به الوصـــول بـــالحس والقـــرب المعهـودين(هيهـات) أي بعد ذلـك(هـذا ظن عجيب إلا)أي لكن الاتصـــال به إنما هو (بما لطف اللطيـــف) أي بلطفه (من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشـــــارة اليقين وتحقيق الإيمان، أي بالإشارة إلى ذلك يعني بكمال اليقين ومعرفة الله تعالى ودوام الذكر وقلة الغفلة."اهـ

فتأمل رحمك الله تعـالى لطف هـذا الكلام الصـادر من رئيس هذه الطائفة الجنيد الذي لا يمن أن يقدح قـادح في عظم مقامه في التوحيد والإيمان. وأهل السـنة تبع له في هذا الطريق.

سابعا: قال أبو القاسم القشـيري في رسـالته (1/57) ممزوجا بشـــــرح العلامة شـــــيخ الإســـــلام زكريا الأنصاري:"وأخبرنا محمد بن الحسين قال ســمعت أبا بكر الــرازي يقــول ســمعت أبا علي الروذبــاري يقــول :كل ما توهمه متوهم)أي تخيله (بالجهل أنه) تعالى (كذلك فالعقل يــدل على أنه بخلافـــه) إذ المتـــوهم الجاهل إنما يتـــوهم الأجسام."اهـ

وهذا يعني أن الـوهم هو الخيـال كما وضـحناه في أول هــذه التعليقــة، وأن ذلك كله لا يتعلق بالله تعـالى. وهــذه عبارة حقيقة بأن تتخذ قاعدة.

ثامنـا: قـال الأسـتاذ أبو القاسم القشـيري في رسـالته أيضا في عقيدته التي جمعها من أقوال القوم والـتي قـال

في بـــدايتها (1/63):"هـــذه فصـــول تشـــتمل على بيـــان عقائـدهم في مسـائل التوحيد ذكرناها على وجه الـترتيب، قـال شـيوخ هـذه الطريقة على ما يـدل عليه متفرقـات كلامهم ومجموعاتها ومصـــنفاتهما في التوحيـــد: إن الحق سـبحانه وتعـالى موجـود قـديم واحد حكيم قـادر.. حـتى قال... ولا يتصور في الأوهـام ولا يتقـدر في العقـول) لأن ذلك من خــواص الأجســام يحصل لها بواســطة الكميــات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات."اهـ

وهـذا الكلام واضح لا يحتـاج إلى شـرح خاصة بعد كلام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمة الله عليه.

تاســعا: قــال الإمــام الــبيهقي في شــعب الإيمــان (1/112):" وقد ذكر الحليمي رحمه الله تعـالى في إثبـات حدث العالم وما يدل على أن له صانعا ومدبرا، لا شـبه له من خلقــه، فصــولا حســانا، لا يمكن حــذف شــيء منهــا، فتركتها على حالهــا، ونقلت ها هنا من كلام غــيره ما لا بد منه في هذا الباب." ثم قال رحمه الله تعالى

"حقيقة المعرفة أن تعرفه موجودا قـديما. لم يـزل ولا يفـنى أحـدا صـمدا شـيئا واحـدا لا يُتَصَـوَّرُ في الـوهم، ولا يتبعض، ولا يتجزأ...الخ".اهـ

ثم قال في (1/138):

"فـــإن قـــال قائـــل: وما الـــدليل على أنه لا يشـــبه المصنوعات ولا يتصور في الوهم؟

قيـل: لأنه لو أشـبهها لجـاز عليه جميع ما يجـوز على المصنوعات من سمات النقص وأمارات الحـدث، والحاجة إلى محـدث غـيره. وذلك يقتضي نفيـه، فـوجب أنه كما وصف نفسـه)ليس كمثله شـيء وهو السـميع البصـير) ولأنا نجد كل صـنعة فيما بيننا لا تشـبه صـانعها كالكتابة لا تشبه الكاتب والبناء لا يشـبه البـاني، فـدل ما ظهر لنا من ذلك على ما غـــاي عنـــا. وعلمنا أن صـــنعة البـــاري لا تشبهه."اهـ

وروى الحافظ البيهقي في كتابه شـعب الإيمـان أيضا (1/136) قـــال:"أخبرنا أبو عبدالله الحافـــظ، أنبا علي بن محمد المروزي، ثنا محمد بم إبراهيم الرازي، ثنا يحيى بن

معـــاذ قـــال:"جملة التوحيد في كلمة واحـــدة، وهي أن لا تتصور في وهمك شيئا إلى واعتقـدت أن الله عز وجل هو مالكه من جميع الجهات."اهـ

ولو أردنا أن نتتبع كلماتهم في هذا المعـنى لاحتجنا إلى مجلـدات لإيـراد ما قـالوه في ذلـك، ولكن ما أوردنـاه فيه الكفاية للعاقل بتوفيق الله تعالى.

والحاصل من ذلك كله أن القاعـدة الـتي اعتمـدها أهل السـنة هي أن الـوهم لا يبلغ الله تعـالى، بمعـنى أننا لا نسـتطيع أن نتصـور الله تعـالى بخيالنـا، بـأن نفـترض له صورة أو شـكلا معينا أو ليس معينـا، وذلك لأن الله تعـالى ليس له شكل أصلا ولا صورة، فالشكل والصورة لا يثبتـان إلا للأجسام والمركبات والله تعالى ليس كذلك.

([19]) قال الأصفهاني في المفردات:"وأدرك بلغ أقصى الشـيء، وأدرك الصـبيُّ:بلغ غاية الصِّـبا، وذلك حين البلوغ."اهـ

وقـال الفيروزآبـادي في القـاموس:"الـدَّرَكُ محركة اللحـاق... واسـتدرك الشـيء بالشـيء حـاول إدراكه بـه. وأدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى، وفني."اهـ

فـإدراك الشـيء لغة معنـاه اللحـوق به والوصـول إليه والانتهاء إليه.

([20]) الأفهام جمع فهم. قـال الفيروزآبـادي في القاموس:"فهمه كفرح فهْما ويحـرك وهي أفصـح، وفَهامة ويكسر وفَهامية: علمه، وعرفه بالقلب."اهـ

فالفهم هو العلم بالقلب إذن في أصل اللغة.

وحاصل قـول الطحـاوي رحمه الله تعـالى "لا تدركه الأفهام" أي لا تعلمه القلـوب، والعلم لا يحيط بحقيقة الله تعـالى لا ذاته ولا صـفاته، وقد سـبق أن أشـرنا إلى ذلك المعـنى عند كلامنا على الـوهم. فـالعقول لا تسـتطيع أن تلحق به سـبحانه. وهـذه العبـارة هي في الحقيقة قاعـدة أخرى من قواعد أهل السنة، وعلى ذلك مشى المحققون منهم، أي إن ذاته لا يمكن تعقلها والعلم بحقيقتها.

وفي ذلك المعـنى روى الإمـام الـبيهقي في الأسـماء والصفات فقـال ص283:"أخبرنا أبو عبدالله الحافظ نا أبو

العبـاس هو الأصم نا محمد بن إسـحاق أنا عاصم بن علي نا أبي عن عطــاء الســائب عن ســعيد بن جبــير عن ابن عبـاس قـال:تفكـروا في كل شـيء ولا تفكـروا في ذات الله."اهـ

وقال في شعب الإيمان(1/136):"أخبرنا حمزة بن عبد العزيـز، أنبأ أبو الفضل عبـدوس بن الحسـين بن منصـور، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الـرازي، حـدثنا محمد بن حـاتم الـزمّي المـؤدب، أنبأ علي بن ثـابت، عن الـوازع بن نافع، عن سالم عن ابن عمر قال:قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم:تفكـروا في آلاء اللـه-يعـني عظَمَتَـه- ولا تفكروا في الله".اهـ ثم قال البيهقي :هذا إسناد فيه نظر.

والروايــات الدالة على هــذا المعــنى كثـيرة، والآثــار الواردة عن السلف أجل من أن تحصر، وقد سـبق الإتيـان ببعضها. ولا يخالف في هذا المعنى مخالف.

([21]) قـال صـاحب القـاموس:"الشِّـبة بالكسر والتحريك وكأمير:المِثل"اهـ، فالمعنى أن أحدا من الأنام لا يشبهه، قـال البـابرتي في شـرحه على الهقيـدة الطحاوية ص42:"ولا يشــبهه الأنــام، وهو كل ذي روح. وقيل جميع الخلائق، وقيل المـراد بالأنـام البشر وهو الأشـبه، لأنه أراد به نفي قول المشبهة والمجسمة حيث وصفوا البـارئ بأنه جسم على صـورة البشـر، وأيضا أراد نفي قـول النصـارى حيث جعلوا له ولدا وصاحبة تعالى الله عن ذلــك. ولا شك أن الولد يشــابه الأب، فعلى هــذا أفــاد قوله "ولا يشــبهه الأنام" غـير ما أفـاد قوله فيما سـبق "لا شـيء مثلـه" لأن الأول عـام وهـذا خـاص، فيكـون مبالغة في تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به."اهـ

وهذا كلام مفيد.

وقد تواترت كلامـات السـلف والأحـاديث والآيـات على نفي الشبيه عن الله تعالى

- ففي الجامع الصحيح سنن الترمذي قال

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الــرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صـلى الله

عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله { قل هو الله أحد الله الصمد } فالصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث { ولم يكن له كفوا أحد } قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء

- وفي مستدرك الحاكم

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو جعفر محمد بن علي قالا حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا محمد بن سابق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

-وروى هذا الحديث أيضا الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ص32 في جِماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى.

- ورواه أيضا في شعب الإيمان(1/113-114) فقال حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأ أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، وأبو جعفر محمد بن صالح، قالا: ثنا الحسين بن الفضل، ثنا محمد بن سابق، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب "أن المشركين قالوا يا محمد انسُب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل(قل هو الله أحد الله الصمد)، قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد" لأنه شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث. ولم يكن له كفوا أحد لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء."اهـ

- وروى البيهقي أيضا في شعب الإيمان (1/143) قال:"أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق أنبأ أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله (تعلم له سميا)مريم65، هل تعلم له عز وجل مثلا أو شبها."اهـ

-فهذه نصوص صريحة في نفي التشبيه عن الله تعالى، فتعجب بعد ذلك لمن قال بأن ذم المشبهة لم يرد في كتاب ولا سنة.

([22]) قال البابرتي في شرحه ص44:"القيوم هو القائم على كل نفس بما كسبت، وقيل هو الحافظ، وقيل القائم بتدبير أمر الخلق، وقيل القائم بذاته المقيم لغيره. وقوله "لا ينام" نفي للنوم والسنة والسهو والغفلة عنه"اهـ

([23]) الخلق هو الإيجاد بعد العدم. والحاجة هي توقف كمال الواحد على غيره. فالله تعالى هو الغني الحميد، وتعالى الله عن أن يحتاج إلى غيره. وخلقه تعالى المخلوقات ليس حاجته لهم، بل ليعقب خلقه لهم أمره ونهيه على ما سبق في علمه تعالى(وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون) أي إلا لآمرهم بالعبادة. والعبادة كمال للعابد لا للمعبود.

([24]) قال في القاموس:"ومان القوم احتمل مَؤُونتهم أي قُوتَهم، وقد لا يهمز، فالفعل مانه. وما مأَنْتُ مأْنَـهُ لم أكترث له أو لم أشعر به أو ما تهيأت له، ولا أخذت عُدَّته وأهبته، وما طلبته ولا أطلتُ التعب فيه".اهـ

([25]) قوله باعث بلا مشقة فيه إشارة إلى البعث، والحياة الأخرى. ونفي المشقة عن الله تعالى في البعث كما هو في الخلق الأول، لأن المشقة توجد في من تنقص قدرته وطاقته إذا أوجد غيره، فيكون غيره لا يوجد إلا بجزء يستنفذه الموجد، فأنت مثلا عندما تحمل حملا، فإنك لم تكن لتحمله إلا عندما تستنفذ قدرا من الجهد الذي كان مخبوءا فيك، ولذلك فإن المشقة والتعب يحل فيك عند العمل. فيكون صدور الفعل منك مشروطا بفناء

جـزء منك في المفعـول، وهـذا كما تـرى يسـتلزم إثبـات النقص فيك ولك. والله تعالى يفعل لا كفعلـك، ولـذلك فلا تأخـذه المشـقة ولا يلاقي التعب في خلقه بـالمرة.فـافهم هذا المعنى فإنه نفيس.

وكلام الإمـام الطحـاوي فيه إشـارة إلى ذلك كلـه، فهو يقـول رحمه اللـه، إن الله فاعل بلا مشـقة، أي مع أن كل فاعل من المخلوقـات فهو فاعل بالمشـقة والتعب، إلا أن الله تعالى لا يشبه شـيئا من ذلـك، ولا يشـبهه شـيء، فهو فاعل بلا مشقة.

([26]) أي إن الله تعالى قديم بذاته وصفاته، فلم يتصف جل وعز بشـيء حـادث، ولا بصـفة حادثـة، ومعـنى الحــادث هو الموجــود بعد العــدم. فالله قــديم وصــفاته قديمـــــة، واعلم أن لفظ القـــــديم لا يطلق إلا على الأمر الوجودي، فكأن الإمام الطحاوي أشار بكلامه هــذا إلى أن صـــفاته تعـــالى وجودية خلافا للمعتزلة ومن وافقهم في قولهم بأن صفاته تعالى ليست وجودية، وبالأولى أن يكون إشارة إلى الرد على قول الفلاسفة الذين يبالغون في هذا الأمر فينفـــون جميع الصـــفات الوجودية على الإطلاق، ويخالفون حتى المعتزلة.

وانتبه إلى قوله "ما زال بصــفاته قــديما بصــفاته قبل خلقـــه"، فقوله قبل خلقـــه، دليل على أنه يعتقد أن الله تعالى كان ولم يكن شيء معه، وإشارة إلى الرد على من خــالف في ذلك كــابن تيمية الــذي ادعى أن الله لم يــزم ومعه بعض مخلوقاتـه. فلم تتحقق قط الحالة الـتي يقـال فيها إن الله قبل خلقه، فعبارة الإمام الطحـاوي هـذه إذن لا تصح إلا على قول أهل السنة والجماعة الأشـاعرة ومن وافقهم. أما ابن تيمية فإنه ينفيها بلا توقف، ويعتـبر القـول بها بدعة في الـدين ومخالفة لما تقتضـيه دلائل العقـول؟! وكلامه هذا مبني على قوله بقدم العالم النوعي.

([27]) كـونهم أي كـون المخلوقـات، والمقصـود بذلك وجودهم، ووجود المخلوقـات هو صـفة من صـفاتهم هم لا من صفات الخالق جل شـأنه. فـإذا خلقهم جل وعز فإنه لا يسـتفيد من خلقه لهم أي صـفة لـه، بل إن صـفاته

تبقى كما كانت قبل أن يخلقهم، وذلك لأن الله لو اســتفاد بخلقه للمخلوقات أي صفة، لكـانت هـذه الصـفة إما نقصا أو كمالا، ويستحيل أن تكون نقصا، فيبقى أن تكون كمـالا، ولكن إذا كان ما استفاده الله بسبب خلقه لهم كمـالا لـه، للـزم عن ذلك أن كماله مسـتفاد من المخلوقـات، وهـذا باطـل، لأنه قد سـبق بيـان أن الله تعـالى لا يحتـاج إلى المخلوقات، بل هو جل شأنه غني عن غيره، والمخلوقـات غـير الله تعـالى، فالله إذن غـني عنهم، ومعـنى أنه تعـالى غني عن المخلوقات أي إنه لا يحتاج إليهم، ومعنى ذلك أن كماله لا يتوقف على وجـــودهم، بل هو حاصل على جميع كمالاته الواجبة له تعالى بذاته لا بذوات غيره.

هـذه هي عقيـدة أهل السـنة في الله عز وجـل. وهي ثابتة لله تعـالى من حيث هو غـني عن العـالمين، فلا يصح مطلقا القول بـأن الله تعـالى لما كـان موجـودا قبل خلقه لم يكن متصــفا بصــفة معينــة، ثم لما أوجد خلقه اتصف بصـفة جديـدة. فـإن كل من يقـول بمثل ذلـك، فإنه يلزمه القول بافتقار الله تعالى إلى مخلوقاته، ومعلوم أن هـذا لا يقول به عاقل. وأما وجه لزوم الافتقار عند القـول بـذلك، فإن وجود المخلوقات إذا لزم عنه اتصاف الله تعالى بأمر لم يكن قبل وجودهم من صـفته، فـإن وجـود المخلوقـات يصبح شرطا في اتصاف الله تعالى بهذا الأمر، وهـذا الأمر لا بد أن يكون كمـالا كما سـبق بيانـه، فالحاصل أن يكـون المخلوقـات شـرطا في كمـال الله تعـالى إذن. والقـول بشـرطية المخلوقـات للكمـال الـذي يتصف به الله تعـالى معناه احتياج الله إلى مخلوقاته، والقول بذلك محال، وهو كفر.

وقد يتعجب بعض النـاس فيقولـون: وهل يوجد بالفعل من اشترط وجود المخلوق لاتصاف الله تعالى بكمال لـه؟ أي هل يوجد عاقل يقول بذلك؟!

ونقــول لـــه: نعم. إن بعض الفــرق الــتي تنتمي إلى الإســـلام، قد قـــالت بـــذلك. بل وجـــادل بعض أفرادها والمنظـرون لتعاليمها وحـاولوا الاسـتدلال على ذلك وأتـوا بكل ما هو معيب لمحاولة تقـــــريب ذلك إلى الـــــذهن

البشري، ولكن أنى لهم أن يفلحوا في قلب الباطل حقل، وفي إثبـات أن الله تعـالى محتـاج إلى خلقـه، وأن هـذا النقص كمـال لـه، فهل يمكن أن ينقلب النقص في حق الواحد كمالا في حقه؟!

وقد يقول قائل:فمن هم هـؤلاء الـذين قـالوا بمثل هـذا القول الشنيع.

نقول: بعض الناس ممن ينتمـون إلى الـدين الإسـلامي يعتقدون أن الله تعالى له حجم معين ويطلقـون على ذلك اسم القدر المعين، ويريـدون بالقـدر نفس معـنى الحجم. وهؤلاء الذين يقولون بذلك أثبتوا الحدود لله تعالى، وإثبات الحدود لذاته جل شأنه عن هذا الهراء، لازم وضح لقـولهم السابق. ثم قـالوا، بما أن الله تعـالى له حجم معين وقـدر معين، فهو لا يستحيل عليه أن يتحرك من محل إلى آخـر، ولا يسـتحيل عليه أن يتصـرف في ذاته بالحركة والانتقـال كما يتصـرف الواحد من البشر بذاته كـذلك. فجـواز التصرف بهذا المعنى لازم واضح من لوازم مذهبهم القبيح ذلك. وما دام الله عند هؤلاء متحركا بإرادته، فإنه يجوز أن ينتقل من محل إلى آخر.

هذه كانت المقدمات الـتي اعتمد عليها هـؤلاء لقـولهم بجعل المخلوقات شرطا لكمالات الخـالق. فقد قـالوا: لما أراد الله أن يخلق العالم، وكان الله محدودا، والمحدود له جهـات في نفسـه، فله يمين وشـمال وأعلى وأسـفل، وهكذا، اختار أن يخلق العالم تحته، فخلقه تحته، فصار هو فـوق العـالم، وجهة الفـوق أكمل من جهة التحت، ولـذلك فـإن الله تعـالى اختـار جهة التحت للعـالم، واختـار جهة الفوق لذاته، فصـار الله تعـالى في جهة الفـوق الـتي هي كمال له، وذلك بعد أن خلق العالم. فكون الله تعـالى في جهة الفوق الذي هو كمـال لـه، أمر لم يجز حصـوله له إلا بعد خلقه المخلوقات. فوجود المخلوقـات إذن شـرط في حصول هذا الكمال. فهذا هو قولهم بأن الله تعـالى يحتـاج إلى المخلوقـات في الاتصـاف بكمالاتـه. والبعض منهم صرح بهذا اللفـظ، وهو ابن تيميـة، وادعى أن ذلك لا نقص فيه ؟! وللعاقل أن يتعجب من كلامه ما شاء.

وأنت تـــرى أن ذلك كله يخـــالف ما نص عليه الإمـــام الطحاوي في المتن أعلاه، لما قال:"لم يزدد بكونهم شـيئا لم يكن قبلهم من صـفته". ألا تـرى أن هـذا يعـارض قـول المجسمة بأن الله تعـالى على العـرش جـالس، وأن كونه على العـــرش أكمل من كونه لا على العـــرش، والعـــرش مخلـوق، إذن فالحاصل على قـولهم أن كـون الله تعـالى على العـرش كمـال مشـروط بوجـود العـرش الـذي هو مخلوق. وهذا غاية القبح.

وكـذلك نفس قـولهم في نـزول الله تعـالى بذاته إلى السماء الدنيا، فإنهم لا شك أنهم يقولون إن هذا كمال له، وهذا الكمال لم يكن ليحصل لولا أن المخلوقات موجودة، إذ بلا سماء يمكن النزول إليها، كيف يمكن النزول؟!

وكذلك يقولون في كونه خالقا، فإنهم يقولـون لا يكـون الله خالقا بالفعل إلا بعد إيجـــاده المخلوقـــات. وقبل ذلك فليس بخالق، ولكن كونه خالقا كمال لـه، فيلـزم من ذلك على مـذهبهم، وجـوب أن يخلق الله تعـالى المخلوقـات. فاشـــترطوا بـــذلك لحصـــول الكمـــال لله تعـــالى وجـــود المخلوقات، ووقعوا في محظـور آخر هنا وهو إيجـاب ذلك على الله تعالى. وسـوف يـأتي مزيد توضـيح لهـذه النقطة قريبا.

ومذهب هؤلاء لم يجرؤ الفلاسفة على القول به، لقبحه وســخافته. ولكنك تـــرى هـــؤلاء ينســـبون ذلك أيضا إلى الصـــحابة والتـــابعين بل إلى أهل الســـنة. وليس ذلك إلا الكذب الصريح.

([28]) هــذا القــول تفريع على ما ســبق، فالله تعــالى كما كــان موصــوفا بصــفاته منذ الأزل، فإنه يبقى موصوفا بهذه الصـفات إلى الأبـد. ولا يطـرأ عليه تغـير ولا حدوث صفة. فلا يتصف الله تعالى بغير ما كــان منذ الأزل موصوفا به.

وهذا كما ترى نفي صريح من الإمام الطحاوي لحـدوث صــفة حادثة في الله تعــالى. وهو خلاف لما تفــوه به ابن تيمية ومن اتبعه من المجســمة، في قــولهم باتصـاف الله تعالى بالصفات الحادثة.

ولو كان الله يجوز اتصـافه بالحـادث لكـان محتاجا إلى الحادث، ولكان ناقصا منذ الأزل حـتى حين اتصـافه بـذلك الحـادث، ولكـان ذاته تقبل التغـيرات والتحـولات. ولكـان مؤثرا في ذاته. وقد صرح ابن تيمية بكل هـذه القبـائح في كتبه. بل وصرح بأكثر منها.

فـــاللازم على الإنســـان العاقل أن يعـــرف ممن يأخذ عقيدته، ولا يغتر بالأسماء اللامعة، فكثـير من المشـهورين لا قيمة لما يكتبـون في مـوازين العقـول. كما أن الشـهرة بحد ذاتها ليست دليلا يحتج بها على الحق والباطــــــــل. فتأمل.

([29]) إن الله تعـالى خـالق، أي متصف بكونه خالقـــا. وكونه خالقا هو حاصل منذ الأزل، وفي الأزل لم يكن ثم مخلــوق، إذن فالله تعــالى خــالق وقبل وجــود المخلوقات. والمخلوقات لم تكن لتوجد إلا بخلقه لها. إذن هو تعالى خالق وقبل أن يخلق الخلق. وكونه خالقا، صــفة كمال له تعالى، ولا يجوز أن يقال إنه لا يكون خالقا إلا بعد وجود المخلوقات، إلا على معنى أنه لا يكون خالقا بالفعل إلا بعد وجـود المخلوقـات، فـإن من يقـول بـذلك يشـترط لاسم الفاعل حصــول الفعــل، لا مجــرد القــدرة على تحصيله. فمن أراد هذا المعنى فهو صحيح. وهذا راجع إلى اللغة. ومن قال بـذلك فإنه يقـول بـأن الخلق بالفعل ليس كمالا له تعالى، لأنه تعالى لم يزل كـاملا، تامـا، وفي الأزل لم يكن الخلق موجودين. بل خلق المخلوقـات كمـال لهم لا للخالق.فافهم.

وأما من قـــال إن كونه خالقا لا يكــــون إلا بإيجـــــاد المخلوقـات بالفعـل، وكونه خالقا كمـال له تعـالى، فهـذا القائل يريد أن يقول إن إيجاد المخلوقات واجب على الله تعــالى، لأن كل ما كــان كمــالا فهو واجب، وما دام كونه خالقا واجب لأن كمـــال، وكونه خالقا لا يحصل إلا بإيجـــاد المخلوقات، فإيجاد المخلوقات واجب. فهـذا هو من يجعل المخلوق شرطا لكمال الخالق. وهـذا حمق وإلحـاد. وهـذا هو قول ابن تيمية الحراني، يصرح به ولا يلوح، بل ويدعي

أن هـذا هو ما كـانت عليه عقيـدة السـلف؟! فقبحا له من مغالط مكابر، وتعسا لمن يتخذ مثله قدوة.

وهـــذا القـــول من ابن تيمية هو أصل قوله بالتسلسل للحوادث في القدم، والقليل فقط من عرف حقيقة مراده من هـذا القـول، وادعى بكل جـرأة أن هـذا ما كـان عليه السـلف. وصـريح كلام الإمـام الطحـاوي أن الحـوادث في الأزل منقطعة، فإن الله تعالى كـان ولم يكن شـيء معـه، وكان ولا مخلوق، وهذه العقيدة هي الـتي اتفق عليها أهل السـنة. ولم يخـالف فيها من هو معتد بأقوالـه، وبعد ذلك كله تـرى ابن تيمية يصـرح بـأن هـذا القـول لا يليق بالله تعالى وتنزه عما يقول. ويدعي أن كـون الحـوادث مع الله تعالى هو اللائق بجلاله وكماله، وهذا كلام سـاقط، لا يميل إليه إلا من في قلبه زيغ. وهذه هي إحـدى المسـائل الـتي خـــالف فيها ابن تيمية متن الإمـــام أبي جعفر الطحـــاوي، فاحفظها.

تنبيـه: حـاول ابن تيمية أن يقـرب قوله بـأن الحـوادث متسلسلة في القدم، أي لا أول لها في القـدم، بـأن قـال: ما دام قد جاز بقاء الحوادث في المستقبل إلى الأبد، وهو بقاء الجنة والنار، عند القائل ببقاء النار، وهم أهل السـنة، وأما ابن تيمية فإنه يقول بفنائها، يقول ما دام جـاز البقـاء إلى الأبـد، فيجـوز التسلسل في القـدم، لأنه لا فـرق بين الأبد والأزل، فما جاز عليه أحدهما يجوز في الآخر.

واعلم أن هذا الكلام عبارة عن مغالطة واضحة، ففرق كبـير بين القـدم، والبقـاء، فما فالقـدم لا يصـدق إلا على معنيين، الأول عدم الأوليـة، والثـاني الـدوام أزمنة لا نهاية لها في الماضـي، فمعنـاه أنه مهما وجد زمـان فإنه يوجد قبله زمان آخر لا إلى نهاية، وهذا يستلزم وجود سلسلة لا نهاية لها من الحـوادث الزمانية في القـدم، وأما المعـنى الأول فهو الثابت في حق الله تعـالى كما أشـرنا إليك في محله، وأما المعنى الثاني فهو غير جـائز مطلقـا، لأنه غـير متصـور، ويسـتلزم أزلية الزمـان، وهو باطل للـزوم كونه مخلوقـا، وما كـان مخلوقا يمتنع أن يكـون أزليـا. وكـذلك البقـاء في الأبـد، فإنه صـادق على معنـيين الأول هو عـدم

الآخرية، والثاني البقاء أزمنة لا نهاية لها في المستقبل، فأما المعنى الأول فهو الثابت لله تعالى، فبقاؤه في المستقبل، ليس معناه دوامه أزمنة لا نهاية لها، بل معناه إنما هو عدم وجود آخر له تعالى، وأما المعنى الثاني، فمعناه أنه مهما وجد زمان حاضر، فيتصور وجود زمان لاحق له، ولاحظ أن هذا المعنى لا يلزم عنه وجود أزمنة لا نهاية لها بالفعل، بل يستلزم جواز وقوع زمان تال لزمان حاضر، وهكذا، وهذا لا يستلزم وقوع زمان لًا نهاية له بالفعل كما ترى.

فأنت ترى من مجرد تحليل هاتين الحالتين، أنه يوجد فرق كبير بين التسلسل في الماضي، والتسلسل في المستقبل، فحيث يستلزم الأول وقوع ما لا نهاية له بالفعل، فإن الثاني لا يستلزمه مطلقا. وبذلك يتبين لك مدى حمق من أجاز القياس بينهما، وقال إنه ما دام جاز التسلسل في المستقبل فيجوز إذن في الماضي. فلا توجد علة مشتركة بين الأمرين كما ترى حتى يجوز القياس بينهما. ولا يشتركان في معنى واحد مؤثر حتى يقال إنه إذا جاز أحدهما جاز الآخر.

وأدى قول ابن تيمية بهذا القول-أي وقوع التسلسل في الماضي- إلى قبائح عديدة، وضحناها في كتاب "الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية". ولو كان المجال مناسبا هنا لأوسعنا لك في بيان مدى غلطه ومد خطورة هذا القول على عقائد الدين. ولكن ما ذكرناه يكفي القارئ النبيه بتوفيق الله تعالى.

([30]) عبارة الطحاوي هذه أصل عظيم قال به أهل السنة، والطريقة التي يورده بها هي طريقة الأحناف رضي الله تعالى عنهم. فالربوبية لها معنى، ومعناها هو القدرة على الخلق، والتدبير، وسائر خصائص الربوبية كما وضحنا بعضها في أول تعليقاتنا هذه. وهذه المعاني ثابتة لله تعالى قبل وجود أي مربوب مطلقا، وتنبه إلى عمق ودقة عبارته هذه، فهو يصرح فيها بأن الله تعالى كان موجودا في حال لم يكن معه فيها أي مخلوق، ولا أي مربوب، وهو معنى قوله "ولا مربوب"، فالله تعالى

موجود قبل المخلوقات كلهـا، ومعـنى الربوبية لم يكتسـبه الله تعالى من وجود المخلوقات، ولم يطرأ عليه بعد خلقه للمربـوبين. فـإن هـذا ينـافي كماله وغنـاه المطلـق، كما وضحناه لك فيما سبق.

([31]) وقوله هذا أيضا، له معنى قريب من معنى العبـارة السـابقة، بل هو أخص منهـا، فالخـالق هو الله تعالى، ولم يتصف بكون خالقـا، بعد أن أوجد المخلوقـات، بل هو تعـالى خـالق وقبل الخلـق، وذلك لأن صـفة الخلق صـفة ثابتة له جل شـأنه، قبل وجـود المخلوقـات، فبهـذه الصفة أوجد المخلوقات، ويسـتحيل أن يكـون قد اكتسـبها منهم، بل هم اكتسبوا وجودهم منه جل شأنه.

وتأمل أيضا في قولـه، وله معـنى الخـالق ولا مخلـوق، فـإن هـذا تصـريح قـوي بوجـود الله تعـالى قبل وجـود المخلوقـات كلهـا، وهو تصـريح بـأن سلسـلة المخلوقـات منقطعة في الأزل، خلافا لابن تيمية الـذي يقـول بـأن الله تعالى لم يزل ومعه بعض مخلوقاته، فلم يكن موجودا أبدا وحده، بل لم يزل ومعه بعض خلقه. وهـذا ينـافي تماما ما يصرح به الطحاوي من عقيدة أهل السنة بـأن الله تعـالى سـابق لجميع المخلوقـات، فهو موجـود قبلها جميعهـا، فلجميع المخلوقات وسلسلة الخلق بداية ولا شـك، وهـذه عقيدة أهل السـنة، وابن تيمية يخالفها ويـدعي بكل جـرأة أن كـون الله تعـالى خالقا لا يمكن أن يصح إلا بـأن يوجد بالفعل المخلوقات، ويدعي أن وجود المخلوقات كمال لله تعالى، وهو في هذا يخالف كون الله تعالى غني بالذات، لا بالغير، وكامل بالذات لا بـالغير، ويخـرج في هـذا أيضا عن عقيـدة أهل السـنة أهل الحـق، ويخـرج أيضا عن ما يـدل عليه العقل.

ومعـنى الخـالق هو غـير نفس الخلـق، لأن الخلق فعل من أفعال الله تعالى، وأما معنى الخلق، فهو الصفة الـتي يتصف بها الله تعـالى وبها يخلق المخلوقـات جميعـا، وهي كون الله تعالى قادرا عالما مريدا. فهذه الصفات ثابتة لله تعـالى قبل وجـود المخلوقـات، فهو تعـالى خـالق وقبل الخلق، كما إنه تعالى رب وقبل وجود المربوبين.

وهذا المعنى استفاده الإمام الطحاوي من عدة نصوص في الكتـاب والسـنة، كما اسـتفاده أهل السـنة جميعا بل سائر الفرق الإسلامية المعتد بها، إلا المجسمة.

-قـال الله تعـالى في سـورة آل عمـران:[إن في خلق السـماوات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيـات لأولي الألباب (190)]

-وقال تعالى في سـورة الأنعـام:[ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شـيء وكيل (102)]

-وقـال تعـالى في سـورة يـونس:[قل هل من شركائكم من يبـدأ الخلق ثم يعيـده قل الله يبـدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون (34)]

-وقال تعالى في سورة النحـل:[أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (17)]

- وقال تعالى في سورة العنكبوت:[أولم يروا كيف يبـدئ الله الخلق ثم يعيـده إن ذلك على الله يسـير (19)]

- وقال تعالى في سورة الجاثية:[وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيـات لقوم يتفكرون (13)]

وقد أبدع الإمام البيهقي في بيان هذا المعنى في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص55، فقال:"وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ حـدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه أنا بشر بن موسى ثنا معاوية بن عمـرو ثنا أبو إسـحاق الفـزاري عن الأعمش عن جـامع بن شـداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال:

أتيت رسول الله صلة الله عليه وسـلم فجـاءه نفر من أهل اليمن فقـالوا يا رسـول الله أتينـاك لنتفقه في الـدين ولنسألك عن أول هذا الأمر كيف كان؟

قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكـان عرشه على المـاء، ثم كتب في الـذكر كل شـيء، ثم خلق السـموات والأرض".

قال الأستاذ رحمه اللـه:قوله كـان الله ولم يكن شـيء غــيره، يــدل على أنه لم يكن شــيء غــيره لا المــاء ولا العـرش ولا غيرهمـا، وكل ذلك أغيـار. وقوله وكـان عرشه على المــاء يعـني به ثم خلق المــاء، وخلق العــرش على الماء.

وبيان ذلك في حديث أبي رزين العقلي عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قـال "ثم خلق العـرض على المـاء".

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو زكريا العنــبي، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الــرزاق عن عمر بن حــبيب المكي، عن حــبيب بن قيس الأعــرج، عن طاوس: قال:

جـاء رجل إلى عبد الله بن عبـاس فسـأله، فقـال: مم خلق الخلــق؟ قــال من المـــاء والنـــور الظلمة والـــريح والتراب. فقـال الرجل فمم خلق هـؤلاء؟ فتلا عبد الله بن عبـــاس (وســـخر لكم ما في الســـموات وما في الأرض جميعا منه).

قــال: فأخبرنا ابن عبــاس أن المــاء والنــور والظلمة والــريح والــتراب مما في السـموات وما في الأرض، وقد أخــبر الله عز وجل أن مصــدر الجميع منــه، أي من خلقه وإبداعه واختراعه فهو خالق كل شيء، خلق الماء أولا، أو الماء وما شـاء من خلقه لا عن أصل ولا على مثـال سـبق ثم جعله أصلا لما خلق بعده، فهو المبدع وهو الباري لا إله غيره ولا خالق سواه."اهـ

([32]) هذا إكمال من الطحاوي لتوضيح القاعدة الســابقة، وهي كــون صــفات الله ليست مســتمدة من أفعاله جل شأنه، فإن أفعاله حادثة وصفاته قديمة. ولذلك فإنه يتصف بأنه محيي الموتى وقبل إيجاد المخلوقــات بل وقبل إمــاتتهم، وكــذلك يســمى خالقا وقبل أن يخلقهم. والسبب في تسميته بهذه الأسماء هو قيام الصـفات الـتي بها يكون منشأ الخلق وهي القدرة والإرادة والعلم، وقيـام هذه الصـفات بذاته جل شـأنه أزلي، ولا يعتمد على إيجـاد

الله تعـالى لهـذه المخلوقـات، لأن نفس إيجـاده مشـروط بوجود هذه الصفات له.

ومن هـذا نسـتفيد معـنى في غاية الإفـادة وهو أن الله تعالى لا يستفيد اتصافه بالصفات ولا تسميته بالأسماء من الأفعال التي يقوم بهـا، بل من الصـفات الـتي يتصف بهـا. ولهذا فإن أسماءه وصـفاته تعـالى أزليـة، مع كـون أفعاله حادثة. فأفعاله ناشئة عن الصفات، وليست صـفاته ناشـئة عن أفعاله.

وهذا الأصل قد خـالف فيه ابن تيمية أيضـا، فـادعى أن كونه تعـــالى خالقا إنما يصح بـــأن يوجد الله تعـــالى المخلوقـات، وإيجـاده تعـالى للمخلوقـات هو كمـال لـه. وادعى أيضا أنه تعالى يفعل الكلام في ذاته، فيصـبح بهـذا الكلام الذي هو فعل له متكلمـا، فجعل الفعل قائما باللـه، والفعل حادث. فجعل الله تعالى موصوفا بصـفات حـادث، وهذا معنى قوله أن الله يتصرف في نفسـه. كما يتصـرف المخلوق بنفسه تماما.

وابن تيمية خـرج في هـذا الكلام عن ما يقـول به أهل السـنة، وأهل الحـق، وهو خلاف لما ينص عليه الإمـام أبو جعفر الطحـاوي رحمه الله تعـالى. وهـذا أصل عظيم من أصـول أهل السـنة ينبغي على القـارئ الاعتنـاء بتحصـيله. والله الموفق.

([33]) قوله ذلك تعليل للحكم الـــذي وضـــحه سابقا، وهو كون الله تعـالى خالقا وقبل المخلوقـات، وربا وقبل المربوبـات. فكلمة ذلك تـدل على العلة الـتي من أجلها حكم الطحـاوي بـذلك الحكم، والعلة كما تراها هي كون الله تعالى متصفا بأنه على كل شيء قدير، فالقـدرة منشأ كل تلك الصـــفات، وهي صـــفة قديمة قائمة بالله تعالى. ولأجل اتصافه تعـالى بالقـدرة فهو الـرب والخـالق والرازق المحيي والمميت..الخ، فكل هذه الصـفات راجعة إلى القـدرة كما تـرى، فلو لم يكن تعـالى قـديرا لما صح اتصافه بأي من هذه الصفات.

وهذا الكلام يوافق ما عليه أهل السنة من إرجـاع جميع هـذه الصـفات إلى القـدرة تماما كما نص عليه الإمـام

الطحاوي، ولا يجعلون كل فعل من هذه الأفعال ناشئا عن صـــــفة خاصة قائمة بالله تعـــــالى كما يدعيه الجهلة من المجسـمة، بل كل هـذه الأفعـال ناشـئة عن صـفة واحـدة وهي القدرة.

والآيـات الـتي تنص على أن الله على كل شـيء قـدير كثيرة منها

-قوله تعالى في سورة البقرة:

[يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشـوا فيه وإذا أظلم عليهم قــاموا ولو شــاء الله لــذهب بســمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (20)]

-وقوله تعالى في سورة البقرة:

[ود كثير من أهل الكتاب لو يـردونكم من بعد إيمـانكم كفـارا حسـدا من عند أنفسـهم من بعد ما تـبين لهم الحق فاعفوا واصـفحوا حـتى يـأتي الله بـأمره إن الله على كل شيء قدير (109)]

-وقوله تعالى في سورة النحل:

[ولله غيب الســـماوات والأرض وما أمر الســـاعة إلا كلمح البصر أو هو أقــرب إن الله على كل شــيء قــدير (77)]

-وقوله تعالى في سورة العنكبوت:

[قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (20)]

([34]) لاحظ أيها القارئ النبيه كيف عقب الإمام الطحاوي القواعد السابقة بهـذه العبـارة، الـتي تنص على أن الله تعالى لا يحتاج إلى شيء، وهـذا يعـني بوضـوح أن الإمــام الطحــاوي يريد أن يقــول إن من يخــالف العقائد السابقة على ما تقـدم شـرحها، فإنه يلزمه أن الله تعـالى محتاج إلى غـيره من المخلوقـات. وهـذا كفر بالله لا شك ولا ريب.

وأدلة كون الله تعالى غنيا كثيرة منها

قوله تعالى في سورة آل عمران

-[ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (97)]

وقوله تعالى في سورة النساء:

-[ولله ما في السـماوات وما في الأرض ولقد وصـينا الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم وإيـاكم أن اتقـوا الله وإن تكفـروا فـإن لله ما في السـماوات وما في الأرض وكـان الله غنيا حميدا (131)]

وقوله تعالى في سورة الأنعام

-[وربك الغـني ذو الرحمة إن يشأ يـذهبكم ويسـتخلف من بعـدكم ما يشـاء كما أنشـأكم من ذرية قـوم آخـرين (133)]

وقوله تعالى في سورة يونس

-[قـالوا اتخذ الله ولـدا سـبحانه هو الغـني له ما في السـماوات وما في الأرض إن عنـدكم من سـلطان بهـذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (68)]

والآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن كثيرة.

إذن فالإمـام الطحـاوي متنبه لانبنـاء هـذه القواعد المذكورة على قاعدة عظيمة هي استغناء الله تعـالى عن كافة خلقه، ولكنك ترى أن ابن تيمية يصرح بكل جـرأة بل بكل شناعة بأن الله تعالى إذا احتاج إلى مخلوقاته فهذا لا ينافي كمالـه، لأن مخلوقاتـه، محتاجة إليـه، فهو إن احتـاج إليها فإنه يحتاج إلى من هو محتاج إليه، فكأنه لا يحتـاج إلا إلى نفسه. وهـذا كلام باطل بلا ريب بينا بطلانه في كتـاب "الكاشف الصـغير عن عقائد ابن تيميـة". فـإن الله إذا احتـاج إلى مخلوقاته فإنه يكـون فقـيرا إليهم بلا ريب. وافتقاره إلى غيره وهم المخلوقات ينافي كماله بالذات.

([35]) بعد أن أشـار الإمـام الطحـاوي إلى بعض القواعد في العقائـد، كما سـبق بيانـه، ونبه إلى أدلتها العقليـة، الإجماليـة، ذكر هنا دليلا نقليا محكما لا شك في دلالته على ما سـبق بيانه وتفصـيله، وهو قوله تعـالى في سورة الشـورى [فـاطر السـماوات والأرض جعل لكم من أنفسـكم أزواجا ومن الأنعـام أزواجا يـذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السـميع البصـير (11)]، فهـذه الآية من أقوى الآيات في تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقـات من كل الوجـوه. وهي آية محكمة كما تـرى، فلو كـان الله تعـالى مثل شـيء من مخلوقاته لكـان محتاجا إلى من

يوجده، ولكنه تعالى ليس كمثله شيء، فلا يمكن أن يكون محتاجا إلى غيره. وهـذا الأسـلوب من الاسـتدلال هو عين ما تجده في كبـار كتب الأشـاعرة من الدلالة على وجـوب تنزه الله تعالى عن ما مضى ذكـره من النقـائص بوجـوب الكمال له، ويستدلون على ذلك بالعقل والنقـل. فلو كـان مثل غـيره من وجه من الوجـوه لكـان محتاجا مثل غـيره، لأن الأمثـال تتسـاوى في الأحكـام، وقد ثبت بالعقل حكم الاحتياج لكل ما سواه تعالى، فلو قيل إن الله تعالى يشبه غـيره ولو من وجه من الوجـوه، للـزم على ذلك قولنا أنه تعالى مفتقر إلى غيره كافتقار ما يساويه إلى غيره. ولكن هذا باطل، إذن فالله تعالى لا يمكن أن يكون مماثلا لغيره ولا بوجه من الوجـوه، وهـذا سـبق بيانه في تفسـير قوله "ولا يشبهه شيء".

قال الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية:"ليس كمثله شـيء أي ليس مثله شـيء يزاوجه ويناسـبه، والمـراد من مثله ذاتــه،كما في قــولهم مثلك لا يفعل كــذا، على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفى عمن يناســـــبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى...ثم قال...ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطي معـنى ليس مثلـه، غـير أنه آكد لما ذكرناه. وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة."اهـ

وقال الراغب في المفردات في معـنى المثـل:"عبـارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيَّ معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك أن الند يقـال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقـال فيما يشـارك في الكيفية فقــط، والمســاوي يقــال فيما يشــارك في الكمية فقــط، والشــكل يقــال فيما يشــاركه في القــدر والمسـاحة فقـط، والمِثْل عـام في جميع ذلـك، ولهـذا لما أراد الله تعــالى نفي التشــبيه من كل وجه خصه بالــذكر فقال:[ليس كمثله شيء]."اهـ

وهذه الآية كما نص عليه العلماء تنفي مطلق المشابهة بين الله تعـــــالى وبين مخلوقاتـــــه، فكل ما يتصف به المخلوقات لا يمكن أن يتصف به الخــالق، وكل ما هو من صـــفاته عز وجل فلا يمكن أن يتف به المخلوقـــات. وهي

تنفي المشـــابهة من جميع الجهـــات، لا من حيث الـــذات فقط. وهذا ما أراده البيضاوي والأصـفهاني من قـولهم أن الكاف تفيد المبالغة في النفي.

([36]) الباء في قوله "بعلمه" للإلصاق، والمعية، ومعــنى ذلك أن الله تعــالى خلق الخلــق، وهو عــالم بما خلق، وذلك لأنه لا يمكن أن يوجد فعل الخلق من واحد بلا كونه عالما بمخلوقاتــه. فكونه خالقا يســتلزم كونه عالما ضمنا. ولذلك قال الله تعالى في سـورة الملـك:[وأسـروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصــدور (13) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبـــير (14)]، ففي هـــذه الآية المباركـة، ينص الله تعـالى على أنه يعلم المخلوقـات، ولا تظن أنه يفهم من الآية أنه تعـالى لا يعلم إلا ما يخلـق، بل إنها تــدل على أنه بعــدما ثبت أن الله تعــالى هو الخــالق، فإنه يجب أن يثبت أيضا أنه عـــالم بما خلـــق. ونقـــول لو فرضنا أيضا أن الله تعـالى ليس خالقا لبعض الموجـودات، فهو عـالم بها بلا شـك، فـالخلق ليس علة على العلم، بل إنه دليل عليـه، ويتضـمنه، فثبـوت الخلق دليل على ثبـوت العلم، وليس علة لوجـــوده. ، ففي هـــذه الآية المباركـــة، ينص الله تعالى على أنه يعلم المخلوقــات، ولا تظن أنه لا يعلم إلا ما يخلق، بل إنها تدل على أنه بعــدما ثبت أن الله تعــالى هو الخــالق، فإنه يجب أن يثبت أيضا أنه عــالم بما خلــق. ونقــول لو فرضــنا أيضا أن الله تعــالى ليس خالقا لبعض الموجـودات، فهو عـالم بها بلا شـك، فـالخلق ليس علة على العلم، بل إنه دليل عليـــه، ويتضـــمنه، فثبـــوت الخلق دليل على ثبوت العلم، وليس علة لوجوده.

وقد يفهم البعض من قــــول الطحـــــاوي "خلق الخق بعلمه" أنه تعالى يخلق بعلمـه، وهـذا محض تـوهم، مبـني على أن البــاء سـببية، بل المــراد كما نبهنـاك أن علم الله تعالى مصاحب لخلقه، وإنما يخلق الله تعـالى المخلوقـات بقدرته، ومن شرط كون القادر قادرا أن يكون عالمـا، لأن كل قادر مريد، وكل مريد عالم بما يريد.

قــال تعــالى في ســورة البقــرة:[قــال يا آدم أنــبئهم بأســمائهم فلما أنبــأهم بأســمائهم قــال ألم أقل لكم إني

أعلم غيب السـماوات والأرض وأعلم ما تبـدون وما كنتم تكتمون (33)]

وقال تعالى في سورة البقرة:[كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبـوا شـيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمـون (216)]

هـذه الآية تـدل على أن الله تعـالى يعلم الشر والخـير قبل وقوعـه، ويعلم الخـير من الشـر، ومعلـوم أن العلم بالشـيء قبل وقوعه يسـتلزم أن يكـون العلم سـابقا على المعلـــوم، لا تاليا له ولا مصـــاحبا له كما ادعى بعض الحمقى.

وقـال تعـالى في سـورة النسـاء:[إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قـريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (17)]

قوله تعـالى وكـان الله عليما حكيمـا، يـدل على أزلية علمه المتعلق بكل الأمـور الجزئية والكليـة، فهو تعـالى يعلم التائب من غير التائب بعلمه الأزلي.

وقال تعـالى في سـورة النسـاء:[وما تفعلـوا من خـير فإن الله كان به عليما (127)]

وهـذه الآية أيضا تـدل على أسـبقية علم الله تعـالى للمعلوم. وهذا معنى كون علم الله تعالى أزليا. ولاحظ أنه لا يجوز أن يقول قائل أنه ربما أراد الطحـاوي بـذلك كـون علم الله قـديما ولكن ليس أزليـا، أي أنه أراد مجـرد كـون علمه تعـالى سـابقا للمعلـوم، وهـذا لا يسـتلزم الأزليـة. فالجواب: أن الإمـام الطحـاوي لا يمكن أن يكـون قد أراد هذا المعنى لأنه نفى سابقا أن يكون الله تعـالى قد اتصف بصفة غير قديمة أو حادثة، وهذا التفسـير لقوله لا يصح إلا على القول بأنه تعالى يجوز اتصافه بـالحوادث، وهو منفي عند أهل السـنة كما صـرح به الطحـاوي. فلـزم أن يكـون أراد أزلية علم الله تعالى.

وقـال تعـالى في سـورة التوبـة:[لو كـان عرضا قريبا وسـفرا قاصـدا لاتبعـوك ولكن بعـدت عليهم الشـقة

وســـيحلفون بالله لو اســـتطعنا لخرجنا معكم يهلكـــون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (42)]
هــذه الآية دليل على تعلق علم الله الأزلي بالجزئيــات فضلا عن الكليـــــات. لأنه ينص هنا أنه يعلم أن هـــــؤلاء كاذبون، أي إنهم لن يخرجوا معك. وهذا أمر جزئي.
وقال تعالى في سـورة هـود:[وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مســتقرها ومســتودعها كل في كتاب مبين (6)]
وهـــذه الآية دليل صـــريح على تعلق علم الله تعـــالى الأزلي بكل الأمور الكلية والجزية، فهو يعلم جل شأنه كل ما يتعلق بالدواب بالتفصيلات منذ الأزل.
وقال تعالى في سـورة إبـراهيم:[ألم يـأتكم نبأ الـذين من قبلكم قـوم نـوح وعـاد وثمـود والـذين من بعـدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فـردوا أيـديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسـلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب (9)]
تأمل كيف ينص الله تعالى على أنه يعلم من يجيء من بعد تلك الأقـوام المـذكورة، وهـذا يـدل على تعلق علمه تعـالى الأزلي بالمسـتقبلات من الأمـور والحـوادث. وتنبه إلى أن قولنا بالمستقبلات فإنما تكون الحوادث من الأمور المستقبلة بالنسبة للمخلوقات وأما بالنسـبة لله فعلمه بها علم أزلي حضوري، أي حاضر دفعة لا على التعـاقب كعلم البشر.
وقال تعالى في سورة الحجـر:[وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (4)]
وقال تعالى في سورة الحجر:[وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (21)]
هذا يدل على أن الله تعـالى عـالم بكل ما يخلقه وقبل أن يخلقه.
وقال تعالى في سـورة طـه:[قـال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (52)]
وقـال تعـالى في سـورة لقمـان:[إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما في الأرحـام وما تـدري

نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (34)]

وهـذه الآية المشـهورة تـدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى يعلم المستقبلات من الأمـور علما تفصـيليا لا يتغـير ولا يتبدل. وإن إحاطة علمه تعالى بالتفصيلات خاصـية من خواصه.

وقال تعالى في سورة فـاطر:[والله خلقكم من تـراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنـــــثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمـره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (11)]

وفي هـــذا دلالة على أن كل ما يتعلق بآجـــال النـــاس مكتوب في كتاب من قبل وجودهم.

([37]) قـال في القـاموس:" الضِّـدُّ، بالكسـر، والضَّديدُ: المِثْـلُ، والمُخـالِفُ، ضِـدٌّ، ويكـونُ جَمْعـاً، ومنـه: {ويكونونَ عليهم ضِدًّا}. وضَـدَّه في الخُصـومَةِ: غَلَبَـه، وـ عنه: صَرَفَه، ومَنَعَه بِرِفْقٍ، وـ القِرْبةَ: مَلأَها. وأَضَدَّ: غَضِبَ. وبنو ضِدٍّ، بالكسـر: قبيلـةٌ من عـادٍ. وضـادَّه: خالَفَـه. وهما مُتضادَّانِ."أهـ

([38]) الأنداد جمع نِـدٍّ وهو المثـل، كما قـال في القـــاموس، ودقق الأصـــفهاني في هـــذا المعـــنى في المفردات فقال:"نديد الشيء مشـاركة في جـوهره وذلك ضرب من المماثلة، فـإن المثل يقـال له في أيِّ مشـاركة كانت، فكل ند مثل وليس كل مثل ندا، ويقال نِدُّه ونديـده ونديدته، قال تعالى(فلا تجعلوا لله أندادا)وقال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) وقال تعالى(وتجعلون له أندادا)."اهـ

([39]) قال الإمام العز بن عبد السـلام في بداية السول في تفضيل الرسول:"قـال الله تعـالى لنبينا محمد صـــلوات الله عليه وســـلامه، متمننا عليه معرفا لقـــدره لديه(وأنزل الله عليك الكتـاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيمـا)[النسـاء:113]، وقد فضل الله تعـــالى بعض الرسل على بعض فقـــال: (تلك الرسل فضـــلنا بعضـــهم على بعض)[البقـــرة:253]،

والتفضـيل الأول صـريح في أصل المفاضـلة، والثـاني في تضعيف المفاضلة بدرجات، ونكرها تنكـير التعظيم بمعـنى درجـات أي درجـات."اهــ ثم شــرع الإمــام العز في ذكر وجوه التفضيل لسيدنا محمد على باقي الرسل والأنبياء.

([40]) قـال الله تعـالى في سـورة الأحـزاب (ما كـان محمد أبا أحد من رجـالكم ولكن رسـول الله وخـاتم النبيين)[40].

وروى البخــاري في صـحيحه عن مطعم عن أبيه رضي الله تعـالى عنـه قـال قـال رسـول الله صـلى الله عليه وســلم لي خمسة أســماء أنا محمد وأحمد وأنا المــاحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الـذي يحشر النـاس على قدمي وأنا العاقب.

وزاد الترمذي والطبراني في معجمه الكبير في روايتها عنه: وأنا العـاقب الـذي ليس بعـدي نـبي وفي البـاب عن قال أبو عيسى هـذا حـديث حسن صـحيح. وفي رواية ابن حبــان عن محمد بن جبــير بن مطعم عن أبيه أن رســول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال إن لي أسـماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا المـــاحي الـــذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر النـاس على قدمه وأنا العـاقب الـذي ليس بعده نبي. وقد سماه الله رؤوفا رحيما.

وفي المسـتدرك على الصـحيحين عن عـوف بن مالك الأشجعي قـال انطلق النـبي صـلى الله عليه وسـلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود فقال يا معشر اليهـود أروني اثــني عشر رجلا يشــهدون أن لا إله إلا الله وأن محمــدا رسـول الله يحط الله عن كل يهـودي تحت أديم السـماء الغضب الــذي غضب عليهم قــال فأســكتوا ما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد فقـــال أبيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العــاقب وأنا النــبي المصــطفى آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا معه حتى كـدنا أن نخـرج فـإذا رجل من خلفنا يقـــول كما أنت يا محمد فقـــال ذلك الرجل أي رجل تعلمـوني فيكم يا معشر اليهـود قـالوا والله ما نعلم أنه كـان فينا رجل أعلم بكتـاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال فـإني أشـهد له

بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة فقالوا كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لن يقبل قولكم أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم قال فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله تعالى فيه قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به الآية. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث حميد عن أنس أي رجل عبد الله بن سلام فيكم مختصرا.

([41]) رواه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر.

ورواه ابن حبان عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم فأنا سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع.

ورواه أيضا عن عبد الله.

ورواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع.

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن أبي خالد قال نظرت عائشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا سيد العرب فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأبوك سيد كهول العرب وعلي سيد شباب العرب.

ورواه غيرهم.

([42]) رواه أحمد بن عمرو بن الضحاك في الآحاد والمثاني عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال قال

رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إن الله عز وجل زوى لي الأرض فـرأيت مشـارقها ومغاربها وأن أمـتي سـيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكـنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي عز وجل لأمـتي أن لا يهلكها بسـنة عامة وأن لا يسـلط عليهم عـدوا من سـوى أنفسـهم فيسـتبيح بيضـتهم وإن ربي عز وجل قـال يا محمد إني إذا قضـيت قضاء فإنه لا يـرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسـنة عامة وإن لا أسـلط عليهم عـدوا من سـوى أنفسـهم فيستبيح بيضـتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حـتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يسبي بعضا وإن أخـوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي المشـركين وحـتى تعبد الأوثـان وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابا كلهم يـزعم أنه نـبي وأنه لا نـبي بعـدي وأنه لا تـزال طائفة من أمـتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهي كذلك.

([43]) يطلق القرآن على ما في الصـدور وعلى ما في اللوح المحفوظ وعلى المسموع بالصوت والحرف، قـال تعـالى في سـورة العنكبـوت(بل هو آيـات بينـات في صدور الذين أوتوا العلم)49، وقال في سورة الـبروج(بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)21،22، وقال في سورة الأحقـاف(وإذ صـرفنا إليك نفـرا من الجن يسـتمعون القرآن)29.

مقدمة في الكلام النفسي واللفظي:

يـدعي كثـير من الجهلة أنه لا يوجد شـيء اسـمه كلام نفسي ولا حـديث نفسي ولا قـول نفسـي، بل كل القـول لديهم لفظي بصوت وحرف، وما كان بلا صـوت ولا حـرف فليس بكلام أصلا. وهذا الكلام باطل لا دليل عليه إلا اتبـاع الهـوى والتعنت. وسو ف نـبين لك فيما يلي وجـود أصل للكلام النفسي وغيره في كلام العـرب والسـلف باختصـار كما يليق بهذا الكتاب:

قال الله تعالى في سـورة المجادلـة(ألم تر إلى الـذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتنـاجون بـالإثم

والعــدوان ومعصــية الرســول وإذا جــاءوك حيــوك بما لم يحيك به الله ويقولــون في أنفســهم لــولا يعــذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (8).

وقـال تعـالى في سـورة يوسـف(قـالوا إن يسـرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبــدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (77)

وقال تعالى في سورة الأعــراف:(اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغـدو والآصـال ولا تكن من الغافلين (205)

وروى الطــبراني في الأحــاديث الطــوال عن ســلامة العجلي في قصة سـلمان الفارسي رضي الله تعـالى عنه حـديثا طـويلا وفيـه: فأخـذني غم وحـدثت نفسي بـالفرار فقلت أصــبر أحــدين أو ثلاثة فلما كــان يــوم الأحد رجعنا إليهم فـــأفطروا واجتمعـــوا فقـــال لهم اني أريد بيت المقدس...وفيه... فنظرت بين كتفيه فرأيت خـاتم النبـوة مثل بيضة الحمامة فأســـلمت ثم قلت له ذات يـــوم يا رســول الله أي قــوم النصــاري قــال لا خــير فيهم وكنت أحبهم حبا شــديدا لما رأيت من اجتهــادهم ثم اني ســألته أيضا بعد أيام يا رسول الله أي قوم النصـارى قـال لا خـير فيهم ولا فيمن يحبهم قلت في نفسي فأنا والله أحبهم قال وذاك والله حين بعث السرايا وجـرد السـيف فسـرية تدخل وسـرية تخـرج والسـيف يقطر قلت يحـدث بي الآن أني أحبهم فيبعث إلي فيضـرب عنقي فقعـدت في الـبيت فجاءني الرسول ذات يوم فقال يا سـلمان أجب قلت من قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قلت هـذا والله الـذي كنت أحـذر قلت نعم ان اذهب حـتى ألحقك قـال لا والله حـــتى تجيء وأنا أحـــدث نفسي أن لو ذهب أن أفر فـــانطلق بي فـــانتهيت إليه فلما رآني تبسم وقـــال لي يا سلمان أبشر فقد فرج الله عنك ثم تلا علي هـؤلاء الآيـات الــذي آتينــاهم الكتــاب من قبله هم به يؤمنــون وإذا تتلى عليهم آياتنا قـالوا آمنا به انه الحق من ربنا أنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صـبروا ويـدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقنـاهم ينفقـون وإذا سـمعوا اللغو

أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين قلت والذي بعثك بالحق لقد سمعته يقول لو أدركته وأمرني أن أوقع في النار لوقعتها انه نبي لا يقول الا حقا ولا يأمر الا بالحق.

وروى البيهقي في سننه الكبرى عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال أتينا جابر بن عبد الله في مسجده فذكر قصته قال فقال جابر فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يتستر به فإذا شجرتان بشاطيء الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحداهما فأخذ غصنا من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي على بإذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف فيما بينهما لأم بينهما يعني جمع بينهما فقال التئما على بإذن الله تعالى فالتأمتا قال جابر فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق وذكر باقي الحديث رواه مسلم في الصحيح عن هارون بن معروف.

وروى البيهقي أيضا في سننه الكبرى عن سليمان بن يسار أن بن عمر رضي الله تعالى عنهما زوج ابنا له ابنة أخيه عبيد الله بن عمر وابنه صغير يومئذ ولم يفرض لها صداقا فمكث الغلام ما مكث ثم مات فخاصم خال الجارية بن عمر إلى زيد بن ثابت فقال بن عمر لزيد إني زوجت ابني وأنا أحدث نفسي أن أصنع به خيرا فمات قبل ذلك ولم يفرض للجارية صداقا فقال زيد فلها الميراث إن كان للغلام مال وعليها العدة ولا صداق لها.

وفي مسند أبي يعلى عن إبراهيم بن محمد بن سعد قال حدثني والدي محمد عن أبيه سعد قال مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه مني ثم لم يرد السلام علي فأتيت أمير المؤمنين عمر بن

الخطـاب فقلت يا أمـير المؤمـنين هل حـدث في الإسـلام شيء قال وما ذاك قلت لا إلا أني مررت بعثمــان آنفا في المسـجد فسـلمت عليه فملأ عينيه مـني ثم لم يـرد علي السـلام قـال فأرسل عمر الى عثمـان فـدعاه فقـال ما يمنعك أن تكون رددت على أخيك السـلام قـال عثمـان ما فعلت قال سعد قلت بلى قال حتى حلف وحلفت قـال ثم إن عثمـان ذكر فقـال بلى فأسـتغفر الله وأتـوب اليه إنك مــررت بي آنفا وأنا أحـــدث نفسي بكلمة ســـمعتها من رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة فقال سـعد فأنا أنبئك بها إن رسول اللـه صـلى الله عليه وسـلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله ثم قـام رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم فاتبعته فلما أشـفقت أن يسـبقني الى منزله فضربت بقدمي الأرض فـالتفت إلي رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم فقـال من هـذا أبو إسـحاق قـال قلت نعم يا رسـول الله قـال فمه قـال قلت ولا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هـذا الأعـرابي فقـال نعم دعـــوة ذي النـــون لا إله إلا أنت ســـبحانك إني كنت من الظـالمين فإنه لم يـدع بها مسـلم ربه في شـيء قط إلا استجاب له.

وفي مسند الإمام أحمد عن بن عباس قـال جـاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقـال يا رسـول الله انى أحدث نفسي بالشـيء لأن أخر من السـماء أحب إلى من ان أتكلم به قـال فقـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الـذي رد كيـده إلى الوسوسة.

وروى الإمــام البخــاري عن ابن عبــاس في الحــديث الطويل في قصة السقيفة، وفيها قول عمر : فلما ســكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتــني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قـــال أبو بكر على رســـلك فكـــرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكـان هو أحلم مـني وأوقر والله ما

تــرك من كلمة أعجبتــني في تزويــري إلا قــال في بديهته مثلها أو أفضل منها.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقــول الله تعــالى أنا عند ظن عبـــدي بي وأنا معه إذا ذكـــرني فــإن ذكـــرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكــرني في ملأ ذكرته في ملأ خــير منهم وإن تقــرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقــرب إلي ذراعا تقــربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.

([44]) قال العلامة الأصفهاني في المفردات:"بدا الشـــيء بَــدْواً وبَــداءا أي ظهر ظهــورا بينــا، قــال الله تعالى(وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون – وبدا لهم سيئات ما كسبوا – فبدت لهما سوآتهما).اهـ

واعلم أن معـنى بــدا غــير معـنى بـدأ، فبـدأ كما قـال الأصفهاني بدأت بكذا وأبدأت وابتـدأت أي قـدمت، والبـدء والإبداء تقديم الشيء على غيره ضـربا من التقـديم، قـال تعالى(وبدأ خلق الإنسان من طين)، وقال تعالى(الله يبــدأ الخلق – كما بدأكم تعودون)، ومبدأ الشــيء هو الــذي منه يتركب أو منه يكون، فالحروف مبدأ الكلام والخشب مبـدأ الباب والسرير..الخ."اهـ

وكثــيرا ما يلتبس قــولهم منه بـــدا بقــولهم منه بـــدأ. والفـرق بينهما كبـير، فبـدا بلا همز تعـني مطلق الظهـور لأمـر، وظهـور أمر يسـتلزم أنه كـان موجـودا، ولكنه ظهر للغير بعد أن كان خافيا عليه. وأما بدأ الشــيء، فمعنـاه بلا توقف وجوده بعد كونه غير موجود. وهذا الكلام يـدل دلالة قاطعة على أن كلام الله تعــالى قــديم لا بداية لــه، ولكن ظهوره هو المحدث. وظهـور الشــيء غـير نفس الشــيء. فــافهم، فــإن هــذه الإشــارة تحل كثــيرا من إشــكالات المجسمة.

([45]) قال العلامة الأصفهاني: كيف لفظ يسـأل به عما يصح أن يقــال فيه شــبيه وغــير شــبيه، كــالأبيض والأسـود والصـحيح والسـقيم، ولهـذا لا يصح أن يقـال في الله عز وجل كيف."اهـ

والحاصل كما نص عليه الشريف الجرجاني وغـيره من العلمـاء فـالكيف هو الهيئة القـارة للشـيء، والمقصـود بالهيئة هي الصـورة، والشـكل المعين. وهي هنا الصـوت والحرف، وأن يحتـاج الله تعـالى للفم واللسـان واللهـوات وغير ذلك من صـفات الحـوادث. فكل ذلك منفي في حقه تعالى وهو من قبيل تشبيهه تعالى بالمخلوقات.

قـال البـابرتي في شـرحه على الطحاويـة:"وأراد بنفي الكيفية عنه إثبـات أزليته ردا على المعتزلة والكراميـة، ونفي كونه من جنس الحـروف والأصـوات ردا على الحنابلة، وذلك لأن كلام الله صـفته القائمة بذاتـه، فيكـون قديما كسائر صـفاته، إذ لو كـان حادثا فإما أن يحـدث في ذاته كما زعمت الكرامية، فيصير ذاته محلا للحوادث، وهو لا يجوز، أو لا في محل وهو محال أيضا، لأن الكلام عـرض فلا بد له من محل، أو حدث في محل آخر فيكون المتكلم ذلك المحل لا خالقه.

وقول الحنابلة وهو أنه حروف غير مخلوقة قائمة بذاته أيضا باطل لأن الحروف تتوالى ويقع بعضها مسبوقا ببعض وكل مسبوق حادث، ولأن الحروف لا تصـدر إلا من الآلات وهي الحلق والشفة وغيرهما، فيلزم من التجسـيم تعـالى الله عن ذلك."اهـ

([46]) كلمة "قولا" متعلقة بقوله بدا، بمعـنى أن الكلام لما بدا من الله تعالى بدا منه قولا، لا معـنى فقـط، وذلك خلافا لمن قـال إن القـرآن أوحى الله تعـالى به إلى جبريل عليه السلام بالمعنى وهو عبر عنه بالألفاظ المنزلة على سيدنا محمد. وهذا القـول لا دليل عليـه. فـالحق إذن أن القرآن بدا من الله تعالى كما أنـزل على سـيدنا محمد لم يتصرف فيه أحد من الخلق.

([47]) قال الله تعـالى في سـورة الشـورى﴿وما كـان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجـاب، أو يرسل رسـولا فيـوحيَ بإذنه ما يشـاء، إنه على ما يشـاء قدير(51)﴾، وقد وردت أدلة تدل على أن الوحي بـالقرآن كـان من اللـوح المحفـوظ كما في المعجم الصـغير للطـبراني عن ابن عبـاس عنـدما قـالت قـريش للنـبي ﷺ

"فقالوا هذا-أي ما وعدوه به من مـال ونسـاء وغـير ذلـك-لك عنـدنا يا محمد وكف عن شـتم آلهتنا ولا تـذكرها بشر فإن بغضت فإنا نفرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قال تعبد إلهنا سنة اللات والعـزى ونعبد إلهك سنة قال حتى أنظر ما يـأتيني من ربي فجـاء الـوحي **من عند الله عز وجل من اللــوح المحفــوظ** قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة وأنزل الله تعالى{قل أفغــير الله تــأمروني أعبد أيها الجــاهلون} بل الله فأعبد وكن من الشاكرين.

وقال تعالى في سورة القدر(إنا أنزلناه في ليلة القدر) والظاهر من هـذا التعبـير أنه أنزله جميعه في تلك الليلـة، خلافا لمن قال إنه بدأ تنزيله فيهـا. وقد أشـار أبو السـعود إلى القــولين في تفســيره فقــال في(9/182):"والمــراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السـماء الـدنيا كما روي أنه أنـزل جملة واحـدة، في ليلة القـدر، من اللـوح المحفـوظ إلى الســـماء الــدنيا، وأملاه جبريل عليه الســلام على السفرة ثم كـان ينزله على النـبي صـلى الله عليه وسـلم في ثلاث وعشـرين سـنة، وإما ابتـداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي."اهـ.

وقد رجح الإمام الطبري في تفسيره القول بــأن إنزاله تم كاملا في ليلة القدر، فقال: يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر، وهي ليلة الحُكْم الـتي يقضي الله فيها قضـاء السـنة وهو مصـدر من قـولهم: قَـدَر الله عليّ هـذا الأمْـرَ، فهو يَقْـدُر قَــدْرا. وبنحو الــذي قلنا في ذلك قــال أهل التأويــل.اهـ، ويرجح هذا القول الروايات التالية:

روى الحاكم في المستدرك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى {إنا أنزلنـاه في ليلة القدر} قـال أنـزل القـرآن جملة واحـدة في ليلة القدر إلى السـماء الـدنيا وكـان بموقع النجـوم وكـان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض قـال وقـالوا {لـولا نـزل عليه القـرآن جملة واحـدة

كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه تـرتيلا} هـذا حـديث صـحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

ورواه البيهقي أيضا في السنن الكبرى.

وروى عن المعتمر قـال قـال أبي حـدثنا الحـريث بن مخشي أن عليا قتل صبيحة إحـدى وعشـرين من رمضـان قـال فسـمعت الحسن بن علي يقـول وهو يخطب وذكر منـاقب علي فقـال قتل ليلة أنـزل القـرآن وليلة أسـري بعيسى وليلة قبض موسى قـال وصـلى عليه الحسن بن علي عليهما السـلام هـذا حـديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه.

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن سعيد بن جبـير عن بن عباس في قوله { إنا أنزلناه في ليلة القدر} قـال أنزل القـرآن جملة واحـدة حـتى وضع في بيت العـزة في السماء الدنيا ونزله جبريل عليه السلام على محمد صـلى الله عليه وسـلم بجـواب كلام في السـماء الـدنيا ونزله جبريل عليه السـلام على محمد صـلى الله عليه وسـلم بجواب كلام العباد وأعمالهم.

وهـذا يوافق ما ورد في القـرآن الكـريم كقوله تعـالى (وقرآنا فرقنـاه لتقـرأه على النـاس على مكث ونزلنـاه تنزيلا)الإسراء106، وقوله(وقـال الـذين كفـروا لـولا نـزل عليه القرآن جملة واحـدة كـذلك لنثبت به فـؤادك ورتلنـاه ترتيلا)الفرقان32. وأيضا قوله تعـالىفي سـورة الـدخان(إنا أنزلنـاه في ليلة مباركـة)3، كل هـذه الأدلة تـدل على أن إنزاله كان دفعة واحدة من اللـوح المحفـوظ إلى السـماء الدنيا.

وأما ما رواه الإمام الطبري عن الشـعبيّ، أنه قـال في قول الله: إنَّا أنْزلْناهُ في لَيْلَة الْقَدْرِ قال: نزل أوّلُ القـرآن في ليلة القـدر.اهـ أي ابتـدأ إنزاله في ليلة القـدر. فهو ضعيف، وقد روى عنه الطـبري أيضا القـول الآخـر بسـند آخر عن الشعبيّ، في قوله: إنَّا أنْزلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ قال: بلغنا أن القرآن نـزل جملة واحـدة إلى السـماء الـدنيا.اهـ فهـذا نص من الشـعبي في ما بلغه عن المتقـدمين في

القرآن، وأما الرواية الأولى فهي من رأيه وقوله، وقد تبين ضعفه بما تقدم.

وما ذكرنـاه يقويه الفـرق الواضح بين "أنزلنـاه" وبين "نزلنـاه"، فـالأولى تـدل على وقـوع الفعل مـرة واحـدة ودفعة واحـدة، وأما الثانية فإنها تـدل على وقوعه على دفعات.والله تعالى أعلم.

([48]) هـذا الكلام يؤكد أن المـراد بكلام الإمـام الطحـاوي هو نفي أن يكـون اللفظ القـرآن قد فعله واحد من المخلوقـات، ولـذا فهو ينص على نفي ذلـك. وليس المراد من كلامه هو أن الله تعالى قد تكلم بصوت وحرف كما تتكلم المخلوقـات، فـإن ذلك منفي بقوله "بلا كيـف"، وهو نفي صريح للحرف والصوت وسائر الكيفيات.

([49]) هـذه الفقـرة كلها تؤكد لك ما بينـاه من معاني كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي فيما سبق، فمراده رحمه الله هو نفي أن يكـون القـرآن قد ركب حروفه وأوجد كلماته أحد من المخلوقات، وليس مراده هو القول بـأن الله تعـالى قد تكلم به بحـرف وصـوت كما ادعى المجسمة.

([50]) هـذا نص صـريح في تكفـير المجسـمة والمشبهة، والذين يشبهون الله تعالى بأحد من خلقه.وفيه رد مباشر على من قـال من المجسـمة بـأن الله تعـالى يتكلم بالصـوت والحـرف، وبـأن كلامه عبـارة عن حـوادث متتالية يوجدها في ذاته، وهي عبارة عن أصوات وحروف، يوجـدها الله تعـالى بقدرته في نفسـه، وكل منها حـادث، لاحق لما قبله وسابق لما بعده، فهـذا معـنى من المعـاني الثابتة للبشر، فمن أثبتها لله تعالى فـإن الإمـام الطحـاوي ينص على كفره، هذا هو المفهوم من عبارته.

([51]) فما بالك بعد ذلك بمن لم ينزجر بهذا، بل وصف الله تعـالى بالمعـاني الثابتة للخلـق، ونسب إليه تعـالى ما لا يجـوز نسـبته إلا إلى المخلوقـات، وذلك كالمشـبهة والمجسـمة الـذين نسـبوا إليه تعـالى الحـرف والصوت الحادثين في ذاته بقدرته وإرادته.

([52]) قـال العلامة الأصـفهاني في المفـردات: الرؤية إدراك المرئي، وذلك أضـرب بحسب قـوى النفس. والأول:بالحاسة وما يجري مجراها، نحو لـترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين) وقوله تعالى(ويوم القيامة ترى الـذين كـذبوا على اللــه) وقولــه(فسـيرى الله عملكم) فإنه مما أُجـرِيَ مجـرى الرؤية الحاسـة، فـإن الحاسة لا تصح على الله تعالى عن ذلك، وقوله(إنه يــراكم هو وقبيله من حيث لا تــرونهم). والثــاني:بــالوهم والتخييل نحو أرى أن زيــدا منطلــق، ونحو قولـه(ولو تـرى إذ يَتـوفى الـذين كفـروا). والثالث: بالتفكر نحو(إني أرى ما لا ترون) والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) وعلى ذلك حمل قوله(ولقد رآه نزلة أخرى).اهـ

([53]) أي رؤية الله تعـالى فهي حق بمعـنى أنها واقعة لأهل الجنة، لا لغيرهم من أهل الـدنيا. فلا يـرى الله تعـالى أحد في الحيـاة الـدنيا كما هو ظـاهر كلام الإمـام الطحاوي وكما هو المعتمد عند كثير من أهل السنة.

أما وقوعها لأهل الجنة فقد دل على ذلك النصــــــوص التالية:

منها ما رواه الإمــام النســائي في ســننه الكــبرى عن جرير قـال خـرج علينا رسـول لله صـلى الله عليه وسـلم ليلة البــدر فنظر إلى القمر فقــال إنكم تــرون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته.

وقد رواه الإمام البخاري في صحيحه عن جرير قال كنا عند النــبي صــلى الله عليه وســلم فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال إنكم سترون ربكم كما تـرون هـذا القمر لا تضــامون في رؤيته فــإن اســتطعتم أن لا تغلبــوا على صـلاة قبل طلـوع الشـمس وقبل غروبها فـافعلوا ثم قـرأ { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

ورواه عنه أيضا النسـائي في سـننه الكـبرى. وفيه عن أبي هريرة بلفظ قلنا يا رسول الله هل نـرى ربنا قـال هل ترون الشـمس في يـوم لا غيم فيه وتـرون القمر في ليلة لا غيم فيها قلنا نعم قــال فــإنكم ســترون ربكم. وهو في المعجم الكبير للطبراني عن جريـر، وفي سـنن أبي داود،

وابن ماجـه، والسـنن الكـبرى للـبيهقي، وابن حبـان، وفي صحيح مسلم.

ورواه الإمـام أحمد عن أبي سـعيد الخـدري قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم انكم سـترون ربكم عز وجل قالوا يا رسول الله نرى ربنا قال فقـال هل تضـارون في رؤية الشمس نصف النهار قالوا لا قال فتضــارون في رؤية القمر ليلة البدر قـالوا لا قـال فـإنكم لا تضـارون في رؤيته إلا كما تضـارون في ذلك قـال الأعمش لا تضــارون يقول لا تمارون.

ورواه البخـــاري في صــــحيحه عن جرير بن عبد الله بلفظ: قال النبي صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم عيانا.

وهو في الترمذي عن أبي هريرة قال قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم أتضامون في رؤية القمر ليلة البــدر وتضامون في رؤية الشمس قـالوا لا قـال فـإنكم سـترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

ومنها ما رواه الإمـام أحمد عن عبـادة بن الصـامت أنه قال أن رسول اللـه صـلى الله عليه وسـلم قـال إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشـيت ألا تعقلـوا أن مسـيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطمــوس العين ليس بناتئة ولا حجزاء فإن ألبس عليكم قال يزيد ربكم فاعلموا أن ربكم تبارك وتعـالى ليس بـأعور وإنكم لن تـرون ربكم تبـارك وتعـالى حـتى تموتـوا قـال يزيد تـروا ربكم حـتى تموتوا.

فهــــذه الروايــــات كلها تــــدل على أن الرؤية واقعة للمؤمنين في يوم القيامة، لا في الحياة الدنيا.

([54]) الباء في قوله بغير، متعلقة بقوله والرؤية، أي إن الرؤية تكــون بغــير إحاطة ولا كيفيــة، فيجب نفي الكيف عن الرؤية، وقد سـبق بيـان معـنى الكيـف، ومضى ذكر أنه يجب نفي الكيف عن الله تعـــالى وصــــفاته. وأما الإحاطة، فلا يحيط بجلال قدر الله تعالى إلا هو جل شأنه، فلا يجـوز أن يتـوهم واحد أن الرؤية المشـار إليها تكشف

عن جميع صفات الله تعـالى، وجليل ذاتـه. ثم إن الإحاطة الفعلية لا تكـون إلا لمن له حـدود، وأما الله تعـالى فلا حد له ولا طرف ولا غاية، وقد سبق بيـان ذلك كلـه، فلا يجـوز أصلا نسـبة الحـدود والإحاطة إليه جل شـأنه، لانتفـاء ذلك عنه.

قـــال العلامة الغـــنيمي في شـــرحه على العقيـــدة الطحاوية:"ونقـول (الرؤيـة) إلى الـذات المقدسة المنزهة عن الإحاطة والجـوانب(حـق) أي ثابتة (لأهل الجنـة) لكن (بغير إحاطة) بجوانب المرئي وحـدوده، لتعاليه تعـالى عن التناهي بالجوانب والاتصاف بالجوانب والحدود (ولا كيفية) من مقابلة وجهة وارتسام، واتصال شعاع وثبـوت مسـافة بين الرائي والمرئي لأن هـذا كله في رؤية الأجسـام والله تعـالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الأجســام، فـإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجهة لا يـــرى إلا في مكـــان وجهة كما هو كـــذلك، ويُـــرَى بمقابلة واتصـال شـعاع وثبـوت مسـافة، ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم، فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة ولا بمقابلة واتصال شعاع وثبـوت مسـافة، وإلا لم تكن رؤية له، بل لغيره."اهـ

وهذا الكلام جيد ومفيد، إلا قوله "، فمن كان في مكان .... ويُرَى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة"اهـ، فـأول هذا الكلام صحيح بلا شك، وهو أن ما كـان في مكـان فإنه يـرى في مكـان، وأما القسم الثـاني، وهو أن ما كـان في مكان فظـاهر كلامه أنه لا يـرى إلا باتصـال شـعاع وثبـوت مسافة ومقابلـة، وهـذا غـير صـحيح، إن كـان هو ما أراده، فإن ما كان في مكان فإنه يمكن أن يُرى بلا اتصال شـعاع ولا مقابلة ولا جهة، ويمكن أن يكون معناه أنه كذلك عادة، وبنـــاءا على ذلك فلا إشـــكال. فالرؤية في الحقيقة صـــفة كاشـــفة، وهي قائمة في الـــرائي، وتكشف عن المـــرئي، وعليه فإن الرائي يمكن أن يكـون لا في مكـان، ويـرى ما هو في مكـــان، ولا يشـــترط في الرؤية عنه أهل الســـنة اتصال شعاع، وغير ذلك من الشروط العاديـة، كما أشـار، وإلى ذلك نبه العلامة الطحاوي في قوله "بلا كيفة".

هـذا واعلم أن ابن تيمية قد فسر قـول السـلف ومنهم الطحـــاوي"أن الله تعـــالى يُـــرى بلا إحاطـــة" بـــالمعنى التالي:"أي إن الله تعالى وإن كان له حدود، إلا أن الـرائي لا يحيط بحــدوده، كما إذا نظــرت إلى الســماء فهي وإن كانت محدودة إلا أنك لا تحيط بحدودها، فكذلك الله". هذا هو حاصل ما يقوله هـذا الرجـل، وهو يبـني ذلك كله على مذهبه في التجسـيم والقـول بـأن الله تعـالى محـدود من جميع الجهات، وهو مذهب باطل مرذول، لا يقـول به واحد من أهل السنة، ولا ينفع ابن تيمية أن ينسـبه إلى السـلف والعلماء المتقدمين، فإن مجرد نسبته إليهم، لا يعـني أنهم قد قـــالوا به فعلا ؟! بل هم قد صـــرحوا بنفي الحـــدود والكيفية كما ترى كلام الإمام الطحاوي.

([55]) هذه الآيات من سورة القيامة، فقد اختلف فيها أهل التأويل كما قـــال الإمـــام الطـــبري، روى عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد: أي تنظر إلى ربها نظــرا. وروى بسنده عن الحسن قال:حسنة إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: تنظر إلى الخــــالق، وحُـــقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق. وروى عن عطية العوفي، في قولـه: وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فـذلك قولـه: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ.

وروى الإمام الطبري بسنده عن مجاهد، عن ابن عمر، قـــــال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكه وسُرُرِه وخدمه مسـيرة ألف سـنة، يـرى أقصـاه كما يـرى أدنــاه، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشـية». وروى عن أبي الصـهباء الموصـلي، قـال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، من يرى سرره وخدمه ومُلكَهُ في مسيرة ألف سـنة، فـيرى أقصـاه كما يـرى أدنـاه وإن أفضلهم منزلة، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية».

وذكر الإمــام الطــبري أن آخــرين قد خــالقوا في ذلك فقال: وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تنتظر الثواب من ربها. وروى ذلك بسنده عن منصور، عن مجاهد، قال: كان

أناس يقولون في حديث، «فـيرون ربهم» فقلت لمجاهـد: إن ناسا يقولون إنه يُرَى، قال: يَرى ولا يراه شيء.

ثم قال الإمام الطبري: "وأولى القولين في ذلك عنـدنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرِمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جـاء الأثر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم."اهـ ثم شرع في ذكر الروايات الدالة على ذلك، من ذلك ما رواه بسنده ، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ?: «إنَّ أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَـةً، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ ألْفَيْ سَنَةٍ قـال: وإنَّ أفضَـلَهُمْ مَنْزِلَـةً لَمَن يَنْظُـرُ في وَجْـهِ اللَّهِ كُـلَّ يَـوْم مَـرَّتَين قـال: ثم تلاَ: وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: بالبياض والصفاء، قال: إلى رَبِّها نـاظِرَةٌ قـال: تنظر كـلّ يـوم في وجه الله عـزّ وجلّ».

وروى عنه أيضا عن ابن عمـــر، قـــال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكه وسُـرُره وخدمه مسـيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشـية». وروى هـذا الحديث أيضا الترمذي عن ابن عر ثم قال: ثم قرأ رسـول الله صلى الله عليه وسلم { وجوه يومئذ ناضـرة إلى ربها ناظرة } قـال أبو عيسى وقد روي هـذا الحـديث عن غـير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن بن عمر مرفوع ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثـوير عن بن عمر موقـوف وروى عبيد الله الأشـجعي عن سـفيان عن ثـوير عن مجاهد عن بن عمر قوله ولم يرفعه حـدثنا بـذلك أبو كـريب محمد بن العلاء حدثنا عبيد الله الأشجعي عن سـفيان عن ثـوير عن مجاهد عن بن عمر نحوه ولم يرفعه.اهـ والحديث ضـعيف من جهة ثوير ابن أبي فاختة.

وروى الطبري عن أبي الصـهباء الموصـلي، قـال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، من يرى سرره وخدمه ومُلكَـهُ في مسـيرة ألف سـنة، فـيرى أقصـاه كما يـرى أدنـاه وإن أفضلهم منزلة، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية».

قال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي في "إشارات المـرام من عبـارات الإمـام" ص201: "(قـال في شـرح

الوصــية والفقه الأكــبر:ولقــاء الله تعــالى) أي كونه مرئيا (لأهل الجنــة) زيــادة في إكــرامهم فيها (حــق) أي ثــابت بالدلائل القطعيات من بينات الآيات، ومشهورات الروايات واقع (بلا كيفيــة) أي ملابسا لعــدم الكيفيــات المعتــبرة في رؤية الأجسام والأعراض لما سيأتي من البيان(ولا تشــبيه) له تعالى بشيء من المخلوقات (ولا جهة) له ولا تحيز في شيء من الجهات، وفيه إشارات:

الأولى: أنه تعالى يرى بلا تشبيه لعباده في الجنة بخلق قـــوة الإدراك في الباصــــرة من غــــير تحـــيز ومقابلة ولا مواجهة ولا مسامتة.

الثانيـــــة: إمكـــــان ذلك وثبوته بالآيـــــات والأحـــــاديث المشهورة، وإليه أشار بــالحق في مقــام الاســتدلال، وهي كثيرة. منها قوله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وعليه الصــلاة والســلام:"ربِّ أرني أنظُــرْ إليــك، قــال لن تــراني ولكن انظر إلى الجبل فإن اســتقر مكانه فســوف تــراني" الأعراف 143، وقوله تعالى"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها نــاظرة" القيامة 22-23، وقوله تعــالى"للــذين أحســنوا الحسنى وزيــادة"ســورة يــونس26. روى أبو بكر الصــديق رضي الله تعالى عنه عن النبي صــلى الله عليه وســلم أنه قال: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى.

ومنها ما رواه عبدالله بم عمر رضي الله تعالى عنهمــا، عنه عليه الصــلاة والســلام أنه قــال:"إن أكــرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غُـــدوَةً وعَشِـــيَّة، ثم قـــرأ: وجـــوه يومئذ ناضــــرة إلى ربها نـــاظرة" وغـــير ذلك كما سيأتي.

الثالثة: الــرد على فــرق المبتدعة كالمشــبهة والكرامية النافية للرؤية بلا مكـــــــــان ولا جهة زالمعتزلة والنجارية والخوارج النافية لمطلق الرؤية. ولا نــزاع لهم في إمكــان الانكشاف التام العلمي، ولا لنا في امتناع ارتسام الصورة أو اتصال الشعاع، أو حالة مستلزمة لــذلك. بل الــنزاع في أنا إذا نظرنا إلى البــدر، فلنا حالة إدراكية نســـميها الرؤية مغايرة لما إذا أغمضنا العين وإن كان ذلك انكشــافا جليــا، فهل يحصل للعباد بالنسبة إلى الله تعــالى تلك الحالة وإن

لم يكن هناك مقابلة. كما في شرح المقاصد وغيره. وإليه أشار بقوله (يـراه المؤمنـون وهم في الجنة دون المـرئي تعالى(بأعين رؤوسهم) لا ببصائرهم فقط لعدم النزاع فيه.

الرابعة: أن المراد بنفي الكيفية والجهة خلو تلك الرؤية عن الشــرائط والكيفيــات المعتــبرة في رؤية الأجســام والأعراض مع سـلامة الحاسة وكـون المـرئي بحيث يمكن رؤيته من المقابلة والعـدم القـرب القـريب والبعد البعيـد، واللطافة والحجــاب، لا بمعـــنى خلو المقابلة أو الـــرائي والمرئي عن جميع الحالات والصفات على ما يفهم أربـاب الجهالات، فيعبرضون بأن الرؤية فعل من أفعال العبــاد أو كسب من أكســابه، فبالضــرورة يكــون واقعا بصــفة من الصفات، وكذا المرئي بحاسة العين لا بد أن يكون له حال أو كيفية من الكيفيات كما في شرح المقاصد، وإليه أشـار بالاكتفاء بقوله فيه(ولا يكـون بينه وبين خلقه مسـافة) ولا قـرب ولا بعد ول احجـاب ولا مقابلـة، فـإن تلك الشـروط مبنية على الاستقراء، ولا يقـاس أمر الآخـرة بـأمر الـدنيا كما في التعديل.

فأشار بإضافة اللقـاء إليه تعـالى والبيـان بما بعـده إلى أن المـراد من الرؤية أن يحصل انكشـاف للعبـاد بالنسـبة إلى ذاته المخصوصة سـبحانه، ويجـري مجـرى الانكشـاف الحاصل عند إبصار الألوان والأضواء.

والانكشاف يجب أن يكون على وفق المكشـوف، فـإن كان المكشوف مخصوصا بالجهة والحـيز، وجب أن يكــون الانكشـاف كـذلك، وإن كـان المكشـوف منزها عن الجهة والحيز وجب أن يكـون انكشـافه مـنزه عن الحـيز والجهة كما في الأربعين للرازي.

هــذا والآية الأولى تــدل على إمكــان رؤيتــه. وذلك أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والســلام طلب الرؤية ولم يكن عابثا ولا جـاهلا والله علقها على اسـتقرار الجبل وهو ممكن في نفســـه. وما يقـــال على الأول أنه إنما طلب العلم الضــروري أو رؤية آيــة، ولو ســلم فلقومه ولزيــادة الطمأنينة بتعاضد العقل والســـمع، ولم ســـلم فالجهل بمسألة الرؤية لا يخل بالمعرفة، فقد ردّ بـأن "لن تـراني"

نفي للرؤية لا للعلم، أو رؤية الآيـة، كيف والعلم حاصـل؟ والآيـات كثـيرة، والحاصل منها حينئذ إنما هو على تقـدير الاندكاك دون الاستقرار.

والرؤية المقرونة بـالنظر الموصـول بـإلى نص في معناها.

والقـوم إما مصـدقون لموسى عليه الصـلاة والسـلام فيكفيهم إخبـاره بامتنـاع الرؤية أو لا فلا يفيد حكايته عن الله تعالى، ولا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم تأخير رد الباطل كما في طلب جعل الإلـه، ولا طلب الـدليل بهـذا الطريق، ولا الجهل في الإلهيات بما يعرفه آحاد المعتزلة.

وعلى الثـاني أن المعلق عليه اسـتقرار الجبل عقيب النظر وهو حالة اندكاك يستحيل معها الاسـتقرار. وردَّ بأنه ممكن ضـرورة وإن لم يقع ليلـزم وقـوع الرؤيـة، وإنما المستحيل اجتماعهما.

والآيـات الأخر تـدل على وقـوع الرؤيـة، إذ النظر الموصول بإلى إما بمعـنى الرؤية أو ملـزوم لهـا، أو مجـاز متعين فيها، وكذا اللقاء بشهادة العقل والنقل والاستعمال والعرف.

وما يقال: إن "النظر" قد يكون بمعنى الانتظار و"إلى" قد تكـون اسـما بمعـنى النعمـة. والنظر قد يتصف بما لا يتصف به الرؤية كالشـدة والازورار، ونحوهمـا، وقد يوجد بـدونهما مثل نظـرت إلى الهلال فلم أره، وتقـدير "إلى ثواب ربها" احتمال ظاهر منقـول، فقد رُدَّ بـأن الانتظـار لا يلائم سـوق الآية ولا يليق بـدار الثـواب، وكـون إلى ههنا حرفا ظاهر لم يعدل عنه السلف.

وجعل النظر الموصـول بـإلى للانتظـار تعسـف. وكـذا العـدول عن الحقيقة أو المجـاز المشـهور إلى الحـذف بلا قرينة معيِّنةٍ، كما في المقاصد.

وأما الأحـاديث المشـهورة الدالة على وقـوع الرؤيـة، فكثيرة أشـهرها ما ذكـره حيث (قـال في رواية القاضـي) ابن عبد البـاقي (الأنصـاري و) ابن عبد الله بن خسـرو (البلخي) والقاضي أبي زكريا موسى (الحصكفي: حدثني إسـماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي زكريا البجلي)

التابعي الجليل، روى عن العشرة المبشرة (عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تَضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ" بفتح أوله وتشديد الميم وحذف إحدى التاءين: أي لا ينضمن بعضكم إلى بعض في وقت النظر لما ينوبه من المشقة بسبب الإشكال والاختفاء.

وفي رواية بضم أوله وتخفيف الميم من الضيم – تُضامُونَ- أي لا يلحقكم في رؤيته ضيم ومشقة، ويعضدها رواية "لا تضارون" من المضارة بمعنى المضايقة: أي لا تضايقون في الرؤية غيركم بحيث تلحقون الضرر بهم، بل يرى كل أحد كما ينبغي، ففيه كشف عن وجه تشبيه الرؤية، وأنها تقع على الانكشاف التام، ودفع لإيهام تشبيه المرئي بالمرئي في المقام، وهو حديث مشهور روى القدر المشترك منه سبعة وعشرون صحابيا رواه أمير المؤمنين أبو بكر الصديق، وعلي وعبدالله بن عمر، وابن مسعود، وابن عباس وأُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وجرير بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، وأبو رزين لقيط العقيلي، وجنادة بن أبي أُميَّة، وأنس بن مالك، وصهيب بن سنان، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وأبو أمامة الباهلي، وأبو بريدة وثوبان وعبد الله بن حارث الزبيدي، وعبادة بن الصامت، وفضالة بن عبيد، وبريدة، وعمارة بن رويبة الثقفي، وعدي بن حاتم الطائي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما في شروح البخاري وروى منهم ثمانية وعشرون شيخا بأكثر من ستين طريقا.

ولما كان الأصوب في هذه المسألة أن يتمسك بالدلائل السمعية لكونها أسرع في إلزام المبتدعة، ثم معارضة شبههم بالأدلة العقلية كما ذكره أبو منصور الماتريدي، واختاره محققو الأشاعرة، أشار الإمام في المقام إلى ما يثبت به المرام، من الدلائل السمعية، وأشار إلى دفع شبه المبتدعة، معارضة بما ثبت مما حاله حال الرؤية في القرب والإقبال والمجاورة، أو ردًّا للمختلف إلى المختلف، فإنه الطريقة المسلوكة للسلف

دفعا لما تمسك به المخـالفون. اهــ ، وشـرع بعد ذلك في إيراد به الردود على المخالفين.

وقــال الإمــام السـمرقندي في الصـحائف: اتفق أهل السـنة على جـواز رؤية الله تعـالى منزها عن المسـامتة والمحـــاذاة والمكـــان خلافا لجميع الفـــرق. والمشـــبهة والكرامية وإن جـوزوا رؤية الله تعـالى لكنهم إنما جـوزوا لاعتقـاد كونه تعـالى في المكـان والجهة وأما بتقـدير أن يكون تعالى منزها عن المكان والجهة فيحيلون رؤيته.

وهـذا البحث مما ليس للعقل اسـتقلال في إثباته وغاية سعينا ليست إلا بيان الجواز وهذا القدر كـاف ههنـا، إذ هو مع قـول الصـادق يفيد الغـرض، ويبطل قـول المنكـرين، لأنهم يحيلونها.

وبيانه: أنَّا قد بينا في بحث الإدراكات أن إدراك الجزئي قد يكون بأن يدرك مثاله ويستدل بـذلك المثـال عليه وهو التخيل، والتـوهم ، ويجـوز فيها غيبوبة المـدرك وقد يكـون بـأن يـدرك نفسه بـدون توسط المثـال، ويجب أن يكـون المدرك حاضرا ولـذلك يسـمى مشـاهدة فالمشـاهدة هي إدراك نفس الموجود فمن حصل له هذا النوع من الإدراك سواء كان بالحاسة أو لا يتحقق له المشاهدة ضرورة.

وإذا عرفت ذلك فنقول:

قد بيَّـــنَّا في الصـحيفة الخامسة أن الله تعــالى كامل العلم، تام الإدراك لا يعزب عن عنه شـيء فيكـون مـدركا للأشـياء بأعيانها لامتنــاع التخيـل، والتـوهم عليـه، وهويته الموجـــودة ليست غائبة عنه فيكـــون مـــدركا لنفس هويته الموجوده بدون توسط المثال، وإذا أدركها بـــدون التوسط تكـــون هويته الموجـــودة مشـــاهدة له فجـــاز على هويته المجـردة من الأين والكيف أن تكـون مشـاهدة، فعلم أن هويته الموجــــودة قابلة للرؤيـــــة، فلم يبعد أن يخلق الله تعالى قوة هـذا الإدراك في الباصـرة بعد البعث، فجـاز أن يـرى إذا تجلى من غـير تشـبيه، ولا تكـييف ولا محـاذاة ولا مسامتة.اهـ

وهذا الكلام على اختصاره كبير الفائدة ويكفي في هـذا المقام.

([56]) لما أثبت الإمام الطحاوي أصل الرؤية، بلا كيف ولا تشـبيه، صـرح بأنه لا يجـوز لواحد أن يتـوهم أنه يرى ربه كما يرى بقية الأشياء، فلا يجوز توهم الرؤية على نم معين بأن يقال إنها تكون مع كون الله تعالى مقـابلا لنا ونحن مقابلين له، فإن هذا هو قول المشبهة، والمجسمة، وقد قال به ابن تيمية وادعى الإجماع على ذلـك، بل ادعى أن هـذا هو قـول السـلف والخلف من العلمـاء. وما هو إلا قول المبتدعة من المجسمة وغيرهم.

فالحاصل إذن أنه يجب علينا الإيمـــان بالرؤية ولكن لا يجوز لنا الخوض فيها وتشبيهها برؤية الأمور المخلوقة. فلا يجــوز الركــون إلى أوهامنا وأهوائنا في مثل ذلك الأمــر. والـواجب في ذلك كله أنه يجب التسـليم لله تعـالى. ورد علم حقيقة ذلك إليه عز وجل.

والاستســـلام لله تعـــالى لم تطبقه إلا أهل الســـنة والجماعة. فإن المشبهة لما قـالوا إننا لا نـرى أحـدا إلا إذا كان في جهة وحيز، واعتقـدوا أننا نـرى الله تعـالى، قـالوا بعد ذلك إنه تعالى يجب أن يكـون في جهة وحـيز. فهم لم يسلموا لله تعالى في هـذا الأمـر. وكـذلك المعتزلة فـإنهم قالوا: إذا كانت رؤية كل واحد من الأمور الموجـودة لا تتم إلا بكونه في جهة وحـيز، فلا يمكن أن رى الله تعـالى إذن لأنه لا يمكن وجوده في جهة وحيز. فهؤلاء قاسـوا الخـالق على المخلوق فنفـوا الرؤيـة، وأولئك قاسـوا الخـالق على المخلوق فأثبتوا الجهة والحيز والمقابلة !

وأما أهل السـنة فـإنهم قـالوا: لما كـان الله تعـالى لا يمكن كونه في جهة ولا حــيز. وثبت بالأدلة النقلية وقـــوع الرؤية، فإننا نقول بأنها رؤية لا في جهة ولا في حيز، فكما يرى المتحـيز متحـيزا، فكـذلك يـرى اللامتحـيز لا متحـيزا. فكل رؤية فهي مناسبة لما تكشف عنه. وأما حقيقتها فقد قالوا: إننا يكفينا أن نعرف ثبوتها، وأما حقيقتها فإننا نــترك ذلك إلى عالمه عز وجـل، ولما لم نكن نملك الآلات الـتي تؤهلنا للخوض في مثل هذه المبـاحث، فإننا نفـوض العلم بحقيقة ذلك كله إلى الله تعالى، ونسلم له فيما أخبرنا.

([57])	أي إن الـذي يـدعي أن الرؤية لله تعـالى تكون عن طريق حصـول صـورته فينا بهيئة وكيفية معينـة، فإن هذه الرؤية ليست الرؤية التي يصح إثباتها لله تعـالى، وهـذا هو قـول المشـبهة، فـإنهم يتوهمـون أن رؤية الله تعـالى إنما تكـون بتـوهم صـورة وحصـول هيئة في نفس الإنسان. وكيف يكون الأمر كـذلك، والله تعـالى مـنزه عن الكيف والصورة ؟!

([58])	وكما كـان مـذهب المشـبهة بـاطلا، فـإن مذهب من يحـاول أن يعين حقيقة الرؤية باطل أيضـا، لأن ذلك مما حجب عن عقل الإنسـان، فلا توجد آلات ولا مقـدمات العلم بـذلك عنـدنا. وما كـان كـذلك فالأصل أن نتوقف فيه ولا نبـادره بأفهامنا لأن ذلك يكـون مـرده إلى الخطأ والضلال.

([59])	هـذه الفقـرة تمثل منهجا يتفـرد به أهل السـنة والجماعة في التفـويض لله والاعـتراف أنه ليس كمثله شيء.

([60])	قال في القاموس: التعالي الارتفـاع.اهــ. فقول الإمام الطحاوي تعـالى الله أي ارتفع عن أن يكـون له حد وركن وعضو وجهة، فهـذا علو في الرتبة والمعـنى، فحقيقة الله تعالى أجل من أن يكون لها ما ذكر. لأن هـذه الأمـور كلها صـفات نقص وتسـتلزم الحاجـة. والله تعـالى ليس بحاجة لأحد غيره، بل كل ما سواه فهم بحاجة له.

([61])	الحدود جمع حـدٍّ، وحد الشـيء هو طرفه ونهايتـه. قـال في القـاموس: الحَـدُّ: الحـاجِزُ بينَ شَـيْئَيْنِ، ومُنْتَهى الشيءِ، و ـ من كُلِّ شيءٍ: حِدَّتُهُ، و ـ مِنْـكَ: بأسُـكَ، و ـ من الشَّرابِ: سَوْرَتُهُ، والدَّفْعُ، والمَنْعُ، كالحَـدَدِ، وتـأديبُ المُذْنِبِ بما يَمْنَعُهُ وغيرَهُ عن الـذَّنْبِ، وما يَعْتَـرِي الإِنْسـانَ من الغضبِ والنَّزَقِ، كالحِدَّةِ، وقد حَدَدْتُ عليه أحِدُّ، وتمييزُ الشيءِ عنِ الشيءِ، ودارِي حَديدَةُ دارِهِ، ومُحادَّتُهـا: حَـدُّها كحَدِّها.اهـ

وقال الفيومي في المصباح المنير: وحددت الـدار حـدّا من باب قتل :ميزتها عن مجاوراتها بذكر نهاياتهـا، وحددته حدّا جلدته والحد في اللغة الفصل والمنع.اهـ

وأما قوله الغايـات فهو جمع غايــة، وغاية الشــيء هي منتهاه قال في القاموس: والغاية المَدَى.اهـ

وقـال الفيـومي في المصـباح المنـير: والغاية المـدى، والجمع غايٌ وغايات، والغاية الراية والجمع غايات، وغَيَّيْتُ غاية بيَّنتُها وغايتك أن تفعل كـــــــذا أي نهاية طاقتك أو فعلك.اهـ

والحاصل كما رأيتَ مما هو مـــذكور في كتب اللغة أن حدَّ الشيء هو طرفة وغايته ونهايته التي تميزه عن غيره. وهـذا كما هو معلـوم لا يسـتلزم أن كل ما هو متمـيز عن غيره فيجب أن يكون له طرف ونهاية وغاية، وحدٌّ، بل كل ما هو محدود فهو متميز عن غيره، ولا يقـال أن كل ما هو متميز عن غيره فهو محـدود. فـافهم هـذا فـإن المجسـمة عندما لم يتنبهوا له وقعوا في التشبيه.

وكذلك الغاية هي النهاية وقد أتى الإمام الطحاوي بهذه الكلمة تفسيرا وتوضيحا لكلمة الحد، وقد رأينا أن معناهما قريب ويؤولان إلى بعضهما البعض.

ولهذا فقد نبه إليه الإمـام الطحـاوي فنفى الحـدود عن الله تعـالى، ولكنه لم ينف التمـايز، فـإن تمـيز الله تعـالى عن خلقه لا يكون بالحد ولا بالنهاية، ولا بالغاية.

ذلك كــان المعــنى المفهــوم باللغة من الحد والغايــة. والله تعــالى مــنزه عن ذلك كلــه، لما يــترتب عليه من احتيـاج. ولعـدم وروده في الشـريعة، بل لـورود ما ينفيه وينافيه فيها، ولورود أقوال كثير من السلف في نفي الحد والغاية عنه جل شأنه. والذين أثبتوا له تعـالى الحد والغاية هم المجسـمة والمشـبهة. وأما أهل السـنة فقد نفـوا عنه ذلك نفيا قاطعا.

لقد مرَّ سـابقا أن الله تعـالى لا يشـبه شـيئا ولا يشـبهه شــيء، ومعلــوم أن كل موجــود ســوى الله تعــالى فهو محدود، فالسماء والأرض محـدودة ولها نهايـات ومقـادير. فـإذا كـان الله تعـالى له حـدٌّ فإنه يكـون مثل المخلوقـات وكيف يكون ذلك صحيحا وهو ليس كمثله شيء.

وأيضا فإن الحدَّ صفة نقص، فإنه من المعلـوم أن غـير المحدود أقوى من المحدود، وتفصيل ذلك أن الحدَّ إما أن

يكون من قبيل المكـان أو الزمـان. ومعـنى الحد المكـاني هو إحاطة المكـان بالـذات، ومعلـوم أن الـذات إذا كـانت محاطة بالحد المكـاني فـإن قـدرتها تكـون محـدودة بالحد المكاني الثابت لها، فالحد المكاني صفة نقص إذن.

وأما الزمـان فـإن الـذات إذا كـانت محـدودة بالزمـان، فإنها تنعدم خارج هذا الحد الزمـاني. فالحد الزمـاني مقيد لها ومحدد لوجودها، وواضح أن هذا نقص.

فالزمــان والمكــان إذن صــفات نقص، والله تعــالى لا يمكن أن يتصف بصفات نقص. إذن فهو جل شأنه لا يمكن أن يتصف بالحدود.

ومعلوم أن الحد الذي قصـده الإمـام الطحـاوي هو من قبيل الحد المكـاني، وقد تـبين لك أن المكـان أصلا نقص للذات المتمكنـة. فهو بنفيه للحد المكـاني يكـون قد قصد نفي أصل المكان عن الله تعالى.

وتأمل قوله "وتعالى الله عن الحدود" فهو ينفي مطلق الحدود عن الله تعالى، ولا ينفي حدا معينا، بل كل ما كان من قبيل الحدود فإنه منفي عنه جل شأنه. وهذا يعم الحد المكاني والزمـاني. ويعم الحد المعنـوي أيضـا، بمعـنى أن قدرته تعــــالى ليست محــــدودة، بل هي متعلقة بجميع الممكنــــات، وعلمه تعــــالى متعلق بجميع الواجبــــات والمســتحيلات والممكنــات. وكــذلك فيما يتعلق ببــاقي الصفات العلية.

وقد يقـال إن كلامه يشـمل أيضا الحد بمعـنى أن يـذكر لله تعالى حدٌّ بمعنى التعريف، وهو ممتنع على الله تعالى، لأن الحد المنطقي يسـتلزم ثبـوت الجنس أو النـوع وعلى كل حال يسـتلزم الاشـتراك بينه تعـالى وبين غـيره، وهـذا ممنوع. فلا يعلم حقيقة ذاته أحد غيره، ولا يوجد حد يمكن للبشر أن يقولوه فيعرفون به حقيقته تعالى.

كل هــذه المعــاني يمكن أن تفهم من كلامه رضي الله تعالى عنه. وقد يكون في الأخير فقط تكلف. فتأمل.

وقد يقول قائل: فما دام الأمر واضـحا إلى هـذا القـدر، أي ما دام نفي الحــدود عنه تعــالى واضــحا، فمن الــذي خالف فيه وأثبت الحد لله تعالى.

قلنا: ذكر الإمام البغدادي في كتـاب التبصـرة البغدادية المسمى بأصول الدين الفرق الـتي أثبتت الحد لله تعـالى فقــال في ص73:"المســألة الخامسة من الأصل الثــالث في نفي الحد والنهاية عن الصـــانع، وهـــذه المســـألة مع فرق،منها الهشـامية من غلاة الـروافض الـذين زعمـوا أن معبـودهم سـبعة أشـبار بشـبر نفسـه، ومنهم من قـال إنَّ الجبل أعظم منه كما حكي عن هشـــــــــام بن الحكم، والخلاف الثاني مع الكراميَّة الذين زعموا أن له حدا واحدا من جهة السفل، ومنها يلاقي العرش، والخلاف الثالث مع من زعم من مشـــبهة الرافضة أنه على مقـــدار مســـاحة العـرش لا يفضل من أحـدهما عن الآخر شـيء.اهــ فهـذه الفـرق هي الـتي قـالت إن الله تعـالى محـدود، واعلم أن القاضي أبا يعلى الحنبلي قال بـأن الله تعـالى محـدود من جهة العرش، فهو محـدود عنـده بحد واحد فقـط، وأن ابن تيمية لم يـرتض ذلـك، بل قـال إن الله تعـالى محـدود من سائر الجهات الست، وادعى هـذا كعادته أن هـذا هو قـول أهل السـنة. وقد قـال ابن تيمية بـأن الله تعـالى له قـدر معين ويريد بالقدر معـنى الحجم، فله حـيز بمعـنى الحجم المعين وقد صرح بهذا في أكثر من موضع في كتبه.

وقد رأينا أن الإمــام الطحــاوي قد نفى الحــدود مطلقا عن الله تعـــالى، فشـــمل ذلك الحد الواحد والحـــدود وإن تعددت، كما مضى بيانه.

وممن نفى الحد برواية مشـــهورة عنه الإمـــام الحافظ أبن حبـان، فقـام عليه مجسـمة بلدتـه، وأخرجـوه منهـا. وممن روى ذلك موافقا لهـؤلاء المجسـمة أبو ذر الهـروي صـــــاحب كتـــــاب ذم الكلام، فقد قـــــال في كتابه ص 278:"وسـألت يحـيى بن عمـار عن أبي حـاتم بن حبـان البستي قلت له، أرأيته، قال: كيف لم أره، ونحن أخرجناه من سجسـتان، كـان له علم كبـير ولم يكن له كثـير دين، قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه من سجستان. "

وروى أبو ذر الهـروي أيضا قـال: "سـمعت عبد الصـمد بن صالح يقول، سمعت أبي يقول: أنكـروا على ابن حبـان قوله النبوة العلم والعمل، فحكمـوا عليه بالزندقـة، وهُجِـرَ

فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله. وسمعت غيره يقول: لذلك خرج إلى سمرقند".اهـ

هـذه هي منزلة ابن حبـان عند هـذا المجسم الكبـير، وابن حبـان إمـام كبـير لا يخفض من منزلته أن يـروي عنه مجسم كالهروي أخبارا كهذه، وليت شعري، فإذا كـان ابن حبان باعتراف هؤلاء ينفي الحـد، وهم كـانوا يثبتونـه، فمن الأولى بالتشنيع والهجـر، آلـذي يـنزه ربه أم الـذي يشـبهه بخلقه؟!

وقد أشـار الإمـام العلامة تـاج الـدين ابن السـبكي إلى هـذه الحادثة في كتابه المفيد طبقـات الشـافعية الكـبرى(2/13) فقــال:"ومن ذلك قــول بعض المجســمة في أبي حــاتم ابن حِبَّان:لم يكن له كبــير دين، نحن أخرجنــاه من سجســتان، لأنه أنكر الحد للــه. فيــاليت شــعري من أحق بــــالإخراج؟ من يجعل ربَّه محـــــدودا أو من ينزهه عن الجسمية.؟"

وممن أثبت الحــــدَّ أبو ســـعيد الــــدارمي المجسم المشهور، فقد قال في كتابه في الرد على بشر المريسي ص23:"وادعى المعـــارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية"، ثم قـال:"قـال أبو سـعيد: والله تعـالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجـوز لأحد أن يتـوهم لحـده غاية في نفســه، ولكن نــؤمن بالحــد، ونكل علم ذلك إلى اللــه. ولمكانه أيضا حد، وهو على عرشه فـوق سـمواته، فهـذان حدان اثنان". ثم قال في صفحة 24:"فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد ردَّ القرآن".اهـ

فتأمل في قول هذا الجاهل كيف يغالي في إثبات الحد هتى يجعله ثابتا في القرآن، ويكفر من ينفيه؟! وقارن بينه وبين قـــول الإمـــام أبي جعفر الطحـــاوي بنفي الحـــدود والنهايات والغايات.

([62]) قــال في القــاموس: والــرُّكْنُ. بالضــم: الجانِبُ الاقْوَى.اهـ

وقــال الفيــومي في المصــباح المنــير: وركن الشــيء جانبه، والجمع أركـان مثل قفل وأقفـال، فأركـان الشـيء أجزاء ماهيته، والشروط ما توقف صحة الأركان عليها. اهـ

وأما معـنى العضو فقد قـال في القـاموس: العُضْـو، و بالضم والكسر: كلُّ لَحْمٍ وافِرٍ بِعَظْمِهِ. والتَّعْضِيَةُ: التَّجْزِئَةُ، والتَّفْرِيقُ، كالعَضْوِ.اهـ

وقـال الفيـومي في المصـباح المنـير: والعضة القطعة من الشـــيء، والجـــزء منـــه، ولامها واو محذوفة والأصل عضــوة، والجمع عضــون على غــير قيــاس، مثل ســنين، والعضو كل عظم وافر من الجســــــــد، قاله في مختصر العين. وضم العين أشـــهر من كســـرها، والجمع أعضـــاء. وعضَّيت الذبيحة بالتشديد: جعلتها أعضاء.اهـ

وقـال الفيروزآبـادي في بـاب الإداوة: والأَداةُ: الآلَـةُ ج: أَدَواتٌ.اهـ وكذا قال الفيومي في مصباحه.

فهذا ما يتعلق بالمعاني لالغوية لهـذه الألفـاظ الثلاثـة، وأنت تـرى أن جميعها يـدور على معـنى واحد هو الجـزء للـذات والتبعيض عليهـا. والإمـام الطحـاوي قد نفى جميع هذه الألفاظ من حيث ما تدل عليه من المعاني المذكورة، إذن تعـرف من هـذا أن أهل السـنة ينفـون أن يكـون الله تعـــالى مركبا من أعضـــاء وأجـــزاء، وآلات، كما يتـــوهم المجسمة.

والمجسمة علامتهم أنهم يثبتون اليد مثلا لله تعالى، ولا ينفون كونها جارحة أو عضوا، ويتعللون بـأن نفي الأعضـاء والأدوات لم يرد لا في كتاب ولا في سنة، يتسترون بـذلك القـول على فضـائحهم في اعتقـاد التجسـيم. ونحن نـرى ههنا أن الإمام الطحاوي قد نفى مطلقا الأعضاء والأركـان والأدوات، ولم يتوقف في ذلك، ولم يقل إن لله تعالى يـدا هي عضو له أو هي ركن له أو جـزء منـه، ولم يقل مطلقا أن لله تعالى أركانا تليق بذاته، كما يقول هـؤلاء الحشـوية المجسمة.

([63]) الجهـات جمع جهـة. قـال ابن فـارس في معجم المقاييس :الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة لشــيء، والوجه مســتقبل كل شــيء، يقــال وجه الرجل وغيره، وربما عبر عن الذات بالوجه..وواجهت فلانا جعلت وجهي تلقــــــاء وجهـــــــه....والوِجهة كل موضع استقبلته.اهـ

وقــال الفيروزآبــادي في القــاموس: والوُجْــهُ، بالضم والكســر: الجـانِبُ، والناحِيَـةُ.اهــ وقـال: والجِهَـةُ، بالكسر والضم: الناحِيةُ، كالوَجْهِ والوِجْهَةِ، بالكسر، ج: جِهاتٌ.اهـ

وقــال الفيــومي في المصــباح: والوجه مســتقبل كل شــيء، وربما عــبر بالوجه عن الـذات، ويقـال واجهته إذا استقبلت وجهه بوجهـك، ووجَّهت الشـيء جعلته على جهة واحـــدة ووجَّهته إلى القبلة فتوجه إليهـــا، والوِجهة بكسر الـواو قيل مثل الوجه وقيل كل مكـان اسـتقبلته، وتحـذف الواو فيقال جهة، مثل عِدَة، وهو أحسن القوم وجها.اهـ

([64]) الستُّ، صفة للجهات، وذلك لأن الجهـات والنواحي الـتي يتوجه إليها الإنسـان في حركته هي سـت، تابعة لحركته، وهـذه الجهـات هي الأمـام والخلف والفـوق والتحت واليمين والشـــمال. فالحاصل من كلام الإمـــام الطحاوي رحمه الله تعالى أن الله لا يقال إنه في أي جهة من الجهات الست.

([65]) يعــني أن كل شــيء من المبتــدعات أي المخلوقـات فهو في جهة وله جهــة، وأما الله تعـالى فلما كان ليس كمثله شيء، فهو جل شـأنه موجـود بلا جهة ولا ناحية.

وهذا الكلام يفهم منه أن الله تعـالى لا يجـوز أن يكـون في جهة ولا في جهـات، فالإمـام الطحـاوي يـرد على كل من القائلين بوحدة الوجود والقائلين بالتجسيم وكـون الله تعالى على العرش قاعدا. فإن الله تعالى لو كان في جهة فإنه يكـون على العـرش مسـتقرا جالسا قاعـدا كما شـاء وبالكيفية الـتي أراد، على حد قـول المجسـمة، وبهـذا فهو يكون في جهة من الجهات، وهو بهذا يكون قد شابه بعض مخلوقاته. وأما لو كان في جميع الجهات، فإنه يكون حــالّا في العـالم ويـؤدي إلى القـول بوحـدة الوجـود، وهو قـول باطل. والإمـام الطحـاوي كما تـرى قد ردَّ بكلامه السـابق على كلا هـاتين الطـائفتين، وذلك لأنه قد نفى الكــون في الجهات الست، وهذا شـامل للكـون في جهة من الجهـات الست، وللكون في سائر الجهات الست.

ونحن إذ وصلنا إلى هذا الحد نحب أن نذكرك بقول الإمام الطحاوي المار آنفا:" ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر"، فهذه العبارة كانت عامة أو مطلقة، وإنه الآن قد وضح ما هي المعاني الثابتة للبشر والتي لا يجوز لأحد أن يثبتها لله تعالى، والتي من أثبتها لله تعالى فإنه كافر كما نص عليه الإمام الطحاوي. وهذه المعاني هي الجهة والحد أو الحدود، والأعضاء. وتنبه إلى قوله أن من أثبت لله تعالى هذه المعاني، فإنه كافر، فقد رتب الحكم بالتكفير على مجرد إثبات هذه المعاني، ولم يرتب الحكم على إطلاق هذا الاسم، ويفهم من ذلك أن من أطلق الاسم وأراد هذه المعاني فهو كافر. ومن أطلقه ولم يرد هذه المعاني فلا يجزم بكفره، وأما من لم يطلقه ولكنه أراد هذه المعاني فإنه كافر بالله تعالى العظيم. هذا هو المفهوم من كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى.

فالحالة الوحيدة التي تحتمل التفصيل عنده، هي من أطلق اللفظ ولم يكن هناك دليل على إرادته لهذه المعاني، فهذا ما الحكم فيه، هل يكفر أو لا. الظاهر والله تعالى أعلم أنه إذا كان المتبادر من اللفظ هذه المعاني ولم توجد قرينة من المتكلم لتصرف اللفظ عن هذا الظاهر، فإنه كافر، وأما إذا لم يكن كذلك، فإنه لا يكفر، بل يبتدع ويفسق، لأنه أطلق على الله تعالى لفظا موهما للنقص وغير وارد في الشريعة المطهرة ولم يدل على إرادته نفي هذا النقص عن الله تعالى.

([66]) قال صاحب الجوهري في الصحاح:عَرَجَ في الدرجة والسلم يعرُجُ عُروجا، إذا ارتقى. وقال: والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع معارج ومعاريج، والمعارج المصاعد.اهـ

([67]) قال الفيومي في المصباح: سريت الليل وسريت به سَريا والاسم السِّراية إذا قطعته بالسير وأسريت بالألف لغة حجازية، ويستعملان متعديين بالباء إلى مفعول فيقال سريت بزيد وأسريت به.اهـ

وقال الجوهري في الصحاح: وسَـرَيت سُـرىً ومَسْـرىً وأسْرَيْتُ بمعنىً، إذا سرت ليلا، وبـالألف لغة أهل الحجـاز، وجــاء القــرآن بهما جميعــا. ثم قــال: وإنما قــال تعــالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا)وإن كان السُّـرى لا يكـون إلا بالليـل، للتأكيـد، كقـولهم سِـرْتُ أمسِ نهـارا، والبارحة ليلا. اهـ

([68]) قـال الفيـومي في المصـباح: والشـخص سواد الإنسـان تـراه من بعـد،ثم اسـتعمل في ذاتـه، قـال الخطـابي ولا يسـمى شخصا إلا جسم مؤلف له شـخوص وارتفاع.اهـ

([69]) قـال الفيـومي في المصـباح:سـما يسـمو سـموا علا ومنه يقـال سـمت همته إلى المعـالي إذا طلب العز والشـرف. والسـماء المظلة للأرض، وقـال السـماء السقف وكل عال مظل سـماء حـتى يقـال لظهر الفـرس سماء.اهـ

وقال الجوهري:والسمو الارتفاع والعلو، تقـول سـموت وسميت مثل علوت وعليتُ، وسـلوت وسـليتُ-عن ثعلب. وفلان لا يسامى، وقد علا من ساماه.اهـ

([70]) والإسراء كما مضى تفسيره، هو المسـير في الليــل، وقد أســرى الله تعــالى بســيدنا محمد عليه الصـلاة والسـلام من مكة إلى بيت المقـدس ثم عـرج به وصـعد به من هنـاك إلى السـموات العلا وإلى حيث شـاء. هذا الأمر لا ينبغي أن ينكره واحد ممن ينتسب إلى الــدين الإسلامي بحجة أو بدون حجـة، فلا يجـوز القـول بـأن هـذا الانتقـال يسـتحيل في ليلة واحـدة! بل إن هـذا مما يجـوز عقلا ولا يستحيل إلا في العادة البشرية، ففي ذلك الزمان كـان قطع المسـافة من مكة إلى بيت المقـدس في ليلة مسـتحيلا عـادة، وأما في أيامنا هـذه فإننا نقطع أكـثر منها في ساعة، فلا وجه لاستحالة ذلك من هذا الجانب إذن.

وقد ثبت الإسـراء في القـرآن الكـريم، قـال بِسْـم اللهِ الرَحمن الرَحيم سبحان الذي أسرى بعبــده ليلا من المسـجد الحـرام إلى المسـجد الأقصى الـذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير(1)

وقـال العلامة أكمل الـدين البـابرتي في شـرحه على الطحاوية ص80: "قـال بعضـهم المعـراج ثـابت بالكتـاب أيضا وهو قوله تعالى﴿ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسـين أو أدنى﴾(النجم 8) والصحيح أن هذا القرب كـان مع جبريـل، ويــدل عليه قوله تعــالى﴿وهو بــالأفق الأعلى﴾(النجم 7)، وذلك أن رســول الله ﷺ ســأل جبريل أن يريه نفسه على صـورته الـتي خلقه الله عليهـا، فواعـده ذذلك بغـار حـراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأفق إلى المغرب، ثم دنا فتـدلى. هـذا من بـاب القلب أي ثم تـدنى جبريل فــدنا من محمد عليه الســلام، وكــان منه قــاب قوسـين أي قـدر مسـافة قوسـين أو أدنى، والمعـنى أنه بعدما رآه النبي عليه السلام على صورته هاله من عظمته فرده الله إلى صورة آدمي حـتى قـرب منه للـوحي وذلك قوله﴿فـأوحى إلى عبـده ما أوحى﴾(النجم 10) أي عبد الله وهو محمد عليه الســلام ما أوحى الله عز وجل بلســان جبريـل."اهــ ، وقـال الـبيهقي في الأسـماء والصـفات ص 436:"قـال أبو سـليمان الخطـابي رحمه الله تعـالى في تقـدير قوله ﴿ثم دنا فتـدلى فكـان قـاب قوسـين أو أدنى﴾ على ما تأوله ابن مســـعود وعائشة رضي الله عنهما من رؤيته ﷺ جبريل عليه السلام في صـورته الـتي خلق عليهـا، والدنو منه عند المقـام الـذي رفع إليه وأقيم فيه قوله﴿دنا فتـدلى﴾ المعـنى به جبريل عليه السـلام تـدلى من مقامه الــذي جعل له في الأفق الأعلى فاســتوى أي وقف وقفة ثم دنا فتدلى أي نزل حـتى كـان بينه وبين المصـعد الـذي رفع إليه محمد ﷺ قاب قوسـين أو أدنى، فيما يـراه الـرائي ويقدره المقدر.

وروى الإمــام الــبيهقي رحمه الله تعــالى في كتــاب الأسـماء والصـفات ص433 في بـاب ما جـاء في قـول ﷻ ﴿ثم دنا فتـدلى فكـان قـاب قوسـين أو أدنى﴾ عن عبدالله رضي الله عنه في هذه الآية﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، قال رسـول الله ﷺ "رأيت جبريل عليه الصـلاة والسـلام له ستمائة جناح" رواه البخاري في الصحيح عن أبي النعمـان عن عبد الواحد بن زيــاد. وروى بســنده عن ابن مســعود

رضي الله عنه أن النـــــبي رأى جبريل عليه الصـــــلاة والسـلام له سـتمائة جنـاح".وذكر أنه رواه الإمـام مسـلم أيضا في صحيحه عن أبي الربيع.

قال الإمام العلامة التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص194:"فالإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتـاب، والمعــراج من الأرض إلى السـماء مشـهور ومن السـماء إلى الجنة أو العـرش أو غـير ذلك آحاد. ثم الصـحيح أنه عليه السـلام إنما رأى ربه بفـؤاده لا بعينه."اهـ. وخالفه الملا أحمد الجندي في حاشيته وقـال:" قد سـبق أن مـذهب الشـيخ الأشـعري أنه رآه بعينه وهو الصحيح لجزم ابن عباس وغيره به، ومثله لا يقال من قبل الرأي، ولأنه ممكن دلت عليه الظواهر."اهــ قلت: والأصح ما قاله السعد، لحصـول الاختلاف بين الصـحابة في ذلـك، ولو حصلت الرؤية بالعين لاشتهرت بينهم حـتى لم يحـدث خلاف، كعدمه في الرؤية بالعين.والله أعلم.

وخــبر الإســراء مشــهور في كتب الحــديث، وســوف نكتفي بـــإيراد قسم من رواياتـــه، فمنها ما رواه الإمـــام البخــاري عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصــعة رضي الله تعالى عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أســـري به بينما أنا في الحطيم وربما قـــال في الحجر مضـطجعا إذ أتـاني آت فقد قـال وسـمعته يقـول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجـارود وهو إلى جنـبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقـول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملـــوءة إيمانا فغسل قلـــبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفـــوق الحمـــار أبيض فقـــال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قـال أنس نعم يضع خطـوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فـانطلق بي جبريل حــتى أتى السـماء الـدنيا فاسـتفتح فقيل **من هذا** قـال جبريل قيل ومن معك قـــال محمد قيل **وقد أرسل إليه** قـــال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جـــاء ففتح فلما خلصت فـإذا فيها آدم فقـال هـذا أبـوك آدم فسـلم عليه فسـلمت عليه فـرد السـلام ثم قـال مرحبا بـالابن الصـالح والنـبي

الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هـذا قـال جبريل قيل ومن معك قـال محمد قيل **وقد أرسل إليه** قـال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جـاء ففتح فلما خلصت إذا يحـيى وعيسى وهما ابنا الخالة قـال هـذا يحـيى وعيسى فسـلم عليهما فسـلمت فـردا ثم قـالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاسـتفتح قيل من هـذا قـال جبريل قيل ومن معك قـال محمد قيل وقد أرسل إليه قـال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قـال هـذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بـالأخ الصـالح والنـبي الصـالح ثم صـعد بي حـتى أتى السـماء الرابعة فاستفتح قيل من هـذا قـال جبريل قيل ومن معك قـال محمد قيل أو قد أرسل إليه قـال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إلى إدريس قال هـذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصـالح والنـبي الصـالح ثم صـعد بي حـتى أتى السـماء الخامسة فاسـتفتح قيل من هـذا قـال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسـلم قيل وقد أرسل إليه قـال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جـاء فلما خلصت فإذا هارون قال هذا هـارون فسـلم عليه فسـلمت عليه فرد ثم قـال مرحبا بـالأخ الصـالح والنـبي الصـالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل من معك قـال محمد قيل وقد أرسل إليه قـال نعم قـال مرحبا به فنعم المجيء جـاء فلما خلصت فـإذا موسى قـال هـذا موسى فسـلم عليه فسـلمت عليه فـرد ثم قـال مرحبا بـالأخ الصـالح والنـبي الصـالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قـال أبكي لأن **غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يـدخلها من أمتي** ثم صعد بي إلى السـماء السـابعة فاسـتفتح جبريل قيل من هـذا قـال جبريل قيل ومن معك قـال محمد قيل وقد بعث إليه قـال نعم قـال مرحبا به فنعم المجيء جـاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبـوك فسـلم عليه قـال فسلمت عليه فرد السلام قال مرحبا بالابن الصالح والنبي

الصالح ثم رفعت لي سـدرة المنتهى فـإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هـذه سـدرة المنتهى **وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهـران ظـاهران** فقلت ما هـذان يا جبريل قـال أما الباطنـان فنهـران في الجنة وأما **الظـــاهران فالنيل والفـــرات** ثم رفع لي البيت المعمـور يدخله كل يـوم سـبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخـذت اللبن فقـــال هي الفطـــرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسـين صـلاة كل يـوم فـرجعت فمـررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يـوم قال **أمتك لا تستطيع خمسين صـلاة كل يـوم** وإني والله قد جربت الناس قبلك وعـالجت بـني إسـرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فـرجعت فوضع عـــني عشـــرا فـــرجعت إلى موسى فقـــال مثله فـرجعت فوضع عـني عشـرا فـرجعت إلى موسى فقـال مثله فــرجعت فوضع عــني عشــرا فــرجعت إلى موسى فقــال مثله فــرجعت فــأمرت بعشر صــلوات كل يــوم فرجعت فقال مثله فـرجعت فـأمرت بخمس صـلوات كل يـوم فـرجعت إلى موسى فقـال بما أمـرت قلت أمـرت بخمس صـلوات كل يـوم قـال إن أمتك لا تسـتطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسـرائيل أشد المعالجة فـارجع إلى ربك فاسـأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قــال فلما جــاوزت نــادى **منــاد أمضــيت فريضــتي وخففت عن عبادي**.

وله في رواية عن سـليمان عن شـريك بن عبد الله أنه قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسـري برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم من مسـجد الكعبة إنه جـاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقـال أوسـطهم هو خـيرهم فقـال آخـرهم خذوا خيرهم فكـانت تلك الليلة فلم يـرهم حـتى أتـوه ليلة أخــرى فيما يــرى قلبه وتنــام عينه ولا ينــام قلبه وكــذلك الأنبيــاء تنــام أعينهم ولا تنــام قلــوبهم فلم يكلمــوه حــتى

احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فـرغ من صـدره وجوفه فغســله من مــاء زمــزم بيــده حــتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشــوا إيمانا وحكمة فحشي به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السـماء الـدنيا فضـرب بابا من أبوابها فنـاداه أهل السـماء من هـذا فقـال جبريل قـالوا ومن معك قـال معي محمد قال وقد بعث قـال نعم قـالوا فمرحبا به وأهلا فيستبشر به أهل الســماء لا يعلم أهل الســماء بما يريد الله به في الأرض حـتى يعلمهم فوجد في السـماء الـدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم وقـال مرحبا وأهلا بـابني نعم الابن أنت فـإذا هو في السـماء الـدنيا **بنهـرين يَطَّرِدَان** (أي يجريـان- من النهاية في غـريب الحـديث لابن الأثـير) فقـال ما هـذان النهـران يا جبريل قـال هـذا النيل والفـرات عنصـرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أَذْفَر (أي طيب الـريح) قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الـذي خبأ لك ربك ثم عــرج به إلى الســماء الثانية فقــالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا قال جبريل قـالوا ومن معك قـال محمد صلى الله عليه وسلم قـالوا وقد بعث إليه قـال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقـالوا له مثل ما قــالت الأولى والثانية ثم عــرج به إلى الرابعة فقــالوا له مثل ذلك ثم عــرج به إلى الســماء الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به إلى السـماء السادسة فقـالوا له مثل ذلك ثم عـرج به إلى السـماء السـابعة فقـالوا له مثل ذلك كل سـماء فيها أنبيـاء قد سـماهم فـوعيت منهم إدريس في الثانية وهـارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اســمه وإبــراهيم في السادسة وموسى في السـابعة بتفضـيل كلام الله فقـال موسى رب لم أظن أن ترفع علي أحــدا ثم علا به فــوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى **ودنا الجبار رب العزة فتدلى** حــتى كــان منه قــاب قوســين أو أدنى فــأوحى الله فيما

أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد مـاذا عهد إليك ربك قال عهد إلي خمسين صلاة كل يـوم وليلة قـال إن أمتك لا تستطيع ذلك فـارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فـالتفت النـبي صـلى الله عليه وسـلم إلى جبريل كأنه يستشـيره في ذلك فأشـار إليه جبريل أن نعم إن شـئت **فعلا به إلى الجبـار فقـال وهو مكانه** يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صـلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حـتى صـارت إلى خمس صـلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقـال يا محمد والله لقد راودت بـني إسـرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فـتركوه فأمتك أضـعف أجسـادا وقلوبا وأبـدانا وأبصـارا وأسـماعا فـارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسـلم إلى جبريل ليشـير عليه ولا يكـره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلـوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قـال لبيك وسـعديك قـال إنه لا يبـدل القـول لـدي كما فرضت عليك في أم الكتـاب قـال فكل حسـنة بعشر أمثالها فهي خمسـون في أم الكتـاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقـال كيف فعلت فقـال خفف عنا أعطانا بكل حسـنة عشر أمثالها قـال موسى قد والله راودت بـني إسـرائيل على أدنى من ذلك فـتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم يا موسى قد والله اسـتحييت من ربي مما اختلفت إليه قـال فاهبط باسم الله قـال واسـتيقظ وهو في مسـجد الحرام.

ولنا ملاحظات ومناقشات تدور حـول أحـاديث الإسراء، نوجز بعضها فيما يلي:

أولا: اعـترض البعض على قـولهم "وقد أرسل إليـه" بأنه يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون بأنه صار نبيـا، وهـذا لا يجـوز في حق الملائكـة، يريد أن يقـول أن الحـديث يضعف بذلك!؟

والجـــواب: قـــال ابن حجر في الفتح(7/209):"قوله (فاستفتح)، تقـدم القـول فيه في أول الصـلاة وأن قـولهم "أرسل إليـه" أي للعـروج، وليس المـراد أصل البعث لأن ذلك كـان قد اشـتهر في الملكـوت الأعلى. وقيل سـألوه تعجبا من نعمة الله عليه بذلك أو استبشارا به، وقد علموا أن بشـرا لا يـترقى هـذا الـترقي إلا بـإذن الله تعـالى وأن جبريل لا يصـــعد بمن لم يرسل إليـــه. وقيل الحكمة في سـؤال الملائكــة"وقد بعث إليــه" أن الله أراد إطلاع نبيه على أنه معروف عند الملأ الأعلى، لأنهم قـالوا أَوَبُعِثَ إليه فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له، وإلا لكـانوا يقولون ومن محمد، مثلا."اهـ

ثانيا: قـول سـيدنا موسى عليه السـلام:" **غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يـدخلها من أمتي"** ، كيف يصـدر مثل هـذا القـول من نـبي وهو يـدل على الحسد. وكيف يطلق على سيدنا محمد عليه السـلام اسم الغلام وهو أفضل الخلق أجمعين؟!

الجواب: قـال ابن حجر في الفتح(7/211):"وفي رواية شريك عن أنس لم أظنَّ أحدا يُرْفَعُ عليَّ، وفي حديث أبي سعيد "قال موسى:يزعم بنو إسرائيل أني أكـرم على الله وهذا أكرم على الله مني" زاد الأموي في روايته"ولو كان هــذا وحــده هـان عليَّ، ولكن معه أمته وهم أفضل الأمم عند اللــه" وفي رواية أبي عبيــدة بن عبدالله بن مســعود عن أبيه أنه "مــرَّ بموسى عليه الســلام وهو يرفع صــوته فيقول:أكرمته وفضلته، فقـال جبريـل:هـذا موسـى. قلت: ومن يعاتب. قال يعاتب ربه فيك. قلت: ويرفع صـوته على ربـه. قـال:إن الله قد عـرف له حدتـه". وفي حـديث ابن مسـعود عند الحـارث وأبي يعلى والـبزار"وسـمعت صـوتا وتذمرا، فسألت جبريل فقال هــذا موســى، قلت على من تذمره. قـال: على ربـه. قلت على ربـه؟! قـال إنه يعـرف ذلك منه".

قال العلماء لم يكن بكاء موسى حسدا، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك لعـالم مـنزوع عن آحـاد المؤمـنين فكيف بمن اصطفاه الله تعـالى، بل كـان أسـفا على ما فاته من

الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل مناتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة.

وأما قوله "غلام" فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه. ونقل عن العارف بالله تعالى ابن أبي جمرة قوله: وأما قوله "هذا الغلام" فأشار إلى صغر سنه بالنسبة إليه.

<u>ثالثا</u>: قيل: تخصيص موسى عليه السلام بالاستدراك ومراجعة النبي ﷺ يدل على أن هذا الحديث من الإسرائيليات.

الجواب: هذا باطل، فإن الحكمة في ذلك كما نقله ابن حجر عن القرطبي (7/212) لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك. ويشير إلى ذلك قوله "إني قد جربت الناس قبلك"انتهى. وقال غيره لعلها من جهة أنه ليس في الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى ولا من له كتاب أكبر ولا أجمع للأحكام من هذه الجهة مضاهيا للنبي ﷺ فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم عليه من غير زواله عنه. وناسب أن يطلعه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به. "اهـ

وأما بكاؤه فلما أن الله تعالى جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر ما جعل في قلوب غيرهم.

<u>رابعا</u>: قال بعضهم إننا لا نفهم معنى للأنهار الأربعة ووصف اثنين منها بالباطنين واثنين بالظاهرين. فذلك يدل على أن الحديث ليس بصحيح أو فيه شك.

الجواب: وأما الأنهار الأربعة فلو افترضنا أننا لا نعرف معناهما فلا يستلزم ذلك بطلان الحديث. ولعل المعنى أنهما باطنان أي يمران من تحت سطح الأرض، والظاهران خلافهما. أو يكون الباطنان دلالة على أن الجنة

فيها أفضل مما في الحيـاة الـدنيا لعـزة البـاطن، وكشف الظـاهر. وقد يجـاب أيضا بـأن هـذين النهـرين أي الفـرات والنيل من أنهــار الجنــة، وحكمهما ليس نفس حكم أنهــار الــدنيا، فــإن الفــرات والنيل وإن كانا ينبعــان من منطقة معينة من الأرض في الـدنيا، فـإن الـواردين في الحـديث ليسا هما عين ما نجدهما في الدنيا، بل سـميا بأسـمائهما. فــإن قيل فكيف يطلق على نهر من أنهــار الآخــرة اســما لنهر في الــدنيا؟ والجــواب: إن ذلك غــير مســتنكر فــإن الفاكهة في الآخرة لها أسماء هي عين الأسـماء الـتي في الـدنيا كـالعنب والـتين وحـتى الحنظل وإن كـان مـرا في الـدنيا، فالتشـابه إنما هو في الأسـماء فقـط. وقد ورد في حديث البخاري عن أبي هريرة :" فإذا سألتم الله فاسألوه الفــــــــردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قـال محمد بن فليح عن أبيه وفوقه عـرش الـرحمن".فهـذا دليل على أن منبع الأنهار في الآخرة هو العرش.

خامسا: اعـترض على ما ورد في بعض الروايـات من ألفاظ التدلي والدنو والمكان.

والجواب: قال الإمـام الـبيهقي في الأسـماء والصـفات ص440 بعــدما أورد حــديث الإســراء والمعــراج:"رواه البخــــاري في الصــــحيح عن عبد العزيز بن عبد الله عن سليمان بن بلال، ورواه مسلم عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب، ولم يسق متنه وأحــال به على رواية ثـابت عن أنس رضي الله عنه، وليس في رواية ثــابت عن أنس لفظ الدنو والتدلي ولا لفظ المكان. وروى حديث المعراج ابن شــــهاب الزهــــري عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، ليس في حديث واحد منهما شيء من ذلك. وقد ذكر شريك بن عبد الله بن أبي نمر في روايته هـــذه ما يســـتدل على أنه لم يحفظ الحـديث كما ينبغي له من نسـيانه ما حفظه غـيره، ومن مخالفته في مقامات الأنبياء الذين رآهم في السـماء من هو أحفظ منه."اهـ

وقد علم أن التدلي لا يجوز نسبته إلى الله تعـالى، لأنه من صـفات المخلـوقين كجبريل عليه السـلام كما مضـى. وأما ما قد يرد نحو دار الله فهو بمعـنى الـدار الـتي دورها لأوليائه وهي الجنة. وكما يقال بيت الله وحرم الله.

وأما ما ورد من المكـان فقـال الخطـابي كما نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات 442:"وفي الحـديث لفظة أخرى تفـرد بها شـريك أيضا لم يـذكرها غـيره، وهي قوله وهو مكانـه. والمكـان لا يضـاف إلى الله سـبحانه، إنما هو مكان النبي ومقامه الأول الذي أقيم فيه.

[71][71]([71]) روى الإمـــام البخـــاري: عن أبي هريـرة رضي الله تعـالى عنه عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال ما بين بيـتي ومنـبري روضة من ريـاض الجنة ومنبري على حوضي.

وروى أيضا عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصـلى على أهل أحد صـلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إني فَرَطُكُمْ وأنا شهيد عليكم إني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت خـزائن مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف بعدي أن تشركوا ولكن أخاف أن تنافسوا فيها.

قــال في الصــحاح: والفَــرَطُ بالتحريك الــذي يتقــدم الــواردةَ فيهيء لهم الأرســان والـدِّلاءَ ويَـدُرُ لهم الحيـاضَ ويسـتقي لهم. وهو فَعَـلٌ بمعـنى فاعـل، مثل تَبَـعٍ بمعـنى تابع.يقال رجل فَرَطٌ وقوم فَرَطٌ."أهـ

وروى الـبيهقي في سـننه الكـبرى عن كعب بن عجـرة قال قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إنه سـيكون أمراء فمن صـدقهم بكـذبهم وأعـانهم على ظلمهم فليس مــني ولست منه ولا يــرد على حوضي ومن لم يصــدقهم على كـــذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مــــني وأنا منه ويرد على حوضي.

قال الإمـام السـعد في شـرح النسـفية:"والحـوض حق لقوله تعالى إنا أعطينـاك الكـوثر"اهــ ، وعارضه المحشي العلامة الخيـالي فقـال: يشـير إلى أن الكـوثر هو الحـوض والأصح أنه غــــيره فإنه نهر في الجنة والحـــــوض في

الموقف.اهـ وربما يؤيد ما قاله الخيالي حديث الرسول عليه السلام الذي أخرجه الترمذي عن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لكل نبي حوضا، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر وارد، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة."اهـ وربما يكون الأقرب أن الحوض في الموقف وهو مصب النهر الذي في الجنة. والله أعلم.

قال السيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة ص239: "قال الدارقطني قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله تعالى ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين، كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجود والظلم وطمس الحق وإذلال أهله والمعلنون للكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والبدع، ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد، وقد يقال: إن أهل الكبائر يردون ويشربون، وإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش.

وهذا على ما اختاره من قال إن الحوض قبل الصراط والذي رجحه القاضي عياض إن الحوض بجانب الجنة ينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها ، فلو كان قبل الصراط لخالف النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر، قال : وأما ما أورد عليه من حديث أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يردوه، ويذهب بهم إلى النار فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون فيدفعون في النار، قبل أن يخلصوا من بقية الصراط.اهـ.

([72]) أصل الشفاعة في اللغة كما قال الجوهري من الشفع وهو خلاف الـوَتْرِ، وهو الزوج، وقال واستشفعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه، وتشفعت إليه في فلان فشفَّعني فيه تشفيعا.اهـ. وأما الفيومي فقد زاد تدقيقا في معناها فقال في مصباحه:"شفعت الشيء من باب نفع ضممته إلى الفرد. وشفعت في الأمر شفعا وشفعاعة طالبت بوسيلة أو

ذمـــام، واسم الفاعل شـــفيع والجمع شـــفعاءمثل كـــريم وكرماء وشافع أيضا."اهـ

ومن هنا فإننا يمكن أن نرجع المعـــــنى الشــــــرعي للشفاعة إلى الأصل اللغوي، ولا يكون من بـاب النقل عن المعنى، بل هو استعمال في أصل المورد، فـإن الشـفاعة في العرف كما قال البيجوري ص186:"سـؤال الخـير من الغـير للغـير، وشـفاعة المـولى عبـارة عن عفـوه."اهــ . وأصل الشـــــفاعة ثابتة في الشــــرع وقد نص الإمـــــام التفتــازاني في شــرح العقائد النســفية ص175 أن أصل العفو والشفاعة ثابت بالأدلة القطعية من الكتاب والســنة والإجماع. وقال الإمام السيوطي في البدور الســافرة في أمـــور الآخـــرة ص343:"أخـــرج الشـــيخان عن عمر بن الخطـــاب رضي الله تعـــالى عنه أنه خطب فقـــال: إنه سـيكون في هـذه الأمة قـوم يكـذبون بـالرجم وبالـدجال، ويكـذبون بطلـوع الشـمس من مغربهـا، ويكـذبون عـذاب القبر، ويكذبون الشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا"اهـ.

وهي على أقســام كما قـال الشـيخ أحمد الـدردير في شرحه على خريدته ص70 على أنواع: **الأول**: شــفاعته ﷺ في فصل القضاء لإراحة الخلق من طول الوقوف مشقته وهي مختصة به ﷺ . **الثاني** شفاعته في إدخال قـوم الجنة بغـير حسـاب قـال النـووي وهي مختصة بـه. **الثـالث**: الشـفاعة فيمن يسـتحق دخـول النـار أن لا يـدخلها، قـال عياض وليست مختصة بـه، وتـردد النـووي أي لأنه لم يـرد تصريح بذلك. **الرابع**: الشفاعة في إخـراج قـوم من النـار ويشـــاركه فيها الأنبيـــاء والملائكة وصـــالحو المؤمـــنين. **الخامس**: الشـفاعة في زيـادة الـدرجات. وجـوز النـووي اختصاصها به عليه الصلاة والسلام. **السـادس**: الشـفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النـار كما في حق أبي طالب، ففي الصحيح أنا أول شـافع وأول مشـفع وإنه ذكر عنده عمه أبو طـالب فقـال لعله تنفعه شـفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار. اهـ قلت:وحديث شفاعته في

أبي طـالب رواه الإمـام البخـاري عن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه.

قلت ودليل النــوع الأول من الشــفاعة ما رواه الإمــام البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعـالى عنه قـال كنا مع النبي صـلى الله عليه وسـلم في دعـوة فرفع إليه الـذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال أنا سـيد القـوم يـوم القيامة هل تـــدرون بم يجمع الله الأولين والآخـــرين في صـعيد واحد فيبصـرهم النـاظر ويسـمعهم الـداعي وتـدنو منهم الشـمس فيقـول بعض النـاس ألا تـرون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظـــرون إلى من يشـــفع لكم إلى ربكم فيقـول بعض النـاس أبـوكم آدم فيأتونه فيقولـون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيـــده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي غضب غضبا لم يغضب قبلة مثله ولا يغضب بعـــده مثله ونهـــاني عن الشجرة فعصـيته نفسي نفسي اذهبـوا إلى غـيري اذهبـوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقـول ربي غضب اليـوم غضـبا لم يغضب قبلة مثله ولا يغضب بعـده مثله نفسي نفسي ائتــوا النــبي صــلى الله عليه وســلم فيأتوني فأسجد تحت العـرش فيقـال يا محمد ارفع رأسك واشــفع تشــفع وسل تعطه قــال محمد بن عبيد لا أحفظ ســـائره. قلت: وتكملة الحـــديث كما في رواية أخـــرى للبخـاري عن أبي هريـرة: "فـأرفع رأسي فـأقول أمـتي يا رب أمـــتي يا رب فيقـــال يا محمد أدخل من أمتك من لا حســـاب عليهم من البـــاب الأيمن من أبـــواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قـال والـذي نفسي بيده إن ما بين المصـراعين من مصـاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى".

قال السـيوطي في البـدور السـافرة ص347:"وأخـرج الشيخان عن جابر بن عبدالله سمعت رسول الله يقــول

إن الله تبارك وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة."

وقال أيضا في ص346:"وأخرج أحمد والطبراني بسند لا بأس به عن عبادة بن الصامت عن النبي قال :"إن الله تبارك وتعالى قال يا محمد إني لم أبعث نبيا ولا رسولا إلا وقد سألني مسألة أعطيتها إياه، فسل يا محمد تعط. قلت مسألتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله وما الشفاعة. قال:أقول يا رب شفاعتي التي اختبأت عندك، فيقول الرب تعالى: نعم، فيخرج ربي بقية أمتي من النار فيدخلهم الجنة."اهـ

([73]) هذا إشارة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ومنه ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل نبي سأل سؤلا أو قال لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة إن شاء الله من مات منهم لا يشرك بالله شيئا قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. ولفظه عند الحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال طلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فوجدته قائما يصلي فأطال الصلاة ثم قال أوتيت الليلة خمسا لم يؤتها نبي قبلي أرسلت إلى الأحمر والأسود قال مجاهد الإنس والجن ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو على مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وقيل لي سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي فهي نائلة من لم يشرك بالله شيئا هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجا ألفاظا من الحديث متفرقة.

وهــذا الحــديث عند الكثــير من الحفــاظ كــالبيهقي والطبراني وابن ماجه وغيرهم.

([74])   أخبار الشـفاعة كثـيرة جـدا، منها ما رواه البخاري عن جـابر بن عبد الله رضي الله تعـالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النـداء اللهم رب هـذه الـدعوة التامة والصـلاة القائمة آت محمـدا الوسـيلة والفضـيلة وابعثه مقاما محمـودا الــذي وعدته حلت له شـفاعتي يـوم القيامة رواه حمـزة بن عبد الله عن أبيه عن النــبي صــلى الله عليه وســلم. وهــذا الحديث رواه البيهقي أيضا عن جابر.

وروى الحـاكم عن جـابر بن عبد الله رضي الله تعـالى عنهما أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم تلا قـول الله عز وجل ولا يشــفعون إلا لمن ارتضى فقــال صــلى الله عليه وسلم إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي هذا حـديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذا سـمعتم المؤذن يؤذن فقولوا كما يقول وصلوا على فإنه ليس أحد يصلى على صلاة إلا صلى الله عليه وسـلم عشـرا وسـلوا الله لي الوسيلة فإن الوسيلة منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكونه ومن سألها لي حلت له شــــفاعتي يـــــوم القيامة وأخبرنا أبو الحسن بن إسـحاق الـبزار أنا أبو محمد ثنا أبو يحـيى ثنا المقـري ثنا حيـوة أنا كعب بن علقمة أنه سـمع عبد الـرحمن بن جبـير يقـول أنه سـمع عبد الله بن عمر ويقـول أنه سـمع النـبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سـمعتم المـؤذن ثم حـدثنا المقــري نحو حديثه عن ســعيد بن أبي أيــوب وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقــــــوب ثنا محمد بن إسـماعيل أنا محمد بن سـلمة المـرادي ثنا عبد الله بن وهب عن حيوة وسعيد بن أبي أيـوب وغيرهما عن كعب بن علقمة فـذكره بإسـناده ومعنـاه وقـال وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي رواه مسلم عن محمد بن سلمة المرادي.

وروى ابن حبان في صحيحه عن عوف بن مالك قال عرس بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافترش كل رجل منا ذراع راحلته قال فانتبهت في بعض الليل فإذا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قدامها أحد فانطلقت أطلب رسول لله صلى الله عليه وسلم فإذا معاذ بن جبل وعبد الله بن قيس قائمان فقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا ندري غير أنا سمعنا صوتا بأعلى الوادي فإذا مثل هدير الرحى قال فلبثنا يسيرا ثم أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه أتاني من ربي آت فيخبرني بأن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة وإني اخترت الشفاعة فقالوا يا رسول الله ننشدك بالله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك قال فأنتم من أهل شفاعتي قال فلما ركبوا قال فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا من أمتي.

وروى ابن حبان عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ماذا رد إليك ربك في الشفاعة قال والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم والذي نفس محمد بيده لما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي لهم وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأن محمدا رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه.

والأحاديث في الشفاعة كثيرة جدا. وسيأتي مزيد على ذلك في الكلام على الصراط بتوفيق الله تعالى.

([75]) روى الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله عز وجل {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم إلى} قوله تعالى {أفتهلكنا بما فعل المبطلون} قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست

بربكم قالوا بلى شـهدنا أن تقولـوا يـوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين أو تقولـوا إنما أشـرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعـدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلـون قـال فـإني أشـهد عليكم السماوات السـبع والأرضـين السـبع وأشـهد عليكم آباكم آدم أن تقولوا يـوم القيامة لم نعلم أو تقولـوا إنا كنا عن هـذا غـافلين فلا تشـركوا بي شـيئا فـإني أرسل إليكم رسـلي يـذكرونكم عهـدي وميثـاقي وأنـزل عليكم كتـبي فقـالوا نشـهد إنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غـيرك ولا إله لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فنظر إليهم فـرأى فيهم الغـني والفقـير وحسن الصـورة وغـير ذلك فقـال رب لو سـويت بين عبـادك فقـال أني أحب أن أشـكر ورأى فيهم الأنبيـاء مثل السرج وخصـوا بميثـاق آخر بالرسـالة والنبـوة فـذلك قوله عز وجل {وإذ أخذنا من النبـيين ميثـاقهم ومنك ومن نــوح} الآية وهو قوله تعــالى{فــأقم وجهك للــدين حنيفا فطـــرت الله الـــتي فطر النـــاس عليها لا تبـــديل لخلق الله}وذلك قوله {هذا نذير من النـذر الأولى} وقوله {وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين} وهو قوله { ثم بعثنا من بعـــده رسلا إلى قـــومهم فجـــاءوهم بالبينات فما كـانوا ليؤمنـوا بما كـذبوا من قبل } كـان في علمه بما أقروا به من يكذب به ومن يصدق به فكـان روح عيسى من تلك الأرواح الـتي أخذ عليها الميثـاق في زمن آدم فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين {انتبـذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سـويا} إلى قوله {مقضـيا} فحملته قـال حملت الذي خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام قال أبو جعفر فحـدثني الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قـال دخل من فيها هـذا حـديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه.

ورواه أحمد في مسنده عن أبي بن كعب في قول الله عز وجل{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهـورهم ذريـاتهم وأشـــهدهم على أنفســـهم } الآية قـــال جمعهم فجعلهم أرواحا ثم صــورهم فاســتنطقهم فتكلمــوا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قــال

فـإني أشـهد عليكم السـماوات السـبع والأرضـين السـبع وأشـهد عليكم أبـاكم آدم عليه السـلام أن تقولـوا يـوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غـيري فلا تشركوا بي شيئا انى سأرسل إليكم رسـلي يـذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتـبي قـالوا شـهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأقروا بـذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم فـرأى الغـنى والفقـير وحسن الصـورة ودون ذلك فقال رب لولا سويت بين عبادك قال انى أحببت ان شـكر ورأى الأنبيـاء فيهم مشـعل السـرج عليهم النـور خصـوا بميثـاق آخر في الرسـالة والنبـوة وهو قوله تعـالى { وإذ أخذنا من النبيين ميثـاقهم } إلى قوله { عيسى بن مـريم } كان في تلك الأرواح فأرسله إلى مريم فحـدث عن أبي انه دخل من فيها.

وروى الحـاكم في المسـتدرك عن عبد الـرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسلم قـال سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول خلق الله آدم ثم خلق الخلق من ظهـره ثم قـال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنـار ولا أبـالي قـال فقيل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل قال على موافقة القـدر هـذا حـديث صـحيح قد اتفقا على الاحتجـاج برواته عن آخـرهم إلى الصحابة وعبد الـرحمن بن قتـادة من بـني سـلمة من الصحابة وقد احتجا جميعا بزهير بن عمرو عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وليس له راو غـير أبي عثمـان النهدي وكذلك احتج البخاري بحديث أبي سعيد بن المعلى وليس له راو غير حفص بن عاصم.

وفي صـحيح ابن حبـان عن عبد الـرحمن بن قتـادة السلمي وكان من أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهـره فقـال هـؤلاء في الجنة ولا أبـالي وهـؤلاء في النـار ولا أبـالي قـال قائل يا رسـول الله فعلى مـاذا نعمل قـال على مواقع القـدر. ورواه أيضا الإمام أحمد في مسنده.

وروى الحاكم في مسـنده أن عمر بن الخطـاب رضي الله تعالى عنه سـئل عن هـذه الآية وإذ أخذ ربك من بـني آدم من ظهورهم ذرياتهم فقال عمر بن الخطاب سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول إن الله خلق آدم ثم مسح ظهـره بيمينه فاسـتخرج منه ذرية فقـال خلقت هـؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملـون ثم مسح ظهـره فاسـتخرج منه ذرية فقـال خلقت هـؤلاء للنـار وبعمل أهل النار يعملـون فقـال رجل يا رسـول الله ففيم العمل قـال إن الله إذا خلق العبد للجنة اسـتعمله بعمل أهل الجنة حتى يمـوت على عمل أهل الجنة فيـدخل الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النـار فيـدخل النـار هـذا حـديث صـحيح على شـرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال كل مولـود يولد على الفطـرة فـأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسـانه قـال أبو حـاتم قوله صـلى الله عليه وسـلم كل مولـود يولد على الفطـرة أراد به على الفطـرة الـتي فطـره الله عليها جل وعلا يـوم أخـرجهم من صـلب آدم لقوله جل وعلا فطـرة الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله يقـول لا تبديل لتلك الخلقة التي خلقهم لها إما لجنة وإما لنار حيث أخرجهم من صلب آدم فقال هؤلاء للجنة وهـؤلاء للنـار ألا ترى أن غلام الخضر قال صلى الله عليه وسلم طبعه الله يوم طبعه كـافرا وهو بين أبـوين مؤمـنين فـأعلم الله ذلك عبـده الخضر ولم يعلم ذلك كليمه موسى صـلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا في غير موضع من كتبنـا.قلت: وهـذا الحديث رواه أيضا الإمـام أحمد وأبو داود وغيرهمـا، ونصه كما في **موطأ الإمـام مالك** عن مسـلم بن يسـار الجهـني   ان عمر بن الخطـاب سـئل عن هـذه الآيـة{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسـهم ألست بـربكم قـالوا بلى شـهدنا أن تقولـوا يـوم القيامة إنا كنا عن هـذا غـافلين}فقـال عمر بن الخطـاب سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يسـأل عنها

فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إن الله تبـارك وتعــالى خلق آدم ثم مسح ظهــره بيمينه فاســتخرج منه ذرية فقـال خلقت هـؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملـون ثم مسح ظهـره فاسـتخرج منه ذرية فقـال خلقت هـؤلاء للنار وبعمل أهل النـار يعملـون فقـال رجل يا رسـول الله ففيم العمل قال فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم إن الله إذا خلق العبد للجنة اســـــتعمله بعمل أهل الجنة حـتى يمـوت على عمل من أعمـال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النـار حـتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار.

([76]) هــذا إشــارة إلى الحــديث الــذي رواه البخـاري عن عمـران قـال قلت يا رسـول الله فيما يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له.

وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال لما نزلت هذه الآية { فمنهم شـقي وسـعيد } سـألت رسـول الله صـلى الله عليه وســلم فقلت يا نــبي الله فعلى ما نعمل على شــيء قد فــرغ منه أو على شــيء لم يفــرغ منه قـال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمر.

وفي السـنن الكـبرى للـبيهقي عن عمـران بن حصـين قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من النار قــال نعم قال ففيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له.

وفي المعجم الكبــير للطــبراني طلحة بن عبد الله بن عبد الـرحمن بن أبي بكر عن أبيه قـال سـمعت أبي قـال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول قلت يا رســـول الله أنعمل على أمر قد فــــرغ منه أم على أمر مؤتنف قال بل على أمر قد فــرغ منه قلت ففيم العمل يا رسول الله قال كل ميسر لما خلق له.

ولفظ الإمام مسلم في صحيحه عن عمران بن حصـين قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قــال

فقال نعم قـال قيل ففيم يعمل العـاملون قـال كل ميسر لما خلق له.

قـــال الإمـــام ابن حجر في (11/493):" وفي كتـــاب الاعتصـام قوله قـال رجل هو عمـران بن حصـين راوي الخـــبر بينه عبد الـــوارث بن ســعيد عن يزيد الرشك عن عمران بن حصين قال قلت يا رسول الله فذكره وسـيأتي موصـولا في اواخر كتـاب التوحيد وسـأل عن ذلك اخـرون وســيأتي مزيد بسط فيه في شر حــديث علي قريبا قوله أيعـرف أهل الجنة من أهل النـار في رواية حمـاد بن زيد عن يزيد عند مســــلم بلفظ اعلم بضم العين والمـــــراد بالسـؤال معرفة الملائكة أو من اطلعه الله على ذلك واما معرفة العامل أو من شـــاهده فإنما يعـــرف بالعمل قوله فلم يعمل العـاملون في رواية حمـاد ففيم وهو اسـتفهام والمعنى إذا سبق القلم بذلك فلا يحتاج العامل الى العمل لأنه سيصـير الى ما قـدر له قوله قـال كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له وفي رواي الكشـــميهني يسر بضم أوله وكسر المهملة الثقيلة وفي رواية حماد المشـار إليها قـال كل ميسر لما خلق له وقد جـــاء هـــذا الكلام الأخـــير عن جماعة من الصـحابة بهـذا اللفظ يزيـدون على العشــرة سأشـــير إليها في آخر البــاب الــذي بلى الــذي يليه منها حديث أبي الدرداء عند أحمد بسند حسن بلفظ كل امـرئ مهيأ لما خلق له وفي الحـــديث إشـــارة إلى أن المـــآل محجــوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به فـإن علمه أمـارة إلى ما يـؤول إليه أمـره غالبا وان كـان بعضـــهم قد يختم له بغـــير ذلك كما ثبت في حـــديث بن مسـعود وغـيره لكن لا اطلاع له على ذلك فعليه أن يبـذل جهـده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة لا يـترك وكـولا إلى ما يــؤول إليه أمــره فيلام على تــرك المــأمور ويســتحق العقوبة وقد تـرجم بن حبـان بحـديث البـاب ما يجب على المرء من التشمير في الطاعات وان جـرى قبلها ما يكـره الله من المحظورات ولمسلم من طريق أبي الأســود عن عمـران انه قـال له أرأيت ما يعمل النـاس اليـوم أشـيء قضى عليهم ومضى فيهم من قــــدر قد ســــبق أو فيما

يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقـال لا بل شـــيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصـــديق ذلك في كتـــاب الله عز وجل ونفس وما ســـواها فألهمها فجورها وتقواها وفيه قصة لأبي الأسـود الـدؤلي مع عمـران وفيه قوله له أيكـــون ذلك ظلما فقـــال لا كل شـــيء خلق الله وملك يـده فلا يسـأل عما يفعل قـال عيـاض أورد عمـران على أبي الأســـود شـــبهة القدرية من تحكمهم على الله ودخـــولهم بـآرائهم في حكمه فلما أجابه بما دل على ثباته في الدين قواه بذكر الآية وهي حد لأهل السـنة وقوله كل شيء خلق الله وملكه يشير إلى أن المالك الأعلى الخالق الآمر لا يعترض عليه إذا تصـرف في ملكه بما يشـاء وانما يعترض على المخلوق المأمور".اهـ

وقال أيضا في الفتح (13/522): "قوله باب قول الله تعـالى ولقد يسـرنا القـرآن للـذكر فهل من مـدكر قيل المراد بالذكر الأذكـار والاتعـاظ وقيل الحفظ وهو مقتضى قول مجاهد قوله وقـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم كل ميسر لما خلق له فـذكره موصـولا في البـاب من حـديث علي قوله وقال مجاهد يسرنا القرآن بلسانك هوناه عليك في رواية غـــير أبي ذر هونا قراءته عليك وهو بفتح الهـــاء والواو وتشديد النون من التهوين وقد وصله الفريـابي عن ورقـــاء عن بن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعـالى ولقد يسـرنا القـرآن للـذكر قـال هونـاه قـال بن بطـال تيسـير القـرآن تسـهيله على لسـان القـارىء حـتى يسـارع الى قراءته فربما سبق لسانه في القراءة فيجاوز الحـرف الى ما بعـده ويحـذف الكلمة حرصا على ما بعـدها انتهى وفي دخول هذا في المـراد نظر كبـير قوله وقـال مطر الـورق ولقد يسـرنا القـرآن للـذكر فهل من مـدكر قـال هل من طـالب علم فيعـان عليه وقع هـذا التعليق عند أبي ذر عن الكشـميهني وحـده وثبت أيضا للجرجـاني عن الفربـري ووصـله الفريـاني عن ضـمرة بن زمعة عن عبد الله بن شوذب عن مطر وأخرجه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب العلم من طريق ضمرة ثم ذكر حديث عمـران بن حصـين قلت يا رسول الله فيما يعمل العاملون قال كل ميسر لما

خلق له وهو مختصر من حديث سبق في كتاب القـدر فيه عن عمران قال قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال فلم يعمد العـاملون وقد تقـدم شـرحه هنـاك ويزيد شـيخ عبد الـوارث فيه هو المعـروف بالرشك وتقــدم هنــاك من رواية شـعبة قــال حــدثنا يزيد الرشك فــــذكره وحـــــديث علي رضي الله عنه وفيه وما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار أومن الجنة وتقـدم شرحه هناك أيضا وفيه وفي حديث عمران الــذي قبله كل ميسر قـــال الشـــيخ أبو محمد بن أبي جمـــرة في شـــرح حديث أبي سعيد المذكور في باب كلام الله مع أهل الجنة فيه نــــداء الله تعــــالى لأهل الجنة لقرينة جــــوابهم بلبيك وسـعديك والمراجعة بقوله هل رضـيتم وقـولهم وما لنا لا نرضى وقوله ألا أعطيكم أفضل وقولهم يا ربنا وأي شـيء أفضل وقوله أحل عليكم رضواني فان ذلك كله يـدل على انه سـبحانه وتعـالى هو الــذي كلمهم وكلامه قــديم أزلي ميسر بلغة العــرب والنظر في كيفيته ممنـــوع ولا نقـــول بـــالحلول في المحــــدث وهي الحــــروف ولا انه دل عليه وليس بموجـــود بل الإيمـــان بأنه مـــنزل حق ميسر باللغة العربية صدق وبالله التوفيق قـال الكرمـاني حاصل الكلام انهم قالوا إذا كان الأمر مقدرا فلنترك المشقة في العمل الــذي من أجلها سـمي بـالتكليف وحاصل الجـواب ان كل من خلق لشيء يسر لعمله فلا مشـقة مع التيسـير وقـال الخطابي أرادوا أن يتخـذوا ما سـبق حجة في تـرك العمل فأخبره إن هنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر بـاطن وهو ما اقتضــاه حكم الربوبية وظــاهر وهو الســمة اللازمة بحق العبودية وهو امـــــارة للعاقبة فـــــبين لهم أن العمل في العاجل يظهر أثره في الآجل وان الظاهر لا يترك للبــاطن قلت وكأن مناسبة هذا البـاب لما قبله من جهة الاشـتراك في لفظ التيسير والله أعلم".اهـ

([77]) رواه الإمام البخاري في صـحيحه عن سـهل أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي صـلى الله عليه وسـلم فنظر النـبي صـلى الله عليه وســلم فقــال من أحب أن ينظر إلى الرجل من

أهل النار فلينظر إلى هذا فأتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحـال من أشد النـاس على المشـركين حـتى جـرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سـيفه بين ثدييه حـتى خـرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النـــبي صـــلى الله عليه وسلم مسرعا فقال أشهد أنك رسـول الله فقـال وما ذاك قال قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يمـوت على ذلك فلما جـرح اسـتعجل المـوت فقتل نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك إن العبد ليعمل عمل أهل النـــــار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار الأعمال بالخواتيم.
وهو عن سهل بن سعد أيضا في المعجم الكبير للطبراني.
ورواه الطـبراني عنه أيضا بلفظ قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إن الرجل ليعمل فيما يـرى النـاس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النـار وإنه ليعمل فيما يـرى النـاس بعمل أهل النـار وإنه من أهل الجنة وإنما الأعمـال بالخواتيم.
وفي صحيح ابن حبان عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالخواتيم.

([78])   روى البخـــــاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال إن الله عز وجـل   وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضـغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الـــرزق والأجل فيكتب في بطن أمـــه. وله في رواية أخرى عنه عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال إن الله وكل في الــرحم ملكا فيقــول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضــغة فــإذا أراد أن يخلقها قـــال يا رب أذكر يا رب أنثى يا رب شـقي أم سـعيد فما الـرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه.
وفي المعجم الصـغير للطـبراني عن عبد الله بن مسـعود حــدثنا رســول الله صــلى الله عليه وســلم وهو الصــادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما

ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يأتي الملك فيكتب شقي أو سعيد ذكر أو أنثى لم يـروه عن بن عـون إلا عبيد الله بن سـفيان. وزاد في رواية أخـرى عنه ويكتب الملك ثم يقـول أي رب شـقي أو سـعيد فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك ثم يقـول أي رب أجله ورزقه وأثره فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك.

وفي مسـند الإمـام أحمد ن جـابر قـال قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذا اسـتقرت النطفة في الـرحم أربعين يوما أو أربعين ليلة بعث إليها ملكا فيقول يا رب ما رزقه فيقال له فيقـول يا رب ما أجله فيقـال له فيقـول يا رب ذكر أو أنـثى فيعلم فيقـول يا رب شـقي أم سـعيد فيعلم. وفيه قريب من هذا اللفظ عن أنس أيضا.

وفي سنن أبي داود عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحـدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكـون علقة مثل ذلك ثم يكـون مضـغة مثل ذلك ثم يبعث إليه ملك فيـؤمر بـأربع كلمـات فيكتب رزقه وأجله وعمله ثم يكتب شـقي أو سـعيد ثم ينفخ فيه الـروح فـإن أحـدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حـتى ما يكـون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيـدخلها وإن أحـدكم ليعمل بعمل أهل النـار حـتى ما يكـون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيسـبق عليه الكتـاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

([79]) روى ابن أبي عاصم في الآحـاد والمثـاني عن قيس بن عبـاد قـال صـلى بنا عمـار رضي الله تعـالى عنه صلاة كأنهم أنكروها فقـالوا له في ذلك فقـال ألم أتم الركوع والسجود قالوا بلى قـال أما أني قد دعـوت بـدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيـني ما كـانت الحيـاة خـيرا لي وتوفـني إذا علمت الوفـاة خـيرا لي اللهم إني أسـألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب والقصد في الغـنى والفقر وخشـيتك في الغيب والشـهادة وأسـألك الرضا بالقـدر وأسـألك نعيما لا ينفذ وقـرة عين لا تنقطع ولـذة

العيش بعد المــوت ولــذة النظر إلى وجهك وشــوقا إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضـرة وفتنة مضـلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

وروى الترمذي في جامعه الصحيح عن علي قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يـؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد المـوت ويـؤمن بالقـدر حدثنا محمود بن غيلان حـدثنا النضر بن شـميل عن شـعبة نحوه إلا أنه قال ربعي عن رجل عن علي قــال أبو عيسى حـديث أبي داود عن شـعبة عنـدي أصح من حـديث النضر روى غـــير واحد عن منصـــور عن ربعي عن علي حـــدثنا الجارودي قال سمعت وكيعا يقول بلغنا أن ربعيا لم يكذب في الإسلام كذبة.

وحدث الترمذي عن عبد الواحد بن سـليم قـال قـدمت مكة فلقيت عطـاء بن ربــاح فقلت له يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر قـال يا بـني أتقـرأ القـرآن قلت نعم قــال فــاقرأ الزخـرف قــال فقــرأت { حم والكتــاب المــبين إنا جعلنــاه قرآنا عربيا لعلكم تعقلــون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم }فقال أتدري ما أم الكتــاب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه كتــاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض فيه إن فرعــون من أهل النــار وفيه { تبت يــدا أبي لهب وتب}قــال عطــاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسـألته ما كـان وصـية أبيك عند المـوت قـال دعـاني أبي فقـال لي يا بـني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خـيره وشـره فـإن مت على غــير هـذا دخلت النـار إني سـمعت رسـول الله صــلى الله عليه وســلم يقــول إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد قال أبو عيسى وهذا حديث غـريب من هـذا الوجه.

وروى الإمـام الترمـذي عن أبي هريـرة أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وقف على أنـاس جلـوس فقـال ألا

أخبركم بخيركم من شركم قـال فسـكتوا فقـال ذلك ثلاث مــرات فقــال رجل بلى يا رســول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا قال خيركم من يرجى خـيره ويـؤمن شـره وشـركم من لا يـرجى خـيره ولا يـؤمن شـره قـال أبو عيسى هـذا حديث حسن صحيح.

وروى الترمـذي أيضا عن يحـيى بن يعمر قـال أول من تكلم في القدر معبد الجهـني قـال فخـرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة فقلنا لو لقينا رجلا من أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم فسـألناه عما أحـدث هـؤلاء القـوم قـال فلقينـاه يعـني عبد الله بن عمر وهو خـارج من المسـجد قـال فاكتنفته أنا وصـاحبي قـال فظننت أن صـــاحبي ســـيكل الكلام إلي فقلت يا أبا عبد الــــرحمن إن قوما يقـــرؤون القـــرآن ويتقفـــرون العلم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قـال فـإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريئ وأنهم مني برءاء والــذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبا ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره قـال ثم أنشأ يحـدث فقـال قال عمر بن الخطاب كنا عند رسول الله صــلى الله عليه وسلم فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يــرى عليه أثر السـفر ولا يعرفه منا أحد حـتى أتى النـبي صلى الله عليه وسلم فألزق ركبته بركبته ثم قال يا محمد ما الإيمــان قــال أن تــؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســله واليوم الآخر والقـدر خـيره وشـره قـال فما الإسـلام قـال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبـده ورسـوله وإقـام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج الـبيت وصـوم رمضـان قـال فما الإحســان قــال أن تعبد الله كأنك تــراه فإنك إن لم تكن تـراه فإنه يـراك قـال في كل ذلك يقـول له صـدقت قـال فتعجبنا منه يسـأله ويصـدقه قـال فمـتى السـاعة قـال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قـال فما أمارتها قـال أن تلد الأمة ربتها وأن تــرى الحفــاة العــراة العالة أصــحاب الشاء يتطاولون في البنيان قال عمر فلقيني النـبي صـلى الله عليه وسلم بعد ذلك بثلاث فقال يا عمر هل تدري من السائل ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم حدثنا أحمد

بن محمد أخبرنا بن المبـــــارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الإسناد نحوه حـدثنا محمد بن المثـنى حـدثنا معـاذ بن معاذ عن كهمس بهذا الإسناد نحوه بمعناه وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريــرة قــال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح قد روي من غـير وجه نحو هذا عن عمر وقد روي هذا الحديث عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصــحيح هو بن عمر عن عمر عن النــبي صــلى الله عليه وســلم. قلت: روى هــذا الحــديث النسائي في الكبرى وفي المجتبى من السنن. والطبراني في المعجم الكبير.

قلت: وهذا الحديث عند أبي داود أيضا، وابن ماجه

وروى الحـاكم في المسـتدرك عن علي بن أبي طـالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال لا يـؤمن العبد حـتى يؤمن بأربع حتى يشـهد أن لا إله إلا الله وأني رسـول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر هــذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد قصر بروايته بعض أصحاب الثوري وهذا عندنا مما لا يعبأ.

وروى الحاكم أيضا عن نافع قال كان لابن عمر صــديق من أهل الشـــــام يكاتبه فكتب إليه عبد الله بن عمر أنه بلغـني أنك تكلمت في شـيء من القــدر فإيـاك أن تكتب إلي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول إنه سـيكون في أمـتي أقـوام يكـذبون بالقـدر هـذا حـديث صحيح على شرط مسـلم فقد احتج بـأبي صـخر حميد بن زياد ولم يخرجاه.

وروى الطـــبراني في المعجم الأوسط عن جــــابر بن سـمرة قـال سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقــول أخــوف ما أخــاف على أمــتي الاستســقاء بــالأنواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر لم يـرو هـذا الحـديث عن فطر إلا محمد ولا يــروى عن جــابر بن ســمرة إلا بهــذا الإسناد.

وله عن عمرو بن شـعيب عن أبيه عن جـده قـال قـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم لن يــؤمن عبد حــتى يــؤمن بالقــدر خــيره وشــره ويعلم أن ما أصــابه لن يكن

ليخطئه وما أخطـأه لم يكن ليصـيبه لم يـرو هـذا الحـديث عن منصور بن زيد إلا عبد الله بن جعفر.

وله في المعجم الكبير عن خباب بن الأرت قال بعثـني رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مبعثا فقلت يا رسـول الله إنك تبعثـني بعيـدا وأنا أشـفق عليك قـال وما بلغ من شـــفقتك علي قلت أصــــبح فلا أظنك تمسي وأمسي فلا أظنك تصبح قال يا خباب خمس إن فعلت بهن رأيتني وإن لم تفعل بهن لم تـرني فقلت يا رسـول الله وما هن قـال تعبد الله لا تشـرك به شـيئا وإن قطعت وحـرقت وتـؤمن بالقدر قلت يا رسول الله وما الإيمان بالقدر قـال تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تشــرب الخمر فـــإن خطيئتها تقـــرع الخطايا كما أن شجرتها تعلق الشجر وبر والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا وتعتصم بحبل الجماعة فـإن يد الله على الجماعة يا خباب إنك إن رأيتني يوم القيامة لم تفارقني.

وله في المعجم الكبــير عن عطـــاء بن أبي ربـــاح عن عمرو بن شعيب قال كنت عند سـعيد بن المسـيب جالسا فـــذكروا أن أقواما يقولــون قـــدر الله كل شــيء ما خلا الأعمـال قـال فوالله ما رأيت سـعيد بن المسـيب غضب غضبا أشد منه حتى هم بالقيام ثم سكن فقـال تكلمـوا به أما والله لقد سمعت فيهم حديثا كفاهم به شـرا ويحهم أو يعلمـون فقلت يرحمك الله يا أبا محمد وما هو قـال فنظر إلي وقد سكن بعض غضبه فقال حدثني رافع بن خديج أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول يكـون قـوم من أمـتي يكفـرون بالله وبـالقرآن وهم لا يشـعرون كما كفرت اليهود والنصارى قـال قلت جعلت فـداك يا رسـول الله وكيف ذاك قال يقرون ببعض القـدر ويكفـرون ببعضه قال قلت ثم ما يقولون قال يقولون الخير من الله والشر من إبليس فيقرون على ذلك كتاب الله ويكفرون بـالقرآن بعد الإيمـان والمعرفة فما يلقى أمـتي منهم من العـداوة والبغضـاء والجـدال أولئك زنادقة هـذه الأمة في زمـانهم يكـون ظلم السـلطان فينـالهم من ظلم وحيف وأثـرة ثم يبعث الله عز وجل طاعونا فيفـــني عـــامتهم ثم يكـــون

الخسف فما أقل ما ينجو منهم المـؤمن يومئذ قليل فرحه شديد غمه ثم يكـون المسخ فيمسـخ   الله عز وجل عامة أولئك قردة وخنازير ثم يخـرج الـدجال على أثر ذلك قريبا ثم بكى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حـتى بكينا لبكائه قلنا ما يبكيك قـال رحمة لهم الأشـقياء لأن فيهم المتعبد ومنهم المجتهد مع أنهم ليسوا بأول من سـبق إلى هذا القـول وضـاق بحمله ذرعا إن عامة من هلك من بـني إسرائيل بالتكذيب بالقدر قلت جعلت فداك يا رسـول الله فقل لي كيف الإيمان بالقدر قال تؤمن بالله وحـده وإنه لا يملك معه أحد ضرا ولا نفعا وتؤمن بالجنة والنار وتعلم أن الله عز وجل خالقهما قبل خلق الخلق ثم خلق خلقه فجعلهم من شـاء منهم للجنة ومن شـاء منهم للنـار عـدلا ذلك منه وكل يعمل لما فرغ له وهو صائر إلى ما فرغ منه قلت صدق الله ورسوله.

وله في المعجم الكبـير عن أبي الأسـود الـدؤلي قـال خاصمت القدرية فـأحرجوني فـأتيت عمـران بن الحصـين الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقلت يا أبا نجيد خاصـمت القدرية فـأحرجوني فهل من حـديث تحـدثني لعل الله ينفعـني به قـال لعلي لو حـدثتك حـديثا لبست عليه أذنيك كأنك لم تسمعه فقلت إنما جئت لـذلك فقـال لو أن الله عـذب أهل السـماء وأهل الأرض عـذبهم وهو غير ظـالم ولو أدخلهم في رحمته كـانت رحمته أوسع لهم من ذنوبهم فإذا هو كما قال   الله عز وجل يعذب من يشـاء ويغفر لمن يشـاء فمن عـذب فهو الحق ومن رحم فهو الحق ولو كـانت الجبـال لأحـدكم ذهبا أو ورقا فأنفقها في سبيل الله ثم لم يـؤمن بالقـدر خـيره وشـره لم ينتفع بذلك فـأتيت عبد الله بن مسـعود فسـألته فقـال عبد الله لأبي بن كعب يا أبا المنـــذر حدثه فقـــال أبي يا أبا عبد الرحمن حدثه فحدث بن مسـعود بمثل حـديث عمـران بن حصين عن النبي صـلى الله عليه وسـلم وعلى آله وسـلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه.

وفي ســنن ابن ماجه عن بن الــديلمي قــال وقع في نفسي شيء من هـذا القـدر خشـيت أن يفسد علي ديـني

وأمـري فـأتيت أبي بن كعب فقلت أبا المنـذر إنه قد وقع في نفسي شـيء من هـذا القـدر فخشـيت على ديـني وأمـري فحـدثني من ذلك بشـيء لعل الله أن ينفعـني به فقال لو أن الله عـذب أهل سـماواته وأهل أرضه لعـذبهم وهو غـير ظـالم لهم ولو رحمهم لكـانت رحمته خـيرا لهم من أعمـالهم ولو كـان لك مثل جبل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حـتى تـؤمن بالقـدر فتعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطـأك لم يكن ليصـيبك وأنك إن مت على غـير هـذا دخلت النـار ولا عليك أن تـأتي أخي عبد الله بن مسـعود فتسـأله فـأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أبي وقال لي ولا عليك أن تـأتي حذيفة فـأتيت حذيفة فسـألته فقـال مثل ما قـالا وقال ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول لو أن الله عـذب أهل سـماواته وأهل أرضه لعـذبهم وهو غـير ظـالم لهم ولو رحمهم لكـانت رحمته خـيرا لهم من أعمـالهم ولو كـان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حـتى تـؤمن بالقـدر كله فتعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك وما أخطـأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار.

والأحـاديث والآثـار في هـذا البـاب كثـيرة وما ذكرنـاه يكفي بتوفيق الله تعالى.

([80]) روى البخـاري عن أبي هريـرة رضي الله تعـالى عنه قـال قلت يا رسـول الله إني رجل شـاب وأنا أخـاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتـزوج به النسـاء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عـني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسـلم يا أبا هريـرة جف القلم بما أنت لاق فـاختص على ذلك أو ذر. قلت: وهـذا الحـديث في سـنن الـبيهقي الكبرى وقال عنه حديث صحيح. وفي المجتبى من السنن للنسائي وصححه.

وروى الترمذي في الجامع الصـحيح عن عبد الواحد بن سليم قال قدمت مكة فلقيت عطـاء بن ربـاح فقلت له يا

أبا محمد إن أهل البصـرة يقولـون في القـدر قـال يا بـني أتقرأ القرآن قلت نعم قـال فـاقرأ الزخـرف قـال فقـرأت { حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لـدينا لعلي حكيم }فقـال أتـدري ما أم الكتاب قلت الله ورسـوله أعلم قـال فإنه كتـاب كتبه الله قبل أن يخلق الســــماوات وقبل أن يخلق الأرض فيه إن فرعون من أهل النار وفيه {تبت يدا أبي لهب وتب }قـال عطاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صـاحب رسـول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ما كان وصـية أبيك عند المـوت قـال دعـاني أبي فقـال لي يا بـني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشـره فـإن مت على غـير هـذا دخلت النـار إني سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقـال ما أكتب قـال اكتب القـدر ما كـان وما هو كـائن إلى الأبد قـال أبو عيسى وهـذا حـديث غـريب من هـذا الوجـه. **وفي لفظ آخر** : فلقيت عطـاء بن أبي رباح فقلت له يا أبا محمد إن أناسا عنـدنا يقولـون في القدر فقال عطاء لقيت الوليد بن عبـادة بن الصـامت قال حدثني أبي قال سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول إن أول ما خلق الله القلم فقــال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد وفي الحديث قصة قـال هـذا حديث حسن.

وروى الترمذي عن عبد الله بن الـديلمي قـال سـمعت عبد الله بن عمـرو يقـول سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصـابه من ذلك النـور اهتـدى ومن أخطـأه ضل فلـذلك أقـول جف القلم على علم الله قـال أبو عيسى هـذا حـديث حسـن. وهـذا الحـديث عند الحاكم في المسـتدرك ولكن طويل وقـال إن جميع رواته احتجوا بهم ولا يعلم له علة.

قال السيوطي في الـديباج على مسـلم(6/13): جفت به الأقلام أي الـتي كتبته في اللـوح المحفـوظ أي تمت كتابته وامتنعت في الزيادة والنقصان قال العلمـاء وكتـاب

الله ولوحه وقلمه والصـحف المـذكورة في الأحـاديث كل ذلك مما يجب الإيمـان به وأما كيفية ذلك وصـفتها فعلمها إلى الله تعـالى وجـرت به المقـادير قـال أبو المظفر السـمعاني سـبيل معرفة هـذا البـاب التوقيف من الكتـاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتـاه في بحـار الحـيرة ولم يبلغ شـفاء النفس ولم يصل إلى ما يطمئن إليه القلب لأن القدر سر من أسـرار الله تعـالى ضـربت دونه الأسـتار اختص الله تعالى به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وأوجب لنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجـاوزه وقد طوى الله علم القدر عن العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقـرب وقيل إن سر القـدر ينكشف لهم إذا دخلـوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها.اهـ

وروى الحـاكم في مسـتدركه (2/405) قـال حـدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبـير عن ابن عبـاس رضي الله تعـالى عنهما وقربنـاه نجيا قـال سـمع صـريف القلم حين كتب في اللـوح هـذا حـديث صـحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفيه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصـور قلما من نـور فقليل له أجر في اللـوح المحفـوظ قـال يا رب بمـاذا قـال بما يكـون إلى يـوم القيامة فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظـون عليهم أعمـالهم فلما قـامت القيامة عرضت عليهم أعمـالهم وقيل هـذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون عرض بالكتابين فكانا سواء قال بن عباس ألستم عربا هل تكون النسـخة إلا من كتـاب هـذا حـديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه.

وفيه أيضا عن ابن عباس رضي الله تعـالى عنهما قـال إن أول شـيء خلقه الله القلم فقـال له اكتب فقـال وما أكتب فقال القدر فجـرى من ذلك اليـوم بما هو كـائن إلى أن تقوم الساعة قال وكان عرشه على الماء فارتفع بخـار المـاء ففتقت منه السـماوات ثم خلق النـون فبسـطت

الأرض عليه والأرض على ظهر النــون فاضــطرب النــون فمــادت الأرض فــأثبتت بالجبــال فــإن الجبــال تفخر على الأرض هــذا حــديث صــحيح على شــرط الشــيخين ولم يخرجاه.

وفيه أيضا عن ابن عباس رضي الله تعـالى عنهما قـال أهــدي إلى النــبي صــلى الله عليه وســلم بغلة أهــداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام قلت لبيك يا رســول الله قـال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجـــده أمامك تعـــرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاســأل الله وإذا اســتعنت فاســتعن بالله قد مضى القلم بما هو كـائن فلو جهد النــــاس أن ينفعــــوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد النـاس أن يضـروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فإن اســتطعت أن تعمل بالصــبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصــبر على ما تكرهه خيرا كثيرا واعلم أن مع الصــبر النصر واعلم أن مع الكـرب الفـرج واعلم أن مع العسر اليسر هـذا حـديث كبير عال من حـديث عبد الملك بن عمـير عن ابن عبـاس رضي الله تعـالى عنهما إلا أن الشـيخين رضي الله تعـالى عنهما لم يخرجا شــــهاب بن خــــراش ولا القــــداح في الصحيحين وقد روي الحديث بأســانيد عن بن عبـاس غـير هذا.

وفي المعجم الكبــير للطــبراني عن ســراقة بن مالك قــال قلت يا رســول الله أنعمل على ما قد جف به القلم وجرت به المقادير أو لأمر مستقبل قـال يا سـراقة اعمل لما جف به القلم وجرت به المقادير فإن كلا ميسر.

([81]) ورد ذكر العــرش في القــرآن في عــدة مواضع، نوردها لك هنا

في سورة الأعراف(إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ســتة أيــام ثم اســتوى على العــرش يغشي الليل النهــــار يطلبه حثيثا والشــــمس والقمر والنجــــوم مســــخرات بــــأمره ألا له الخلق والأمر تبــــارك الله رب العالمين[54])

وفي التوبـة(فـإن تولـوا فقل حسـبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم[129])

وفي سورة يونس(إن ربكم الله الذي خلق السـماوات والأرض في ستة أيام ثم اسـتوى على العـرش يـدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبـدوه أفلا تذكرون[3])

وفي سورة الرعد(الله الذي رفع السماوات بغــير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يـدبر الأمر يفصل الآيـات لعلكم بلقـاء ربكم توقنون[2])

وفي سورة الإسراء(قل لو كـان معه آلهة كما يقولـون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا[42])

وفي سورة طه(بِسْمِ اللـهِ الـرَحمن الـرَحيم طه [1] ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى[2] إلا تـذكرة لمن يخشـى[3] تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى[4] الـرحمن على العــرش اســتوى[5] له ما في الســماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الــثرى[6] وإن تجهر بــالقول فإنه يعلم السر وأخفى[7])

وفي سورة الأنبيـاء(لو كـان فيهما آلهة إلا الله لفسـدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[22])

وفي ســورة المؤمنــون(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون[84] سيقولون لله قل أفلا تـذكرون[85] قل من رب الســماوات الســبع ورب العــرش العظيم[86] سيقولون لله قل أفلا تتقون[87] قل من بيده ملكوت كل شــيء وهو يجــير ولا يجــار عليه إن كنتم تعلمــون[88] سيقولون لله قل فأنى تسحرون[89])

وفي سورة المؤمنون أيضا(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعــون[115] فتعــالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم[116])

وفي سورة الفرقان(وتوكل على الحي الـذي لا يمـوت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا[58] الذي خلق السـماوات والأرض وما بينهما في سـتة أيـام ثم اسـتوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا[59])

وفي سـورة النمـل(إني وجـدت امـرأة تملكهم وأوتيت من كل شـــيء ولها عـــرش عظيم[23] وجـــدتها وقومها يســـجدون للشـــمس من دون الله وزين لهم الشـــيطان أعمـــالهم فصـــدهم عن الســـبيل فهم لا يهتـــدون[24] ألا يسـجدوا لله الـذي يخـرج الخبء في السـماوات والأرض ويعلم ما تخفـــون وما تعلنـــون[25] الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم[26])

وفي ســـورة الســـجدة(الله الـــذي خلق الســـماوات والأرض وما بينهما في ستة أيـام ثم اسـتوى على العـرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون[4])

وفي سورة غـافر(وكـذلك حقت كلمة ربك على الـذين كفروا أنهم أصحاب النار[6] الـذين يحملـون العـرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للـذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم[7])

وفي ســـورة غـــافر(رفيع الـــدرجات ذو العـــرش يلقي الـــروح من أمـــره على من يشـــاء من عبـــاده لينـــذر يـــوم التلاق[15])

وفي سورة الزخرف(قل إن كان للـرحمن ولد فأنا أول العابدين[81] سبحان رب السماوات والأرض رب العـرش عما يصفون[82])

وفي سورة الحديد(بِسْمِ اللهِ الرَحمن الـرَحيم سـبح لله ما في الســـــماوات والأرض وهو العزيز الحكيم[1] له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شـيء قـــدير[2] هو الأول والآخر والظـــاهر والبـــاطن وهو بكل شيء عليم[3] هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيـام ثم اسـتوى على العـرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير[4] له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور[5])

وفي سـورة التكـوير(إنه لقـول رسـول كـريم[19] ذي قوة عند ذي العرش مكين[20])

وفي سورة الـبروج(إن بطش ربك لشـديد[12] إنه هو يبــدئ ويعيــد[13] وهو الغفــور الــودود[14] ذو العــرش المجيد[15] فعال لما يريد[16])
([82]) والكرسي قد ورد ذكــره في القــرآن في مواضع
قوله تعـالى في سـورة البقــرة(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السـماوات وما في الأرض من ذا الـــذي يشـــفع عنـــده إلا بإذنه يعلم ما بين أيــديهم وما خلفهم ولا يحيطــون بشــيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسـيه السـماوات والأرض ولا يـؤوده حفظهما وهو العلي العظيم[255])
([83]) ورد إثبات أن إبـراهيم عليه السـلام خليل الله في القـــرآن، فقد قـــال الله تعـــالى في ســـورة النساء(ومن أحسن دينا ممن أسـلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبــراهيم خليلا [125]). وورد أن الله كلم موسى تكليما في النســـاء أيضا فقـــال جل من قائــل(ورسلا قد قصصــناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما[164])، وفي سورة الأعـراف(ولما جـاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قـال رب أرني أنظر إليك قال لن تـراني ولكن انظر إلى الجبل فــإن اسـتقر مكانه فسـوف تـراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قـال سـبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين[143]).
ورد إثبات أن سيدنا إبراهيم عليه السـلام هو خليل الله تعالى في عـدة أحـاديث منها ما رواه الإمـام البخـاري عن أنس في حديث الشفاعة أن النبي عليه السلام قال فيه:" ولكن ائتوا إبــراهيم خليل الـرحمن فيـأتون إبـراهيم"، وقد رواه الإمام مسلم في صـحيحه عن معبد بن هلال العـنزي قال انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره فقال له يا أبا حمـزة إن إخوانك من أهل البصـرة يسـألونك أن تحـدثهم حـديث الشـفاعة قـال حــدثنا محمد صــلى الله عليه وســلم قــال إذا كــان يــوم

القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولـون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم **بـإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله** فيـأتون إبـراهيم فيقـول لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقــول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته فيـؤتى عيسى فيقـول لست لها ولكن عليكم بمحمد صـلى الله عليه وسـلم فـأوتى فأقول أنا لها".

وفي رواية أخــرى لمســلم عن أبي هريــرة وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم يجمع الله تبـارك وتعـالى النـاس فيقـوم المؤمنـون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا اســتفتح لنا الجنة فيقـول وهل أخـرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الــذي كلمه الله تكليما فيأتون موسى صلى الله عليه وسـلم فيقــول لست بصــاحب ذلك اذهبــوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقـــول عيسى صـــلى الله عليه وســـلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسـلم فيقـوم فيؤذن له".

([84]) روى الإمام البخاري عن أبا هريــرة رضي الله تعالى عنه قال لما توفي رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وكـان أبو بكر رضي الله تعـالى عنه وكفر من كفر من العــرب فقــال عمر رضي الله تعــالى عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أمـرت أن أقاتل الناس حـتى يقولـوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مـني ماله ونفسه إلا بحقه وحسـابه على الله فقـال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله تعالى عنه فعرفت أنه الحق.

([85]) روى إسـحاق بن راهويه في مسـنده عن عائشة قـالت ما كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يبــــوح به أن إيمانه على إيمــــان جبريل وميكائيل أخبرنا العلاء بن عبد الجبار عن نـافع بن عمر الجمحي وكـان ثقة عن بن أبي مليكة قـال يقولـون إيمـان فلان كإيمـان فلان أترون إيمـان فهـدان مثل إيمـان جبريل وكـان رجلا متهما بالشــراب أخبرنا محمد بن أعين قــال قــال بن المبــارك وذكر له الإيمــان فقــال قــوم يقولــون إيماننا مثل جبريل وميكائيل إما فيه زيــادة إما فيه نقصــان هو مثله ســواء وجبريل ريما صار مثل الوضع من خـوف الله تعـالى وذكر أشــباه ذلك قــال فقيل له إن قوما يقولــون إن ســفيان الثـوري حين كـان يقـول إن شـاء الله كـان ذاك منه شك فقال بن المبارك أترى سفيان كـان يسـبقني في وحدانية الـرب أو في محمـد صـلى الله عليه وسـلم إنما كـان اســتثناء في قبــول إيمانه وما هو عند الله قــال بن أعين قال بن المبـارك والاسـتثناء ليس بشك ألا تـرى إلى قـول الله لتـدخلن المسـجد الحـرام إن شـاء الله آمـنين وعلم أنهم داخلون قال لو أن رجلا قال هذا نهار إن شـاء الله ما كان شكا قال وقال شيبان لابن المبارك يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر ونحو هـذا أمـؤمن هو قـال بن المبـارك لا أخرجه من الإيمـان فقـال على كـبر السن صرت مرجئا فقال له بن المبـارك يا أبا عبد الله إن المرجئة لا تقبلني أنا أقـول الإيمـان يزيد المرجئة لا تقـول ذلك والمرجئة تقـــول حســـناتنا متقبلة وأنا لا أعلم تقبلت مني حسـنة وقـال غـير بن أعين قـال له بن المبـارك وما أحوجك إلى أن تأخذ ســبورجة فتجــالس العلمــاء قـــال إسحاق وأخبرني عدة أحمد بن زهير وعـدة ممن شـهد بن المبارك بالري فقـال له المسـتملي يا أبا عبد الـرحمن أن ها هنا قوما يقولون الإيمان لا يزيد فسـكت عبد الله حـتى سأله ثلاثا فأجابه فقال لا تعجبني هـذه الكلمة منكم أن ها هنا قوما ينبغي أن يكـون أمـركم جمعا قــال وقــال نا عبد الله بن شوذب عن محمد بن جحـادة عن سـلمة بن كهيل عن هزيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطـاب لو وزن

إيمـان أبي بكر الصـديق بإيمـان أهل الأرض لـرجحهم بلى أن الإيمان يزيد بلى أن الإيمان يزيد ثلاثا قـال بن المبـارك لم أجد بدرا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله قـال إســحاق والمرجئة طائفة من الجهمية قــال إســحاق وقد مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أهل الجنة يـــــــرون ربهم وهو من أعظم نعم أهل الجنة وقوله وجــوه يومئذ ناضــرة إلى ربها نــاظرة يقــول يومئذ مشـرقة إلى الله نـاظرة إلى الجنة وإنما معـنى قــول من قال تنتظر الثواب ولا يرون ربهم يــوم القيامة قبل دخــول الجنة ألا تـــرى إلى مجاهد حين فسر الآية فســـره على معنى ما وصفنا قال إلى ربها ناظرة قال ينظرون الثــواب تفســير الآية يجيء على أوجه وهي نـــواظر يـــوم القيامة فتجيء الآية مصدقة لمعنى الآية الأخرى وهي في الظاهر عند من يجهل تأويلها فحالف للآخر كما جهل من سـأل بن عبــاس عن قوله فلا أنســاب بينهم يومئذ ولا يتســاءلون وعن قوله فأقبل بعضـهم على بعض يتسـاءلون وكـان في الظاهر إحـداهما مخالفة للأخـرى فأجابه بن عبـاس بأنهما مؤتلفتان فسر قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتســاءلون قـــال هـــذه النفخة الأولى إذا لم يبق على وجه الأرض لم يكن بينهم يومئذ نسب وقال إذا أدخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون فتبين أن معـنى الايـتين معـنى واحد وكان في الظاهر خلافا حتى أن بن عباس قال للسـائل ما أشـــبه عليك من نحو ذلك من القـــرآن فهو كما وصـــفنا فلـــذلك قلنا أن قـــول الله لا تدركه الأبصـــار وهو يـــدرك الأبصار في الدنيا وتصـديق ذلك ما قـالت عائشة من زعم أن محمـــدا رأى ربه فقد كـــذب لأن الله لا تدركه الأبصــار وهو يدرك الأبصــار فقد تحقق عند من عقل عن الله عز وجل أن عائشة فسرت هـذه الآية على الـدنيا وتفسـرها المبتدعة على أنها في الدنيا والآخرة فأسقطوا معنى هذه الآية وجـوه يومئذ ناضـرة إلى ربها نـاظرة وبين ما وصـفنا في قــول الله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبــون فــأزال ذلك عن الكفـــــــار وثبتت الآية لأهل الجنة ولقد قيل لابن المبارك أن فلانا فسر الآيتين لا تدركه الأبصـار وهو يـدرك

الأبصـار وقوله وجـوه يومئذ ناضـرة إلى ربها نـاظرة على أنها مخالفة للأخـرى فلـذلك أرى الوقف في الرؤية فقـال بن المبارك جهل الشيخ معنى الآية التي قال الله لا تدركه الأبصـار وهو يـدرك الأبصـار ليست بمخالفة وجـوه يومئذ ناضـــرة إلى ربها نـــاظرة لأن هـــذه في الـــدنيا وتلك في الآخـرة حـتى إنه قـال لا تفشـوا هـذا عن الشـيخ تدعيه الجهمية ورآه منه غلطا ولو لم يكن فيما وصـــــــفنا إلا ما سأل موسى ربه الرؤية في الدنيا لما كان قد علم أن أهل الجنة يرون ربهم فيسأل ربه أن يريه في الـدنيا فـبين الله له قال انظر إلى الجبل فإن اسـتقر مكانه فسـوف تـراني فلما تجلى ربه للجبل ساخ الجبل ولم يقو على نظر الرب قال موسى سـبحانك تبت إليك وأنا أول من آمن بك أن لا يراك أحد في الدنيا قبل يوم القيامة.

([86]) قال الله تعالى في سورة يوسـف(يا بـني اذهبـوا فتحسسـوا من يوسف وأخيه ولا تيأسـوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون[87]).

([87]) روى الإمـــام مســـلم في صـــحيحه عن أسامة بن زيد وهذا حديث بن أبي شيبة قـال بعثنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في سـرية فصـبحنا الحرقـات من جهينة فأدركت رجلا فقــال لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنـبي صـلى الله عليه وسـلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقال لا إله إلا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السـلاح قـال أفلا شـققت عن قلبه حـتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حـتى تمـنيت أني أسـلمت يومئذ قـال فقـال سعد وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعـني أسـامة قـال قـال رجل ألم يقل الله { وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنة ويكـون الـدين كله لله } فقـال سـعد قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حـتى تكون فتنة.

وفي المستدرك للحـاكم عن أسـامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسـلم

في سـرية في أنـاس من أصـحابه فاسـتبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو فحملت على رجل فلما دنـوت منه كـبر فطعنته فقتلته ورأيت أنه إنما فعل ذلك ليحـــرز دمه فلما رجعنا سـبقني إلى النـبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال يا رسول الله لا فارس خـير من فارسـكم إنا اسـتلحقنا رجلا فسـبقني إليه فكـبر فلم يمنعه ذلك أن قتله فقـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم يا أسـامة ما صـنعت اليـوم فقلت حملت على رجل فكــبر فــرأيت أنه إنما فعل ليحــرز دمه فقتلته فقــال كيف بعد الله أكــبر فهلا شــققت عن قلبه فقلت ما قــال فلم يــزل يقــول لي يومئذ فلا أقاتل رجلا يقول الله أكبر مما نهاني عنه حـتى ألقـاه صـلى الله عليه وسلم.

([88]) قال الله تعالى في سورة النحل(من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكـــره وقلبه مطمئن بالإيمـــان ولكن من شرح بالكفر صـدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[106]).

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريـرة قـال كان النبي صلى الله عليه وسـلم بـارزا يوما للنـاس فأتـاه جبريل فقــال ما الإيمــان قــال أن تــؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشـرك به وتقيم الصـلاة وتـؤدي الزكـاة المفروضة وتصوم رمضان قـال ما الإحسـان قـال أن تعبد الله كأنك تـراه فـإن لم تكن تـراه فإنه يـراك قـال مـتى السـاعة قــال ما المســؤول عنها بــأعلم من الســائل وسأخبرك عن أشـراطها إذا ولـدت الأمة ربها وإذا تطـاول رعـاة الإبل البهم في البنيـان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النــبي صــلى الله عليه وســلم {إن الله عنــده علم الساعة} الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم النـاس دينهم قـال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان.

وأخــرج البخــاري عن محمد بن جبــير عن أبيه قــال سـمعت النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقـرأ في المغـرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.

([89]) قال تعالى في سورة الأنفـال(وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصـدون عن المسـجد الحـرام وما كـانوا أولياءه إن أوليـاؤه إلا المتقـون ولكن أكـثرهم لا يعلمـون[34]).وقال تعالى في سورة الأعراف(إن ولِيِّيَ اللـهُ الـذي نزَّلَ الكتابَ وهو يتولى الصالحين[196])

([90]) روى ابن حبان في صـحيحه عن جـابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. ورواه الحاكم في المستدرك عن جــابر بن عبد الله رضي الله تعــالى عنهما أن رســول الله صــلى الله عليه وســـلم تلا قـــول الله عز وجل (ولا يشـــفعون إلا لمن ارتضـى) فقـال صـلى الله عليه وسـلم إن شـفاعتي لأهل الكبائر من أمتي هذا حديث صـحيح على شـرط الشـيخين ولم يخرجاه.

وهو في ســـنن أبي داود وفي الترمــــذي عن أنس بن مالك. ورواه غيرهم.

وفي مسند أبي يعلى عن يزيد الرقاشي عن أنس قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم شـفاعتي لأهل الكبـائر من أمتي قـال فقـال تصـديق هـذا في القـرآن قـال فقـرأ علينا إن تجتنبوا كبـائر ما تنهـون عنه نكفر عنكم سـيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما فهؤلاء الذين يجتنبون الكبائر وهؤلاء الذين واقعـوا الكبـائر بقيت لهم شـفاعة محمد صـلى الله عليه وسلم قال فقال يزيد لأنس صدقت.

([91]) روى البخاري في صـحيحه عن عبـادة بن الصـامت رضي الله تعـالى عنه قـال كنا عند النـبي صـلى الله عليه وســلم في مجلس فقــال بــايعوني على أن لا تشركوا بالله شـيئا ولا تسـرقوا ولا تزنـوا وقـرأ هـذه الآية كلها فمن وفي منكم فــأجره على الله ومن أصــاب من ذلك شــيئا فعــوقب به فهو كفارته ومن أصــاب من ذلك شيئا فستره الله عليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وفي سـنن أبي داود عن عطـاء بن يسـار عن عبد الله بن الصـنابحي قـال زعم أبو محمد أن الـوتر واجب فقـال عبـادة بن الصـامت كـذب أبو محمد أشـهد أني سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول خمس صـلوات افترضـهن الله تعـالى من أحسن وضـوءهن وصـلاهن لـوقتهن وأتم ركـوعهن وخشـوعهن كـان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شـاء عذبـه. ورواه أيضا الإمـام الـبيهقي في سننه الكبرى، وفي مسند الإمام أحمد

([92]) روى الإمام البخاري في صـحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعـالى عنه عن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقـال حبة من خردل من إيمـان فيخرجـون منها قد اسـودوا فيلقـون في نهر الحيا أو الحياة شك مالك فينبتـون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخـرج صـفراء ملتوية قـال وهيب حدثنا عمرو الحياة وقال خردل من خير.

وروى البخـاري في الصـحيح عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قـال النـبي صـلى الله عليه إني لأعلم آخر أهل النـار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخـولا رجل يخـرج من النـار حبـوا فيقـول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فـيرجع فيقـول يا رب وجـدتها ملأى فيقـول اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه انها ملأى فـيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثـال الدنيا فيقول أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حـتى بـدت نواجذه وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة.

وفي حديث الشـفاعة الطويل الـذي رواه البخـاري عن أنس بن مالـك، بعد أن يحمد النـبي عليه الصـلاة والسـلام ربه بمحامد ويخرج أناسا من النـار، يقـول صـلى الله عليه وسـلم:" فـأقول يا رب ما بقي في النـار إلا من حبسه القـرآن ووجب عليه الخلـود قـال النـبي صـلى الله عليه

وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخــرج من النــار من قــال لا إله إلا الله وكــان في قلبه ما يــزن من الخير ذرة".

([93]) ذكـــــره الخطيب في تـــــاريخ بغــــداد (6/402):" عن بن عمر ان رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم قال صلوا خلف من قـال لا اله الا الله وصـلوا على من قال لا اله الا الله".

قــال الــزيلعي في نصب الرايــة(2/26):" قــال عليه السلام صلوا خلف كل بر وفـاجر قلت أخرجه الـدارقطني في سننه عن معاوية بن صـالح عن العلاء بن الحـارث عن مكحــول عن أبي هريــرة أن رســول الله صـلى الله عليه وسلم قـال صـلوا خلف كل بر وفـاجر وصـلوا على كل بر وفاجر وجاهـدوا مع كل بر وفـاجر انتهى قـال الـدارقطني مكحول لم يســمع من أبي هريــرة ومن دونه ثقــات انتهى ومن طريق الــــدارقطني رواه بن الجــــوزي في العلل المتناهية وأعله بمعاوية بن صـالح مع ما فيه من الانقطـاع وتعقبه بن عبد الهادي وقال إنه من رجـال الصـحيح انتهى والحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد وضـعفه بأن مكحولا لم يسمع من أبي هريــرة ولفظه قـال الجهـاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر والصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن عمل الكبـــائر انتهى ومن طريق أبي داود رواه الـــبيهقي في المعرفة وقـــال إســـناده صـــحيح إلا أن فيه انقطاعا بين مكحــول وأبي هريــرة وله طريق آخر عند الـدارقطني عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صـالح السـمان عن أبي هريــرة مرفوعا سـيليكم من بعــدي ولا الــبر بــبره والفــاجر بفجــوره فاســمعوا له وأطيعــوا فيما وافق الحق وصــلوا وراءهم فــإن أحســنوا فلكم ولهم وإن اســـاءوا فلكم وعليهم انتهى ومن طريق الدارقطني رواه بن الجوزي في العلل وأعله بعبد الله هذا

قال أبو حاتم متروك الحديث وقـال بن حبـان لا يحل كتب حديثه قال بن الجوزي وسئل أحمد عن حديث صلوا خلف كل بر وفاجر فقال ما سمعنا به انتهى"

وقـال ابن حجر في تلخيص الحبـير(2/35) عن حـديث "صلوا خلف كل بر وفـاجر":" قـال العقيلي ليس في هـذا المتن إسـناد يثبت ونقل بن الجـوزي عن أحمد أنه سـئل عنه فقـال ما سـمعنا بهـذا وقـال الـدارقطني ليس فيها شيء يثبت وللبيهقي في هذا البـاب أحـاديث كلها ضـعيفة غاية الضعف وأصح ما فيه حديث مكحـول عن أبي هريـرة على إرساله وقال أبو أحمد الحاكم هذا حديث منكر"

([94]) السيف هنا كناية عن القتـل، وقد ورد النهي عن قتل المسلم إلا بحق الإسلام. وهذا المعنى مشـهور. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسـلام، "أمـرت أن أقاتل النـاس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها".

([95]) روى الإمـــام مســـلم في صـــحيحه عن علقمة بن وائل الحضـرمي عن أبيه قـال سـأل سـلمة بن يزيد الجعفي رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـال يا نـــبي الله أرأيت إن قـــامت علينا أمـــراء يســـألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فـأعرض عنه ثم سـأله فـأعرض عنه ثم سـأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشـعث بن قيس وقـــال اســـمعوا وأطيعـــوا فإنما عليهم ما حملـــوا وعليكم ما حملتم.وهو في الترمـــذي، وســـنن الـــبيهقي الكبرى،وفي المعجم الكبير

وفي مسـند الإمـام أحمد عن ابن مسـعود أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال كيف بك يا عبد الله إذا كـان عليكم أمراء يضيعون السنة ويؤخرون الصـلاة عن ميقاتها قال كيف تـأمرني يا رسـول الله قـال تسـألني بن أم عبد كيف تفعل لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل.

وفي مسند الإمـام أحمد أيضـا: حـدثنا عبد الله حـدثني أبي ثنا يزيد يعنى بن هارون أنا هشام عن محمد قال جـاء رجل إلى عمـران بن حصـين ونحن عنـده فقـال اسـتعمل الحكم بن عمـرو الغفـاري على خراسـان فتمنـاه عمـران

حتى قال له رجل من القـوم ألا نـدعوه لك فقـال له لا ثم قام عمران فلقيه بين النـاس فقـال عمـران إنك قد وليت أمرا من أمر المسلمين عظيما ثم أمره ونهــاه ووعظه ثم قال هل تذكر يوم قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لا طاعة لمخلــوق في معصــية الله تبــارك وتعــالى قــال الحكم نعم قال عمران الله أكبر.

([96]) قــال الله تعـالى(وأطيعـوا الله وأطيعـوا الرسول وأولي الأمر منكم).

([97]) قال العلامة البرتي:"إنما ذكر هذا لئلا يقع في الشك فيما ذكرنا من العقائد عندما يشتبه عليه شيء، أو يعتريه ســؤال ولا يمكن دفعـــه، فحينئذ يجب عليه أن يفــوض أمر ذلك وعلمه إلى الله فإنه هو العــالم بحقــائق الأشياء، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا يمكن للبشر معرفة كنه دقـــــائق الأشــــياء وحقائقها إلا بتعليم وإلهام من الله، فإن الملائكة مع صفاء جــواهرهم اعــترفوا بــالعجز عن العلم من ذواتهم، حيث قـالوا(لا علم لنا إلا ما علمتنـا) فكيف البشر مع شـواغلهم عن التوجه إلى جناب القدس، وقد قـال تعـالى(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)."اهـ

([98]) قـال البـابرتي في شـرحه:"إنما ذكر هـذا ردا على أهل الــرفض فــإنهم أنكــروا جــواز المسح على الخفين، وهذا وإن كان من أحكام الفقه لكنه لما اشتهرت فيه الآثـار ألحقه بالعقائد دفعا لإنكـار المنكـرين، قـال أبو الحسن الكـــرخي:إني لأخشى الكفر على من لا يـــرى المسح على الخفين."اهـ

وبعد هذا التوضيح فإن العجب يزداد من جرأة السقاف ومســارعته إلى القــول عند تعليقه على هــذه الفقــرة ص 646:"لا معنى لإيراد هذه المسألة في كتب العقائد، وإنما مكانها في باب المسح على الخفين في كتاب الطهـاة من كتب الفقــه، وفي مسـائل الفقه المجمع عليها ما هو أولى أن يورده هنا لو قَبِلْنا طرح أمثال هذه المســألة هنـا، مثل قولنا ونــرى أن صــلاة الصــبح ركعــتين وأن في كل ركعة ركوع واحد وسجود واحد وسجدتين ...إلخ، فتنبه".اهـ

أقــــول: قد تنبهنـــــا، ورأينا أنك لم تتنبـــــه، والعجب من إطلاق مثل هذا الاعتراض هنا بهذه الجرأة، مع أن كل من تكلم على عقيـــدة الطحـــاوي فإنه ذكر وجه إيـــراد هـــذه المسألة هنا، بل إن صـاحب العقائد النسـفية قد ذكر هـذه المسألة هنـا، بل وذكر غيرها من المسـائل الفقهية لنفس السبب الـذي وضـحناه نحن ولم تتنبه إليه أنت. فهل كـان النسفي والتفتـازاني شـارح النسـفية لا يعرفـون أن موقع هذه المسائل إنما هو في الفقه؟؟!

وما أحسن ما ذكره الإمام السعد التفتازاني في شرحه على العقائد النســفية في مســألة التكــوين ص134 من الطبعة العثمانية:"ولكنه ينبغي للعاقل أن يتأمل في أمثال هذه المباحث لا ينسب إلى الراسخين من علمـاء الأصـول ما يكون استحالته بديهية ظـاهرة على من له أدنى تميـيز، بل يطلب لكلامهم محملا صحيحا يصلح محلا لنزاع العلماء واختلاف العقلاء."اهـ فهذا الكلام على اختصاره قاعدة في هـــذا البـــاب، لم يتنبه إليه الشـــيخ الســـقاف في أكـــثر الكتـــاب.والله تعـــالى هو الموفق إلى الصـــواب، وإليه المرجع والمآب.

([99])   قـال البـابرتي في شـرحه:"إنما قـال مع أولي الأمر، لأن الحج والجهـاد متعلقـان بالسـفر واجتمـاع العســاكر والقوافــل، ولا بد فيه من ضــابط يضــبط أمــور الناس عند اختلافهم ويقاوم العدو ويحسم مـادة السـراق، فلو لم يكن فيهم أمـــير يقع الخلل في أكـــثر الأمـــور، فيحتــاجون إلى من يرجعــون إليه في الأمــور ويطيعونه ويكـــــون نافذ الأمر فيهم، وهو الســـــلطان أو نوابه من الأمـراء، سـواءا كـان بـرا أو فـاجرا، لأن العصـمة ليست بشرط في الأمير، فإذا كان فيه نفع عام وانتظام مصــلحة الرعية يصلح للإمامة وإن كان فاجرا، فـإن فجـوره لا يضر إلا نفسه."اهـ

ولا يفهم من كلام المصنف أن الإمـام شـرط في الحج والجهـاد، بل غاية ما يريـده هنا أن الإمـام إن كـان فـاجرا فــإن ذلك لا يقــدح في جــواز الحج معه أو مع من ينيبــه. وكذلك الجهاد.

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة. وهو في السنن الكبرى للبيهقي.

وفي سنن البيهقي الكبرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله لا يكفره بذنب ولا يخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال **لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل** والإيمان بالأقدار وحديث مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا قد مضى في باب الإمامة وكتاب الجنائز.

واعلم أنه لم يشترط أحد من الفقهاء المعتبرين لجواز الحج أن يكون الأمير موجودا.

وبعد ذلك فإن لك أن تتعجب مما قاله السقاف في تعليقه على هذه الفقرة ص647:"اعلم أنه ليس من شرط مضي الحج والجهاد أن يكونا مع أولي الأمر من المسلمين سواء برهم وفاجرهم."اهـ ثم قال إصرارا منه على الغلط في حق هؤلاء:" ومسلمو الدول الغير الإسلامية كمسلمي فرنسا والنرويج وأمريكا وأشباهها تحت راية أي أمير سيحجون، برا كان أو فاجرا، وبأي دليل يتم التعيين؟؟!!

لذا نرى أن هذا الذي قاله المصنف رحمه الله تعالى غير صواب فضلا عن أن ما ذكره ليس مناسبا في أبواب العقائد. والظاهر أن الزمن الذي كانوا يعيشون فيه اضطرهم لقول ذلك تقليدا لمن كان قبلهم ممن أثر فيهم الفكر الأموي ثم فكر الجبابرة العباسيين الذين نهجوا نفسه النهج في هذه القضية، والمُكْرَهُ له أحكام ولله في خلقه شئون!!"اهـ

انتهى كلامه ويا ليته ما قاله، وما أعظم الشأن في شأنه، وما في كلامه من مفاسد وتهجمات وتحاملات،

وانســــــياق وراء عاطفته لا يخفى على عاقـــــل.والله المستعان.

([100]) قـــال تعـــالى(ما يلفظ من قـــول إلا لديه رقيب عتيد)

([101]) قال تعالى في سورة السجدة(وقالوا أئذا ضـــللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقـــاء ربهم كافرون[10] قل يتوفاكم ملك المـوت الـذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون[11]).

([102]) روى الإمـــام البخـــاري في صـــحيحه عن عــروة بن الزبــير عن عائشة زوج النــبي صــلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كـان يــدعو في الصـلاة اللهم إني أعــوذ بك من عــذاب القــبر وأعــوذ بك من فتنة المسـيح الـدجال وأعــوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممـــات اللهم إني أعـــوذ بك من المـــأثم والمغـرم فقـال له قائل ما أكـثر ما تسـتعيذ من المغـرم فقال إن الرجل إذا غرم حدث فكـذب ووعد فـأخلف وعن الزهـري قـال أخـبرني عـروة أن عائشة رضي الله تعـالى عنها قـالت سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال.

وفي صحيح البخاري أيضا عن عائشة زوج النـبي صـلى الله عليه وسلم أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله تعالى عنها رســول الله صــلى الله عليه وســلم أيعــذب النــاس في قبـورهم فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عائـذا بالله من ذلك ثم ركب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ذات غــداة مركبا فخســفت الشــمس فرجع ضــحى فمر رسول الله صلى الله عليه وسـلم بين ظهـراني الحجر ثم قــام يصــلي وقــام النــاس وراءه ..وفي آخـره ... ثم رفع فسجد وانصرف فقال ما شاء الله أن يقول ثم أمـرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر.

وقال البخاري في صحيحه(1/461):" بـاب ما جـاء في عــذاب القــبر وقوله تعــالى (إذ الظــالمون في غمــرات الموت والملائكة باسطوا أيـديهم أخرجـوا أنفسـكم اليـوم

تجـزون عـذاب الهـون) هو الهـوان والهـون الرفق وقوله جل ذكره (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وقوله تعـالى (وحـاق بـآل فرعـون سـوء العـذاب النـار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلـوا آل فرعون أشد العذاب)"اهـ

وفي صــحيح البخــاري عن عائشة قــالت دخلت علي عجـوزان من عجز يهـود المدينة فقالتا لي إن أهل القبـور يعــذبون في قبــورهم فكــذبتهما ولم أنعم أن أصــدقهما فخرجتا ودخل علي النبي صلى الله عليه وســلم فقلت له يا رسول الله إن عجـوزين وذكـرت له فقـال صـدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهـائم كلها فما رأيته بعد في صـلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وفي صحيح مسلم عن طاوس قال سـمعت أبا هريـرة يقول قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم عـوذوا بالله من عذاب الله عـوذوا بالله من عـذاب القـبر عـوذوا بالله من فتنة المســيح الـــدجال عـــوذوا بالله من فتنة المحيا والممات.

وفي رواية عن أبي هريـرة عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القـبر وعـذاب جهنم وفتنة الدجال.رواه مسلم في صحيحه.

واعلم أن الأدلة على ثبوت عذاب القبر كثيرة، والمراد بعذاب القـبر أعم من أن يكـون عـذابا فقط في القـبر بل الحياة البرزخية وهي الحياة المتوسطة بين الدنيا والآخرة، وكما أنه يوجد عذاب في القبر فإنه كذلك يوجد نعيم فيـه. كما سيأتي بيانه لاحقا. قال البقاعي في كتـاب سر الـروح ص245:"واعلم أن عـذاب القـبر هو عـذاب الـبرزخ فكل ميت أراد تعذيبه ناله ما أراده منـــه، قُبِــرَ أو لم يُقْبَــرْ، لو صلب أو غرق في البحر ولو أكلته الـدواب، أو حـرق حـتى صار رمادا، وذري في الريح فسبحان ذي القدرة الشــاملة والعظمة الباهرة الكاملة.اهـ

قـــال الإمـــام أبو المعين النســـفي في التبصـــرة(2/763):"أثبت جمهور الأمة عذاب القبر للكافرين ولبعض العصـاة من المؤمـنين، والإنعـامَ في القـبر وسـؤال منكر

ونكير لورود الـدلائل السـمعية في ذلـك"، ثم قـال بعد أن ذكر بعض الأدلة من القــرآن والســنة"وأنكــرت الجهمية وبعض المعتزلة ذلك".اهـ

فالــذي أنكر عــذاب القــبر ونعيمه هم الجهمية وبعض المعتزلة، ولم ينكر جميع المعتزلة عذاب القبر، ويؤيد هـذا النقل ما قاله القاضي عبد الجبــار في شـــرح الأصـــول الخمسة ص730:"فصل في عذاب القـبر، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمــة، إلا شــيء يحكى عن ضــرار بن عمـرو وكـان من أصـحاب المعتزلة ثم التحق بـالمجبرة، ولهذا تـرى ابن الراونـدي يشـنع علينا ويقـول إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به"اهـ، فالـذي ينكر عـذاب القبر من المعتزلة إذن هو ضرار، وتأمل حكاية عدم وجود خلاف في عـذاب القـبر من القاضي عبد الجبـار، فلا تغـتر بعد ذلك بمن زعم أن المعتزلة أي جميعهم ينكـرون ذلـك، بل لا يجوز نسـبة ذلك إليهم أصـلا، إلا مع الإشـارة إلى أن جمهـورهم أثبتـه.ونقل ابن المرتضى في كتـاب القلائد ص 128 إنكـار عـذاب القـبر عن بشر المريسي وضـرار وابن كامل. وأثبت للأكثر إثباته. وهـذا موافق لقـول أبي المعين النسفي.

([103])   وردت هـذه اللفظة ضـمن حـديث طويل في كتـاب الترمـذي ولكن قد قـال عنـه:" قـال أبو عيسى هــذا حــديث حسن غــريب لا نعرفه إلا من هــذا الوجــه". وعلى كل الأحـوال فإنه لم يـرد العـذاب إلا على أصـحاب الكفر، أو الكبائر، فيفهم من هذا أن غيرهم في نعيم.

([104])   سوف نفصل الكلام على مسألة الصراط خلافا لغيرها من المسائل لما حـدث من تشـكيك فيها في هذا الزمان مما سنشير إليه فيما يلي بتوفيق الله تعالى.

وأول ما نبـدأ به هو بيـان موقف الفـرق الإسـلامية من الصراط وذلك أخذا من كتبهم

مذهب أهل السنة في الصراط:

فأما أهل السنة فقد أثبتوا أصل الصـراط واختلفـوا في كيفيتـه، فإثبـات أصـله كما هو مـذكور في كلام المصـنف أعلاه، ومشهور في كتب أهل السنة.قال العلامة البيجوري

في حاشـــــيته على الجـــــوهرة ص180 بعد أن ذكر أن الصراط لغة الطريق الواضح: "وشرعا جسر ممـدود على متن جهنم يـرده الأولـون والآخـرون حـتى الكفـار، خلافا للحليمي حيث ذهب إلى أنهم لا يمـرون عليـه، ولعله أراد الطائفة الــتي تــرمى في جهنم من الموقف بلا صــراط، وشمل ما ذكر النبيين والصديقين، ومن يـدخل الجنة بغـير حسـاب وكلهم سـاكتون إلا الأنبيـاء فيقولـون اللهم سـلم سـلم، كما في الصـحيح. وفي بعض الروايـات أنه أدق من الشـعرة وأحد من السـيف، هو المشـهور، ونـازع في ذلك العز بن عبد الســلام والشــيخ القــرافي وغيرهما كالبــدر والزركشـي، قـالوا:وعلى فـرض صـحة ذلك فهو محمـول على غير ظاهره بأن يـؤول بأنه كناية عن شـدة المشـقة، وحينئذ فلا ينــافي ما ورد من الأحــاديث الدالة على قيــام الملائكة على جنبيه وكــون الكلاليب فيــه، زاد القـــرافي والصحيح أنه عـريض وفيه طريقـان يمـنى ويسـرى، فأهل السـعادة يسـلك بهم ذات اليمين، وأهل الشـقاوة يسـلك بهم ذات الشــمال، وفيه طاقــات كل طاقة منها تنفذ إلى طبقة من طبقــات جهنم، وقــال بعضــهم إنه يــدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، فإن نور كل إنسـان لا يتعـداه إلى غـيره، فلا يمشي أحد في نور أحد، ومن هنا كان دقيقا في حق قــوم وعريضا في حق آخــرين" ثم قــال:"واتفقت عليه الكلمة في الجملــة، أي بقطع النظر عن إبقائه على ظــاهره كما هو مـذهب أهل السـنة، وصـرفه عنه كما هو مـذهب كثـير من المعتزلة، فإنهم ذهبـوا إلى أن المـراد به طـرق الجنة وطريق النار. وقيل المراد به الأدلة الواضحة."اهـ

وهذا الكلام على طوله يبين حاصل الأقوال في مسألة الصراط.

مذهب المعتزلة:

وأما بيــان حاصل مــذهب المعتزلة فلا يقــوم به حق القيــام إلا أحد أئمتهم المشــهود لهم، ولا أحد أولى بــذلك من القاضي عبد الجبــار، فقد قــال في شــرح الأصــول الخمسة ص737:" ومن جملة ما يجب الإقـــــــــرار به

واعتقــاده، الصــراط، وهو طريق بين الجنة والنــار يتسع على أهل الجنة ويضـيق على أهل النـار إذا رامـوا المـرور عليه، وقد دل عليه القرآن، قال الله تعالى(إهدنا الصـراط المستقيم صراط الـذين أنعمت عليهم)، فلسـنا نقـول فيه ما يقوله الحشـوية من أن ذلك أدق من الشـعر وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمـرور بـه، فمن اجتــازه فهو من أهل الجنــة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، فإن تلك الـدار ليست بـدار تكليـف، حـتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحــدة، وأيضا فقد ذكرنا أن الصــراط هو الطريــق، وما وصفوه ليس من الطريق بسبيل، ففسد كلامهم فيه.

وقد حكى في الكتـــاب عن كثـــير من مشـــايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى بها إلى الجنة ، والأدلة الدالة على المعاصي الـتي من ركبها هلـك، واسـتحق من الله تعـالى النار. وذلك مما لا وجه له، لأن فيه حملا لكلام الله تعــالى على ما ليس يقتضــيه ظــاهره، وقد كررنا القــول في أن كلام الله تعــالى مهما أمكن حمله على حقيقته فــذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز.

وعلى أنا لا نعرف من الأصـحاب من ذكر ذلك إلا شـيئا يحكى عن عبــاد، أن الصـــراط إنما هو الأدلة الدالة على وجوب هذه الواجبات والتمسك بها، وقبح هـذه المقبحـات والاجتناب منها، والفائـدة في أن جعل الله تعـالى إلى دار الجنة طريقا حــال ما ذكرنــا، هو لكي يتعجل به للمــؤمن مسرة وللكـافر غمـا، وليضـمنه اللطف على ما سـبق في نظائره.

وأحوال القيامة وكيفية الإعادة، أكبر من أن يحتمله هذا الموضع فنقتصر منها على هـــذا المقـــدار، ونســـأل الله السلامة عن عذابه والفـوز بثوابه إن سـائله لا يخيب، وهو قريب مجيب. اهـ

فهـذا هو قـول المعتزلة من الصـراط كما يوضـحه أحد أكبر علمـائهم، وتـراه يسـتنكر على من أول الصـراط بأنه

الأدلـة. فتحصل من هـذا أن جمهـور المعتزلة على إثبـات الصراط، لا على نفيه كما يظنه بعض القاصرين.

مذهب الإباضية:

وقد حكى مـذهب الإباضـية السـالمي كما في مشـارق أنوار العقـول(2/129) فقـال بعد أن ذكر قـول الأشـاعرة في إثبات الصـراط وأنه جسـر:"وهـذا كله ممكن، وليست المسألة من باب الـدين، فقد ذهب إلى مثل ما ذهبـوا إليه بعض أصحابنا، منهم الشيخ هود بن محكم القاسم البرادي والشيخ إسماعيل في القناطر وقطب الأئمة في الهيميـان وجامع الشمل ومعـول اسـتدلال القـائلين بالجسـرية قوله تعـــالى(فاســـتبقوا الصـــراط فـــأنى يبصـــرون)، وقوله تعـــالى(فاهـــدوهم إلى صـــراط الجحيم، وقفـــوهم إنهم مسـئولون)...ثم قـال... والـذي يظهر لي إبقـاء الأحـاديث على أصـلها من غـير تعـرض لردها على راويها وتفـويض أمره إلى الله، فمن صدقها من غـير قطع بكفر من خالفه فيها فقد أحسن ظنه بـــالراوي ولا بـــأس عليه إن شـــاء اللـه."اهـ، والحاصل والله أعلم أن الجمهـور من الإباضـية على نفي الصـــراط بالاعتمـــاد على كلام الســـالمي، وأن بعض أئمتهم قـالوا بـه، والمسـألة عند الجميع ليست من الأصول القطعية، على كل الأحوال.

مذهب الشيعة في الصراط:

قـال الشـيخ الطوسي المتـوفى في سـنة 460هــ في كتابه الاقتصاد في الاعتقـاد ص222:"وأما الصـراط فقـال قـــوم إنه طريق أهل الجنة والنـــار، وأنه يتسع لأهل الجنة ويتسهل لهم سلوكه ويضـيق على أهل النـار ويشق عليهم سـلوكه، وقـال آخـرون المـراد به الحجج والأدلة المفرقة بين أهل الجنة والنـــار الممـــيزة بينهم"اهــــ ولم يوضح بالتحديد قول الشيعة المختار ولكن ظاهر كلامه هو وجـود خلاف بينهم.

ولكن قد نص العلامة جعفر الســبحاني على مـــذهبهم فيه في كتابه المسـمى بالإلهيـات (2/766)، وذلك بعـدما ذكرا بعض الكلام عن مفهوم الصراط مطلقـا:"وفي ضـوء هـــذا يتـــبين أن لله ســـبحانه في هـــذه النشـــأة الدنيوية

صـراطين، أحـدهما تكويـني في سـلوكه كمـال الموجـود وبقـــاؤه، والآخر تشـــريعي يختص بالإنســـان فيه فـــوزه وسـعادته. نعم ويسـتظهر من الـذكر الحكيم ويـدل عليه صـريح الروايـات وجـود صـراط آخر في النشـأة الأخروية يسلكه كل مؤمن وكافر"الخ. وهذا تصـريح منه بـأن الحق وجود الصراط.

وقال العلامة الطوسي في تجريد الاعتقـاد ص338 مع شـرح الحلي:"وسـائر السـمعيات من المـيزان والصـراط والحســـاب وتطـــاير الكتب مكنة دل الســـمع على ثبوتها فيجب التصديق بها"اهـ وأيده جلال الدين الحلي على ذلك في شرحه مع زيادة بيان الخلاف في صورته كما سبق.

وبعد فقد ذكرنا لك طائفة من أقوال الفـرق الإسـلامية في الصـــراط، وبـــان لك أن المـــذهب الحق عند غـــالب الطوائف والقـول المعتـبر هو إثبـات الصـراط، ولو أخـذنا نسـبة من خـالف في ذلك إلى من أثبتـه، لم يتجـاوز ذلك نسبة ضئيلة بالمائة، لا يلتفت إليها.

ولكن المتفق عليه عند جميع الفـرق هو جـواز وجـود الصـراط ومن خـالف ولم يقل أحد باسـتحالة ذلـك، ومن خالف فيه الصراط فإنما محل خلافه كـان في وقـوع ذلك الجائز. وحتى من خالف فإنه لم يجزم بالمخالفة بل صرح بأن كلامه عبارة عن ترجيح منه.

فالحاصل أن المعتمد عند جماهير الفرق الإسلامية إنما هو إثبـات الصـراط مع الاختلاف في صـورته، والله تعـالى أعلم.

<u>الشروع في ذكر الأدلة الدالة على الصراط:</u>

<u>أما الآيات القرآنية:</u>

أولا: قوله تعـالى في سـورة الفاتحـة(اهـدنا الصـراط المستقيم (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضـالين (7))، قد اسـتدل بها على الصـراط القاضي عبد الجبار كما سبق ذكره.

ثانيـا:وفي سـورة المؤمنـون(وإن الـذين لا يؤمنـون بالآخرة عن الصراط لناكبون (74))

ثالثا:وفي سورة يس(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستَبَقُوا الصراط فأنى يُبْصِرون (66))

رابعا:وفي سورة الصافات(من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم (23))

خامسا:وفي سورة مريم(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (71))

قال العلامة أبو السعود في تفسيره (5/276):"أي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم، وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة، وأما قوله تعالى أؤلئك عنها مبعدون، فالمراد به الإبعاد عن عذابها. وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها"اهـ

قال الواحدي في الوسيط (3/192):"قال ابن زيد : ورود المسلمين النار:العبور على الجسر، وورود الكافرين أن يدخلوها".اهـ

وأما الأحاديث النبوية:

أولا: ما رواه الإمام البخاري عن عن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم

كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قـالوا نعم يا رسـول الله قـال فإنها مثل شـوك السـعدان غـير أنه لا يعلم ما قـــدر عظمها إلا الله تخطف النـــاس بأعمـــالهم فمنهم المـــــؤمن يبقي بعمله أو الموبق بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخـرج برحمته من أراد من أهل النـار أمر الملائكة أن يخرجـوا من النـار من كـــان لا يشـــرك بالله شـــيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشـــهد أن لا إله إلا الله فيعرفـــونهم في النـــار بـــأثر السجود تأكل النـار بن آدم إلا أثر السـجود حـرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السـيل ثم يفـرغ الله من القضـاء بين العبـاد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقـــول أي رب اصـرف وجهي عن النـار فإنه قد قشـبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيـدعو الله بما شـاء أن يـدعوه ثم يقـول الله هل عسـيت إن أعطيت ذلك أن تسـألني غـيره فيقـــول لا وعزتك لا أســألك غـيره ويعطي ربه من عهـــود ومواثيق ما شـاء فيصـرف الله وجهه عن النـار فـإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شـاء الله ان يسـكت ثم يقـول أي رب قـــدمني إلى بـــاب الجنة فيقـــول الله له ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبدا ويلك يا بن آدم ما أغـدرك فيقـول أي رب ويـدعو الله حـتى يقـول هل عسـيت إن أعطيت ذلك أن تسـأل غـيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ما شاء من عهـود ومواثيق فيقدمه إلى بـاب الجنة فـإذا قـام إلى بـاب الجنة انفهقت له الجنة فـــرأى ما فيها من الحـــبرة والســـرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقـول أي رب أدخلـني الجنة فيقول الله ألست قد أعطيت عهـودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقـول ويلك يا بن آدم ما أغـدرك فيقول أي رب لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يـدعو حـتى يضحك الله منه فـإذا ضـحك منه قـال له ادخل الجنة فـإذا دخلها قـال الله له تمنه فسـأل ربه وتمـنى حـتى إن الله

ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأمـاني قـال الله ذلك لك ومثله معه قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخـدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حـتى إذا حـدث أبو هريرة أن الله تبـارك وتعـالى قـال ذلك لك ومثله معه قـال أبو سـعيد الخـدري وعشـرة أمثاله معه يا أبا هريـرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسـلم قوله ذلك لك وعشـرة أمثاله قـال أبو هريرة فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

ورواه الحـاكم بلفظ فيه بعض الاختلاف، لا من جهة الصـراط. ورواه النسـائي في السـنن الكـبرى. وفي الترمذي عن أبي هريرة.والإمام أحمد في مسنده.

ثانيا: وفي صحيح مسلم عن أبي عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال حدثني يزيد الفقير قـال كنت قد شـغفني رأي من رأي الخـوارج فخرجنا في عصـابة ذوي عـدد نريد أن نحج ثم نخـرج على النـاس قـال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سـارية عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال فـإذا هو قد ذكر الجهنمـيين قـال فقلت له يا صـاحب رسـول الله ما هـذا الـذي تحـدثون والله يقـول { إنك من تـدخل النـار فقد أخزيته } و { كلما أرادوا أن يخرجـوا منها أعيـدوا فيها } فما هذا الذي تقولـون قـال فقـال أتقـرأ القـرآن قلت نعم قال فهل سـمعت بمقـام محمد عليه السـلام يعـني الـذي يبعثه الله فيه قلت نعم قـال فإنه مقـام محمد صـلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قـال ثم نعت وضع الصـراط ومر النـاس عليه قـال وأخـاف أن لا أكون أحفظ ذاك قـال غـير أنه قد زعم أن قوما يخرجـون من النار بعد أن يكونـوا فيها قـال يعـني فيخرجـون كـأنهم عيـدان السماسم قـال فيـدخلون نهـرا من أنهـار الجنة فيغتسـلون فيه فيخرجـون كـأنهم القـراطيس فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج منا غـير رجل واحد أو كما قال أبو نعيم.

ثالثا:وفي صحيح مسـلم عن أبي هريـرة وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة قـالا قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يجمع الله تبـارك وتعـالى النـاس فيقـوم المؤمنـون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا اسـتفتح لنا الجنة فيقـول وهل أخـرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الـذي كلمه الله تكليما فيـأتون موسى صـلى الله عليه وسـلم فيقـول لست بصـاحب ذلك اذهبـوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقـول عيسى صـلى الله عليه وسـلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسـلم فيقـوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شـيء كمر الـبرق قـال ألم تـروا إلى الـبرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الـريح ثم كمر الطـير وشد الرجـال تجـري بهم أعمـالهم ونـبيكم قـائم على الصـراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العبـاد حـتى يجيء الرجل فلا يسـتطيع السـير إلا زحفا قـال وفي حـافتي الصـراط كلاليب معلقة مـأمورة بأخذ من أمـرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريـرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا.

وهو في المستدرك عن حذيفة وأبي هريرة بسـند قـال فيه الحاكم : هذا حديث صحيح على شـرط الشـيخين ولم يخرجاه.

رابعا: وفي صحيح مسلم أيضا عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل{ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسـموات }فـأين يكـون النـاس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط.

ورواه الترمذي وقال: هـذا حـديث حسن صـحيح وروي من غير هذا الوجه عن عائشة. وابن ماجه عنها أيضا.

ورواه الترمـذي بلفظ آخر عن عائشة أنها قـالت يا رسـول الله { والأرض جميعا قبضـته يـوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه } فأين المؤمنون يومئذ قـال على الصراط يا عائشة هذا حديث حسن صحيح.

وهو في صحيح ابن حبـان عن عائشة عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنها سـألته عن قوله { يـوم تبـدل الأرض غير الأرض والسـموات وبـرزوا لله الواحد القهـار } فـأين يكـون النـاس يومئذ فقـال على الصـراط قـالت قلت يا رسـول الله بن جـدعان كـان في الجاهلية يصل الـرحم ويطعم المسـكين فهل ذاك نافعه قـال لا ينفعه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

ورواه أيضا الحـاكم في المسـتدرك.والـدارمي في سننه.ورواه الإمام احمد في مسنده.

وفي مسـند الإمـام أحمد رواية عن عائشة بلفظ آخر عن القاسم بن الفضل قـال قـال الحسن قـالت عائشة يا رسول الله { يوم تبـدل الأرض غـير الأرض والسـموات } أين النـاس قـال ان هـذا لشـيء ما سـألني عنه أحد من أمتي قبلك الناس على الصراط.

خامسا: وفي صحيح ابن حبان عن أبي سـعيد الخـدري عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال ليمر النـاس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطـاطيف تخطف النـاس يمينا وشـمالا وبجنبتيه ملائكة يقولـون اللهم سـلم سلم فمن النـاس من يمر مثل الـريح ومنهم من يمر مثل الفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى مشـيا ومنهم من يحبو حبـوا ومنهم من يزحف زحفا فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون واما أناس فيؤخـذون بـذنوب وخطايا فيحرقـون فيكونـون فحما ثم يؤذن في الشفاعة فيؤخذون ضـبارات ضـبارات فيقـذفون على نهر من انهـار الجنة فينبتـون كما تنبت الحبة في حميل السيل قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم اما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت في الفضاء فيكون من آخر من اخـرج من النـار رجل على شـفتها فيقـول يا رب صـرف وجهي عنها فيقـول عهـدك وذمتك لا تسـألني غيرها قـال وعلى الصـراط ثلاث شـجرات فيقـول يا رب حولـنى الى هـذه الشـجرة آكل من ثمرها وأكـون في ظلها فيقـول

عهدك وذمتك لا تسـألني شـيئا غيرها قـال ثم يـرى أخـرى أحسن منها فيقول يا رب حولنى إلى هــذه آكل من ثمرها وأكــون في ظلها قــال فيقــول عهــدك وذمتك لا تســألني غيرها ثم يرى أخرى أحسن منها فيقول يا رب حولنى الى هذه آكل من ثمارها وأكـون في ظلها قـال ثم يـرى سـواد الناس ويسمع كلامهم فيقول يا رب أدخلنى الجنة قـال أبو نضرة اختلف أبو سعيد ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وســلم فقــال أحــدهما فيدخله الجنة فيعطى الــدنيا ومثلها وقــال الآخر فيــدخل الجنة فيعطى الــدنيا وعشــرة امثالها قال أبو حاتم رضي الله تعالى عنه هكـذا حـدثنا أبو يعلى وعلى الصـراط ثلاث شـجرات وانما هو على جـانب الصراط ثلاث شجرات.

ورواه الحاكم في المستدرك.

سادســا:وفي صـحيح ابن حبـان عن أنس بن مالك عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن آخر من يـدخل الجنة رجل يمشى على الصـراط فهو يكبو مرة وتسفعه النار أخرى حــتى إذا جاوزها التفت إليها فيقول تبـارك الـذي نجـانى منها فوالله لقد أعطـاني شيئا ما أعطاه أحدا من العالمين قـال ثم ترفع له شـجرة فيقول يا رب ادننى منها لعلي استظل بظلها وأشـرب من مائها قال فيقول الله يا بن آدم لعلي ان أعطيتكه سـألتنى غيرها فيقــول لا يا رب ويعاهــده ان لا يفعل وهو يعلم انه فاعله لما يـرى مما لا صـبر له عليه فيدنيه منها فيسـتظل بظلها ويشــرب من مائها ثم ترفع له شــجرة أخــرى هي أحسن من الأولى فيقول يا رب ادننى منها لأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول ألم تعاهدنى ان لا تسألني غيرها فيقـــول بلى يا رب ولكن ادنـــنى منها لأســـتظل بظلها وأشرب من مائها فيعاهـده ان لا يسـأله غيرها فيدنيه منها ويعلم انه سيسأله غيرها لما يرى ما لا صـبر له عليه قـال فــترفع له شـجرة أخـرى عند بــاب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول يا رب ادننى منها لأسـتظل بظلها واشـرب من مائها فيقول ألم تعاهدنى ان لا تسـألني غيرها فيقــول بلى يا رب ولكن ادنــنى منها فــإذا انا منها ســمع اصــوات

أهل الجنة فيقــول يا رب ادخلــنى الجنة فيقــول الله جل وعلا أيرضـــيك يا بن آدم ان أعطيك الـــدنيا ومثلها معها فيقــول أتســتهزىء بي وأنت رب العــالمين فيقــول ما اسـتهزىء بك ولكنـنى على ما أشـاء قـادر قـال فكـان بن مســعود إذا ذكر قوله أتســتهزىء بي ضــحك ثم قــال ألا تسألونى مما اضحك فقيل مما تضحك فقـال كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ذلك ضحك.

ورواه الإمــــام أحمد في المســـــند عن عبد الله بن مسعود.

سابعا: وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة قـال قـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم يــؤتى بــالموت يــوم القيامة فيوقف على الصــراط المســتقيم فيقــال يا أهل الجنة فينطلقــون خـائفين وجلين ان يخرجـوا من مكـانهم الــذي هم فيه ثم يقــال يا أهل النــار فينطلقــون فــرحين مستبشرين ان يخرجـوا من مكـانهم الـذي هم فيه فيقـال هل تعرفون هـذا فيقولـون نعم ربنا هـذا المـوت فيـأمر به فيـذبح على الصـراط ثم يقـال للفـريقين كلاهما خلـود ولا موت فيه ابدا. وهذا الحديث رواه الحاكم في المســتدرك، وابن ماجه في سننه. ورواه الإمام أحمد في مسنده.

ثامنا: روى الحـاكم في المسـتدرك عليه وسـلم شـعار المسلمين على الصراط يوم القيامة اللهم سلم سلم هـذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

تاسـعا: وفي المسـتدرك على الصـحيحين للحـاكم عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله تعالى عنه وإن منكم إلا واردها قال الصـراط على جهنم مثل حد السـيف فتمر الطائفة الأولى كـــالبرق والثانية كـــالريح والثالثة كـــأجود الخيل والرابعة كأجود الإبل والبهـائم ثم يمــرون والملائكة تقــول رب ســلم ســلم هــذا حــديث صــحيح على شــرط الشيخين ولم يخرجاه.

عاشرا: روى الحاكم في المستدرك عن ســالم بن أبي الجعد عن عبد الله رضي الله تعــــالى عنه والفجر قــــال قسم إن ربك لبالمرصاد مرور الصراط ثلاثة جســور جسر

عليه الأمانة وجسر عليه الــــرحم وجسر عليه الـــرب عز وجل هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الحادي عشر: في الحاكم أيضا عن أبي سعيد الخــدري رضي الله تعــالى عنه عن النــبي صــلى الله عليه وســلم قــال ليحبس أهل الجنة بعــدما يجــاوزون الصــراط على قنطرة فيؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم الـتي تظالموها في الــدنيا حــتى إذا هــذبوا ونقــوا أذن في دخــول الجنة فلأحــدهم أعــرف بمنزله في الآخــرة منه بمنزله كــان في الدنيا قال قتادة قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مســعود ما يشــبه إلا أهل جمعة انصــرفوا من جمعتهم هــذا حــديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الثاني عشر: عن الحسن عن عائشة رضي الله تعــالى عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا عائشة قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقــال رســول الله صــلى الله عليه وسلم أما في ثلاث مواطن فلا يــذكر أحد أحــدا حــتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتب حــتى يقــال هــاؤم أقــــرءوا كتابيه حــــتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شــماله أو من وراء ظهــــره وعند الصــــراط إذا وضع بين ظهري جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثير يحبس الله بها من شــاء من خلقه حــتى يعلم أينجو أم لا هــذا حــديث صحيح إسناده على شرط الشــيخين لــولا إرســال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صــحت الروايــات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله تعالى عنها وأم سلمة.

الثــالث عشــر: رواه الحــاكم في المســتدرك عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي صــلى الله عليه وســلم قــال يوضع المــــيزان يــــوم القيامة فلو وزن فيه الســــماوات والأرض لوســعت فتقــول الملائكة يا رب لمن يــزن هــذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبــدناك حق عبادتك ويوضع الصــراط مثل حد الموسى فتقــول الملائكة من تجــيز على هــذا فيقــول من

شئت من خلقي فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الرابع عشر: رواه الإمام الترمذي في الجامع الصحيح عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك قال اطلبنى أول ما تطلبني على الصراط قال قلت فإن لم ألقاك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء هذه الثلاث المواطن قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه.ورواه الإمام أحمد في مسنده.

الخامس عشر: ما رواه الإمام أحمد عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم أنتظر أمتي تعبر عن الصراط إذ جاءني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يشتكون أو قال يجتمعون إليك ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه والخلق ملجمون في العرق وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيتغشاه الموت قال قال عيسى انتظر حتى أرجع إليك قال فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى قام تحت العرش فلقى ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحي الله عز وجل إلى جبريل اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع قال فشفعت في أمتي أن اخرج من كل تسعة وتسعين إنسانا واحدا قال فما زلت أتردد على ربي عز وجل فلا أقوم مقاما الا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك ان قال يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد انه لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك.

السادس عشر: وفي مشند الإمام أحمد عن عقبة بن صهبان قال سمعت أبا بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادع بهم جنبة الصراط تقادع الفراش في النار قال

فينجى الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء قال ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون وزاد عفان مرة فقال أيضا ويشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان.

الثامن عشر: روى الإمام مسلم عن أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اسمى محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي جئت أسألك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيء إن حدثتك قال أسمع بأذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودي أين يكون الناس{يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس إجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال ينفعك إن حدثتك قال أسمع بأذني قال جئت أسألك عن الولد قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به.

وهـــذا الحـــديث في صـــحيح ابن خزيمة أيضـــا، وابن حبان،والسنن الكبرى للنسائي،وفي سنن البيهقي الكـبرى وع زيادات، وفي المعجم الكبير للطبراني،وكـذلك المعجم الأوسط،

وقـــال ابن حجر في فتح البـــاري(11/377):" وأما ما أخرجه مسـلم عن عائشة أنها سـألت النـبي صـلى الله عليه وسلم عن هـذه الآية يـوم تبـدل الأرض غـير الأرض أين يكـــون النـــاس حينئذ قـــال على الصـــراط وفي رواية الترمـــذي على جسر جهنم ولأحمد من طريق بن عبـــاس عن عائشة على متن جهنم واخرج مسلم أيضا من حـديث ثوبـان مرفوعا يكونـون في الظلمة دون الجسر فقد جمع بينها البيهقي بأن المراد بالجسر الصراط كما سـيأتي بيانه في ترجمة مســتقلة وأن في قوله على الصــراط مجــازا لكونهم يجاوزونه لأن في حديث ثوبان زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها"اهـ

التاسع عشـــر: روى ابن حبـــان في صـــحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال ليمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطـاطيف تخطف الناس يمينا وشمالا وبجنبتيه ملائكة يقولــون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل الــريح ومنهم من يمر مثل الفرس المجـرى ومنهم من يسـعى سـعيا ومنهم من يمشى مشـــيا ومنهم من يحبو حبـــوا ومنهم من يزحف زحفا...الخ.

ورواه الإمام أحمد، وأبو يعلى في مسنده.

وفي المسـتدرك للحـاكم عن مجاهد قـال قـال لي بن عبـاس أتـدري ما سـعة جهنم قلت لا قـال أجل والله ما تـدري أن بين شـحمة أذن أحـدهم وبين عاتقه مسـيرة سبعين خريفا أودية القيح والـدم قلت له أنهـار قـال لا بل أودية ثم قال أتدري ما سعة جهنم قلت لا قـال أجل والله ما تدري حدثتني عائشة رضي الله تعـالى عنها أنها سـألت رسول الله صلى الله عليه وسـلم عن قـول الله عز وجل { والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويـات بيمينه } قلت فأين النـاس يومئذ يا رسـول الله قـال على

جسر جهنم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وهو في السنن الكبرى للنسائي،والترمذي وأحمد.

وفي سنن أبي داود عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا من منافق أراه قال بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال.

ورواه الإمام أحمد في مسنده،وفي المعجم الكبير للطبراني

وفي المعجم الكبير عن أبي وائل شقيق بن سلمة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوازن فتخلف بشر فلقيه عمر فقال ما خلفك أما لنا عليك سمع وطاعة قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا تجاوز وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا قال فخرج عمر رضي الله تعالى عنه كئيبا حزينا فلقيه أبو ذر فقال مالي أراك كئيبا حزينا قال ما يمنعني أن أكون كئيبا حزينا وقد سمعت بشر بن عاصم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا تجاوز وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا قال أبو ذر وما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قال أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي أحدا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا تجاوز وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا وهي سوداء مظلمة فأي الحديثين أوجع لقلبك قال كلاهما قد أوجع قلبي فمن يأخذها بما فيها وقال أبو ذر من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض أما

إنا لا نعلم إلا خيرا وعسى إن وليتها من لا يعدل فيها أن لا تنجو من إثمها.

ورواه أيضا عن قيس بن عاصم عن أبيـــــــه. وهو في الآحاد والمثاني للضحاك.

العشرون: قال الكتـاني في نظم المتنـاثر من الحـديث المتـواتر ص243:" أحـاديث الصـراط والمـيزان وإنطـاق الجوارح وتطاير الصحف وأهـوال الموقـف، وأحـوال الجنة والنار، نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متـواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحــال في شــرحه لمختصر خليــل، وفي الشــهاب على الشــفا في الكلام على حــديث الشــفاعة الكـبرى على قوله فيـه، وتـأتي الأمانة والـرحم، فتقومـان على جنبي الصراط ما نصه: وفي هـذا ونحـوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصــراط، كما بين في الكتب الكلامية .اهـ وانظر الدر المنثور لـدى قوله (والوزن يومئذ الحق) فقد ذكر فيه هناك كثيرا من أحاديث الميزان."اهـ

فهذا نقل للتواتر المعنوي لأحـاديث الصـراط. وحق لها أن تكون كذلك، والمنصف يقر بذلك خاصة بعدما قررنا له ما مضى من الأحـاديث والروايـات الـواردة في الصـراط، وأقوال فرق الإسلام المعتبرة. والله الموفق.

أقول : والأحـاديث في الصـراط أكـثر من ذلـك، فكـان الأصل أن تبقى على ظاهرهـــا، لما كـــان ممكنا غــــير مستحيل عقلا. وإن كـان بعض الأحـاديث ضـعيفا، فإنها إذا كانت بتلك الكثرة فإن المعنى المشترك بينهـا، وهو وجـود لجسر يســـمى الصــــراط، وذلك بغض النظر عن حقيقة شكله وصورته، يتقوى بلا ريب، والله تعالى أعلم.

ونحن ما كنا لنطيل في هـــذه المســـألة الفرعية في الاعتقاد، لولا أن تجـرأ البعض على نفي ذلك معتمـدا على أدلة وشبه واهية لا تصلح للاعتماد عليها في هـذا المجـال، فقدمنا ما مضى، توضـيحا لأصل المسـألة، وتمهيـدا لبيـان ضعف كلامه.

الشروع في نقد كلام السقاف:

لقد تكلم الشيخ السقاف على مسألة الصراط في شرح العقيدة الطحاوية، ونحن سنبين خلاصة ما ذكره هنا ونشير إلى مواضع الضعف في كلامه.

أولا: قال السقاف في ص539:"قضية الصراط بمعنى أنه جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف يمر عليه الناس واحدا واحدا فمنهم من يقع عنه فيسقط في النار، ومنهم من ينجو وعليه كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس فيقعون في النار، قضية مرجوحة"اهـ

الجواب: أطلق السقاف على هذه القضايا بمجموعها، أنها مرجوحة، أي ضعيفة، أي أن غيرها نفيها أقوى منها، فإن قصد بالرجحان الرجحان عنده، فذلك لا يستلزم الرجحان في نفس الأمر، وإن قصد الرجحان عند أئمة الإسلام من مختلف الفرق، فقد بينا أن هذا غلط بل إن جماهير المسلمين يثبتون الصراط، وإن قصد بالرجحان أن الأحاديث الواردة فيها ضعيفة، فقد بينا أن كثيرا منه صحيح، نعم منها ضعيف، ولكن هكذا شأن غالب المنقولات، منها ضعيق ومنها صحيح، ولو أجزنا لأنفسنا أن نرد الصحيح لأجل الضعيف، لم يثبت شيء من الأحاديث. وإن قصد أن بعض هذه القضايا ضعيف، فقد يسلم له، ولكن كلامه لا يفيد مجرد ذلك، بل يفيد القول بضعف جميع هذه القضايا، وهذا باطل.

ثانيا: قوله في ص539"كون الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، لم يأت في القرآن الكريم أن الصراط أدق من الشعرة..."الخ.

الجواب:الصحيح أن هذه الفكرة، قد اختلف حولها العلماء، وصرح الكثير منهم أنها ربما لا تثبت، وبعضهم صرح بنفيها، وبعضهم قال لا مانع منها. فالخلاف حاصل حولها. وهذا أمر ثابت قبل وجود السقاف وبعد وجوده. أما قوله أنها لم ترد في القرآن، فقد بناه على وجوب ذكر كل عقيدة نصا بالقرآن، وهذا لا يسلم له، كما سنشير إليه لاحقا، وقد خالف هو هذا الأصل الذي قرره كما سنبينه أيضا.

ولكن الذي يمكن أن يقـال هنـا، أنه حـتى لو فـرض أن هـذا الأمر منـازع فيهـا، فهل يجـوز لنا أن ننفي فكـرة الصراط من الأصل، إنه من البين بنفسه أن هذه الطريقة من التفكـير باطلـة، فـالاختلاف في وصف الشـيء، لا يسـتلزم انتفـاء أصـله. ولو سـلك النـاس هـذا المسـلك، لاستلزم نفي كثير من الأصول الدينية.

ثالثـا: قوله في ص230 "إن الصـراط في لغة العـرب هو الطريق الواسع السهل...الخ".

أقول: إن العلمـاء كما بينا قد اختلفـوا في أن الصـراط هل هو واسع أو ضيق، أو إنه يتسع ويضيق بحسب أعمـال الإنسـان الصـالحة، ومجـرد كـون معـنى الصـراط لغة كما ذكر، لا يستلزم نفي أصل الصراط شرعا.

رابعا:قوله في ص544:"أن الصـراط بمعـنى أنه جسر منصـوب على متن جهنم أو فوقها أو بين حافتيها لم يـرد في القرآن الكريم، الذي هو الأصل في معرفة العقائد"اهـ

أقول: قد بينا أن الصراط ليس من أصـول العقائـد، بل هو أمر جزئي، وكونه لم يرد صراحة في القرآن، قد يسلم لمن ينازع في دلالة الآيات التي ذكرناها فيه، ولكن القـول بعـدم وروده على الإطلاق، أي إطلاق القـول بعـدم وروده أمر آخـر، فـإن هـذا معـارض بدلالة القـرآن عليه ولو بالإشـارة، خصوصا إذا ورد من الأحـاديث ما يفسر تلك الآيات بالصراط وبأنه جسر على جهنم، كما أوردنا سـابقا، فالآية المحتملة إذا ورد حديث صحيح في تفسـيرها تصـبح دليلا على ذلك ولا ريب. فـإطلاق قوله بعد ورود ذلك باطل.

ثم إن السقاف نفسه لم يستطع أن يثبت الحـوض بآية صريحة من القرآن بل اعتمد على الأحاديث الـواردة فيـه، وادعاؤه أن الكوثر هو عين الحوض باطل، كما أشـرنا إليه في محله، بل الكوثر هو نهر في الجنة يصب في الحوض، فثبـوت الحـوض بالحـديث، وثبـوت الكـوثر بـالقرآن، فلم يعارض هنا إثبات الصراط بالحديث مع إشارة القرآن عليه بالآيات السابقة؟؟

فإن ادعى أن الأحاديث الـواردة في الحـوض متـواترة، فقد نقلنا سابقا أن الأحاديث الواردة في الصراط متواترة بـالمعنى، والتـواتر المعنـوي حجة كما لا يخفى، كتـواتر عـذاب القـبر بـالمعنى، وهل ورد ذكر عـذاب القـبر في القـرآن صـراحة أم إن ما ورد فيه هو دلالات وإشـارات إليه، وإن كانت أقوى من دلالاتها على الصـراط، فالحاصل أنه لا يوجد نص عليه، كما يريده السقاف. بل عذاب القبر وارد بالحديث أصالة، وهو يثبت معاني القرآن.

ومحاولة السـقاف إرجـاع فكـرة الصـراط إلى أصل يهـودي محاولة فاشـلة، لورودها عن النـبي عليه السـلام بأحاديث صحيحة، وبطرق مختلفة، كما مضى بيانه. وكـون هذه الفكـرة قد وردت عند اليهـود لا يسـتلزم أنها باطلـة، فافهم.

خامسـا: قوله في ص 551:"إن الأحـاديث الـتي وردت في الصـراط هي أحـاديث آحـاد، لا تفيد إلا الظن، وهي معارضة بقطعي الـدلالات كما سـترى إن شـاء الله تعالى"اهـ

أقول: لو تنزلنا عن القـول بـأن الأحـاديث الـواردة فيه متـواترة بـالمعنى، وسـلمنا أنها آحـاد، فإننا لا نسـلم أنها غريبة أو قليلة أو ليست مشـهورة، ومعلـوم أن الأحـاديث إن كانت آحادا مشهورة، فإنها تفيد العلم النظري كما نص عليه أهل السنة. ومعلـوم أيضا أنها ليس كل حـديث آحـاد فإنه لا يفيد إلا الظن، بل بعض أحاديث الآحـاد تفيد القطع بـالقرائن الـواردة. ولا ريب أن الأحـاديث الـواردة في الصـراط أكـثر من أن تطبق عليها هـذه القاعـدة(أي إنها آحـاد وبالتـالي فلا تفيد إلا الظن) بمثل هـذا الأسـلوب الظاهري الجلف.

وأما قوله إنها معارضة بقطعي الـدلالات، فهو غـير صحيح كما سترى لاحقا.

وأما ادعـاؤه بعد ذلك في ص551" وعمـدة اسـتدلالهم على الجسر ذي الكلاليب هو حـديث أبي هريـرة وأبي سعيد..الخ"اهـ ، كلام باطل لا قيمة لـه، وذلك بعـدما رأينا الأحاديث الكثيرة التي زردت في الصـراط. أقـول: وحـتى

لو كـان عمـدة اسـتدلالهم على هـذا الحـديث، وفيه بعض الأمور المردودة، كما قال، فإن هذا لا يستلزم ردَّ الحـديث بالمرة، كما أشرنا إليه في كلامنا على الإسراء والمعراج.

سادسـا: قوله في ص555:"تنص فكـرة الجسر الـذي فوق جهنم على أن الناس يمـرون عليه ويكونـون قريـبين من النـار بل يمـرون ما بين حافتيها فيجـوزون عليها من فوقهـا، وهـذه الفكـرة تعـارض ما هو مقـرر في القـرآن الكـريم من أن المؤمـنين لا يقربـون من نـار جهنم ولا يسمعون صوتها"اهـ

أقول: هذا الكلام ضعيف، فإن كون المؤمنين يمرون ن فـوق جهنم على الجسـر، بسـرعات ختلفة حـتى إن منهم كالبرق، وتتفاوت مـراتب سـرعاتهم، يفيد أنهم ليس كلهم يتأذون من النـار عند مـرورهم، فإنه لا يخفى على عاقـل، أنه كلما ازدادت سـرعة الواحد فإنه ربما لا يحس بـأي أثر من آثار النار عليه. ولا يعتبر هـذا تعـذيبا لـه، بل إنعاما من الله تعالى أن مرَّ عليها بهذه السرعة.

وأما إن أراد أنه يفهم من القرآن أن سائر المؤمـنين لا يقتربون من النار ولا يسمعون حسيسـها، فـإن هـذا باطل مخـالف لما ورد أن من المؤمـنين من يعـذب بالنـار، وأن عذابهم متفاوت، قد يطول وقد يقصر.

والحاصل أن قوله تعـالى (إن الـذين سـبقت لهم منا الحسـنى أولئك عنها مبعـدون، لا يسـمعون حسيسـها) مخصوص ببعض المؤمنين، ولا يسلم أن المـراد منه عـدم سـماع حسيسـها بـالمرة، لما ورد في بعض الأحـاديث أن المؤمنين يـرون النـار، ويعرفـون ما فيها من العـذاب، ولو كان مجرد سماع حسيسها عذابا حتى يكون معارضا للآية، لما سـمع الأنبيـاء حسيسـها بـالمرة، لما أنهم لا يعـذبون، ولكن الـذي يـدرك معـاني الكلام وطريقة القـرآن في التعبير، يفهم أن المراد أنهم لا يسمعون حسيسـها سـماع تعذيب.

سـابعا:قوله في ص 555:"فكـرة الصـراط بمعـنى الجسر الممدود على متن جهنم بين حافتيها فيها من الهلع والخـوف والفـزع ما لا يسـتطيع أحد أن ينفيه حـتى عن

الأنبياء الذين يقولون كما جاء في ذلك الحديث:اللهم سلم سلم"اهـ

أقول:أما أن فكرة الصراط فيها هلع وخـوف، فمسـلم، ولكن الثابت أيضا أن الخوف منه يتفـاوت بقـدر الأعمـال، وأن المرور عليه إنما يكون بحسب الأعمـال الـتي يقـدمها الإنسان في الحياة الـدنيا، لا بحسب المهـارة في الـركض كما يتوهم السقاف، ومن يوجه هـذا الاعـتراض، فـإن هـذا الاعـتراض إنما يـدل على سـذاجة قائلـه، وعـدم معرفته بأحوال أمور الآخرة.وأنها لا تقاس بأمور الدنيا.

وأما أن الأنبياء يقولون سـلم سـلم، فمسـلم، ولكن ما أدراك أنهم يقولـون ذلك لأنفسـهم أي لأنهم يخـافون على أنفسهم السقوط في النار؟! هذا لا يخطر على بال عاقل، بل يقولون ذلك خوفا على أمتهم، فإنهم يطلبون السـلامة لأمتهم، وأتباعهم.

ثم إن وقـوع الخـوف في حالة ووقت وعين لا يخـالف عدم وقوعه في أكثر وغالب الأوقات. فافهم.

سابعا: وأما قوله بأن فكرة الصراط تفيد التسـاوي في الخـوف بين المؤمـنين والكـافرين كما نصل عليه في ص 556، فهـذا قـريب من التحريف للأحـاديث الـواردة في ذلـك، وهي تفيد التفريق بين مـرور النـاس عليـه، فمجـرد تفـاوتهم في ذلك يفيد تفـاوتهم في الخـوف، ومجـرد علم المـؤمن بأنه مـؤمن خاصة أن ذلك يكـون بعد الحسـاب وعـرض الأعمـال، يفيد عـدم تسـاويهم مع الكـافرين في الخوف. وبعد فإن خوف كل واحد من الصراط إنما يكـون بقـــدر أعماله الباطلة والمخالفة لأوامر الله تعـــالى في الحيـاة الـدنيا، كما هو المقـرر في أحـوال الآخـرة، وحيـاة البرزخ.

ثامنـــا:قوله ص556:"تنص فكـــرة الصـــراط على أن الناس يمـرون على الصـراط الـذي هو جسر جهنم واحـدا واحدا وليسـوا جماعـات، وهـذا أيضا مخـالف لما جـاء في القرآن الكـريم من أنه يُـذْهَبُ بالنـاس من أرض الحسـاب والمحشر إلى الجنة والنار أفواجا أفواجا وزمرا زمرا، قال

الله تعـــــــالى(ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون، وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا"اهـ

أقول: ليست كل الأحاديث تفيد ذلك، بل في بعضـها ما يفيد أنهم يمـرون على الصـراط جماعـات. ثم إن ما أفـاد منها ذلك، لا يعارض الآيات التي أشار إليهـا، فـإن المعـنى ربما يكـون أنهم بعد أن يسـقطوا عن الصـراط يسـاقون بالصورة التي ذكرت.

ثم إن الآيـات لا تـدل على أنهم يسـاقون مباشـرة إلى جهنم من أرض المحشر والحســــاب، بل إنما تفيد أنهم يســــاقون إليها بعد ذلـــك، ومطلق البعدية يقبل توسط الصــراط خاصة أنه لا يقــال عنه أنه موقف وأرض بل هو حالة انتقالية عارضة لا دائمة، فالسوق من أرض الحساب والمحشر إلى جهنم إذا كـــان عن طريق الصــــراط فلا تعارض بل هو مطرد مع الآيات.

تاسـعا: قوله في ص556:"تنص فكـرة الصـراط الـذي هو جسر على متن جهنم أن كيفية دخـــول النــــار تتم بالسقوط من هذا الجسر المنصـوب على حافتيها والهـوي في النار، وهذا مخـالف لما هو مقـرر في القـرآن الكـريم من أن دخول النار يتم بمجيء الكفار والعصـاة إلى أبوابها مثل مجيء المؤمـــنين إلى أبـــواب الجنة والـــدخول فيها بعدئذ، قال الله تعالى(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمـرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها"اهـ

أقــول: هــذا غــير معــارض للأحــاديث، والمعارضة لو تحققت غــير قطعيــة. إذ ربما يكــون الســوق إلى جهنم الوارد في الآيان بعد سقوطهم عن الصراط.

وأيضا فإنه لا يوجد دليل على أن مجيء الكفـــــــار والعصــاة إلى أبــواب جهنم هو مثل مجيء المؤمـنين إلى أبـــواب الجنـــة، بل الـــوارد هو مطلق المجيء، وهـــذا لا يستلزم المماثلة، بل الأصل هنا هو عدم التماثـل، لاختلاف أحوال الفريقين، كما لا يخفى، فـإن كـان كـون المؤمـنين مكـرمين، وهـذا يسـتلزم أن يـأتوا الجنة مشـيا مثلا أو في حالة معينة، فإن هذا يستلزم أن الكافرين يأتون النــار في

حالة تخالف حالة المؤمـنين، وكل من هـذا يسـمى مجيئـا، كما لا يخفى على عاقل.

عاشرا:قوله في ص557"تفيد فكرة الصراط الـذي هو جسر بأن المارَّ عليه لا يعرف مصيره....إلى قوله... وهـذا أيضا مضـاد ومخـالف لما تقـرر في القـرآن الكـريم وفي الأحـاديث الصـحيحة الأخـرى من أن المـؤمن وغـيره من ساعة موته يعرف مصيره".اهـ

أقول: كلامه هذا مرَّ بيان بعض ما فيه سـابقا، فهو فيه تكرار، ولكن نزيد هنا فنقـول: المـؤمن العاصـي، ولا يخلو مؤمن من معصية ولو من الصغائر لعدم عصــمة جميعهم، هل يجزم أيضا بأن الله تعالى سـوف يغفر له ذلـك؟؟ من الجلي أنه لا يقول بهـذا قائـل، ولا أظن أن السـقاف يقـوا بـذلك أيضـا، فـإذا تقـرر هـذا، فلم لا يكـون الخـوف عند المرور على الصـراط إنما هو نتيجة لعـدم معرفة حصـول المغفرة، بل إن هذا هو ظـاهر الأحـاديث الكثـيرة الـواردة في الصــراط، وإذا كـان كـذلك فما قـال السـقاف باطل جملة وتفصلا.

هـذا هو حاصل ما قـال السـقاف، قد بينا بطلانه وأنه لا يقــوى على نفي الصــراط من الأصــل، وأن ما فهمه من القرآن وتوهم أن فهمه قطعي، قد بينا أنه لا قـوى أما نقد سريع من نحو ما قمنا به هنا، فكيف لو كان المجـال كافيا للتفصيل!؟

هــــذا وقد أعرضـــنا عن ذكر كثـــير من الأخطــــاء والمغالطات التي وقع فيها السقاف أثناء مناقشته لفكـرة الصـراط كما يقـول. وهـذه المغالطـات أنـواع منها تجاهل أحـاديث كثـيرة واردة، ومنها قطعه لأقـوال بعض العلمـاء في الصـراط، ومعـاني الآيـات، ومنها عـدم ذكـره لحقيقة أقوال الفرق الإسـلامية في هـذه المسـألة، ومنها أسـلوبه الـذي لا يليق اتباعه في مثل هـذه المبـاحث، وغـير ذلـك. ورجونا أن يكون في هـذه المناقشة السـريعة المختصـرة لما قاله في الصراط، كفاية عن الـرد عليه تفصـيلا في ما ألمحنا إليه.والله الموفق.

([105]) ورد القـــرآن بـــالميزان فقد قـــال الله تعالى(فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضــية، وأما من خفت موازينه فأمه هاويــة). وقـال تعـالى في ســورة الأنبيــاء(ونضع المــوازين القسط ليــوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقـال حبة من خـردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[47]).

روى الإمـام البخـاري عن أبي هريـرة عن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في المــيزان حبيبتــان إلى الــرحمن ســبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده.

وفي صحيح مسـلم عن أبي مالك الأشـعري قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهـور شـطر الإيمـان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين الســماوات والأرض والصــلاة نــور والصــدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل النــاس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها.

وفي صـحيح ابن حبـان عن أبي سـلمى راعي رسـول الله صــلى الله عليه وســلم ولقيته بالكوفة في مســجدها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بخ بخ وأشار بيده بخمس ما أثقلهن في الميزان سـبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتـوفى للمرء المسلم فيحتسبه.

ورواه أيضا الحاكم في المستدرك.

وفي مستدرك الحاكم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال يوضع المـيزان يـوم القيامة فلو وزن فيه الســماوات والأرض لوســعت فتقــول الملائكة يا رب لمن يــزن هــذا فيقــول الله تعـالىلمن شـئت من خلقي فتقـول الملائكة سبحانك ما عبـدناك حق عبادتك ويوضع الصــراط مثل حد الموسى فتقـــول الملائكة من تجـــيز على هـــذا فيقـول من شـئت من خلقي فيقـول سـبحانك ما عبـدناك حق عبادتك هــذا حــديث صــحيح على شــرط مســلم ولم يخرجاه.

وفي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يحصيهما عبد إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسـبح الله أحـدكم في دبر كل صـلاة عشـرا ويحمـده عشـرا ويكـبره عشــرا فتلك خمســون ومئة باللســان وألف وخمس مائة في المـــــيزان وإذا أوى إلى فراشه يســـــبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر أربعا وثلاثين فتلك مائة باللسـان وألف في الميزان قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فأيكم يعمل في يـوم وليلة ألفين وخمس مائة سـيئة قـال عبد الله بن عمـــرو ورأيت رســـول الله صـــلى الله عليه وسـلم يعقـدهن بيـده قـال فقيل يا رسـول الله وكيف لا يحصيها قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صـلاته فيقـول اذكر كذا اذكر كذا ويأتيه عند منامه فينومه قـال حمـاد بن زيد كان أيوب حدثنا عن عطـاء بن السـائب بهـذا الحـديث فلما قـدم عطـاء البصـرة قـال لنا أيـوب قد قـدم صـاحب حديث التسبيح فاذهبوا فاسمعوه منه.

وفيه أيضا عن أم الــدرداء عن أبى الــدرداء عن النــبي صـلى الله عليه وسـلم قـال ان اثقل ما وضع في مـيزان المؤمن يـوم القيامة خلق حسن وان الله يبغض الفـاحش البذئ.

ورواه أبو داود في سننه.

وروى الترمـذي في سـننه النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسـلم أن يشـفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قـال قلت يا رسـول الله فـأين أطلبك قـال اطلبـنى أول ما تطلبـني على الصـراط قـال قلت فــإن لم ألقــاك على الصــراط قــال فــاطلبنى عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحـوض فـإني لا أخطىء هـذه الثلاث المـواطن قـال أبو عيسى هـــذا حـــديث حسن غـــريب لا نعرفه الا من هـــذا الوجه.

فالحاصل أن أصل الميزان ثـابت، وأما صـفته وصـورته فلا تثبت بطريق قطعي، فلا ينبغي الجـــزم بصـــورة معينة له.

([106]) والأدلة النقلية على كـون الله تعـالى خالقا لكل شيء كثـيرة، منها قوله تعـالى في سـورة الرعـد(قل من رب الســماوات والأرض قل الله قل أفاتخــذتم من دونه أوليـاء لا يملكـون لأنفسـهم نفعا ولا ضـرا قل هل يسـتوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلــوا لله شــركاء خلقــوا كخلقه فتشــابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار[16])، وقوله تعالى في سـورة الزمـر(الله خـالق كل شـيء وهو على كل شـيء وكيل[62]) وفي سورة فـاطر(يا أيها النـاس اذكـروا نعمة الله عليكم هل من خـالق غـير الله يـرزقكم من السـماء والأرض لا إله إلا هو فــأنى تؤفكــون[3])،وفي ســورة غـافر(ذلكم الله ربكم خـالق كل شـيء لا إله إلا هو فـأنى تؤفكون[62])وفي سورة النحل(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تـذكرون[17])،وفي النحل أيضـا(والـذين يـدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون[20])، فـأنت تـرى أيها القارئ كيف أثبت الله تعالى لنفسه الخلق في آيــات، ونفــاه عن غـيره في آيـات أخـرى، فثبت من هـذا حصر الخلق في الله تعـالى. وبعد ذلك لا يجـوز أن يـدعي واحد لنفسه القدرة على الخلق مطلقا.

وهل حصر الخلق في الله تعالى يلزم منه أن العبــاد كلهم مجبورون على أفعالهم؟ قلنا: هـذا سـؤال نـاتج عن سـوء فهم، وضـيق فكـر، فالخلط بين مفهـوم الجـبر والخلــق، واشـتراط الاختيـار بـالخلق، هو السـبب في ذلـك. وتحرير هـذا المحـل، أن نقـول، إن الخلق هو الإيجـاد بعد العـدم، والمخلـوق هو الموجـود بعد العـدم. والاختيـار هو حصـول إرادة الفعل فيـك، ولا يشـترط في الاختيـار أن تخلق أنت الفعـل، بل لو اوجـده لك غـيرك وأنت اخترته فقـط، لصح أن يقال إنك الذي اخترت هـذا الفعـل، وصح نسـبة الفعل إليك على طريق الكســـب، مع أنك لم توجـــده. فكونك مختــارا لا يشـــترط له أن تكــون خالقــا، بل العكس هو الصحيح، أي إذا سلمنا أنك خالق، فيجب أن تكون مختارا، لأن شرط الخلق هو الاختيار، ولا يقـال إن شـرط الاختيـار هو الخلق.فافهم هذا.

فالإنسـان مختـار وليس خالقـا، فهو مختـار لأفعاله وليس خالقا لها. ولا يترتب على ذلك كونه مجبورا، لأن الجـبر هو حصــــول الفعل على خلاف الإرادة، وهنا لم يحصل الفعل إلا على وفـاق الإرادة، فكيف يقـال إن النـاس مجبـورون. ولكن غاية ما وقع هو أن الإنســـان ليس هو الـــذي خلق الفعـل، بل الله هو الـذي خلقـه، وأما الإنسـان فهو الـذي اكتسـبه. فالفعل منسـوب إلى الإنسـان كسـبا، وإلى الله تعـالى خلقـا.قالالله تعـالى في سـورة القـرة(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كـانوا يعملـون[134])، وفي البقـرة أيضـا(يا أيها الـذين آمنـوا أنفقوا من طيبات ما كسـبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيممــوا الخــبيث منه تنفقــون ولســتم بأخذيه إلا أن تغمضـوا فيه واعلمـوا أن الله غـني حميـد[267])، لاحظ كيف نسب الله تعـــالى الكسب إلى الإنســـان في الآية الأولى، وقد رأيتَ كيف نسب الخلق إلى ذاته الجليلة في الآيـات السـابقة، وتأمل كيف قـال (أنفقـوا من طيبـات ما كســبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) فالله تعــالى نسب الإخــراج من الأرض إلى ذاتــه، ونسب للإنسـان الكســب. فدل ذلك على أن الإنسان لا يخلق.وقال تعالى في سورة البقرة(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمـانكم ولكن يؤاخـذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم[225])،وأيضـا(واتقـوا يوما ترجعـون فيه إلى الله ثم تـوفى كل نفس ما كسـبت وهم لا يظلمــــــون[281])،وأيضا (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخـذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصـرا كما حملته على الـذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصـــــرنا على القـــــوم الكافرين[286])، فقد نسب الله تعالى إلى الخلق أنهم لا يطيقــون إلا الكســب، وقد نفى عنهم الخلق في الآيــات السابقة، فدل ذلك على أنهم لا يطيقون الخلق، وقال في آخرها(ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بـه) وقد عـرفت أن الخلق لا يطيقون الخلق، وما نسب إلى طاقتهم إنما هو الكسب. وقد أعلمنا الله تعـالى في سـورة إبـراهيم أن الجـزاء لا

يكـــون إلا على الكسب فقـــال(ليجـــزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحسـاب[51])، فـدل ذلك على أن الخلق ليس شـرطا في التكليـف، بل الكسب هو الشـرط فيه. وما ذكرناه هنا فيه كفاية لمن يريد الهداية.
وقد لجأ العلماء من أهل السنة إلى مفهـوم الكسب الـذي هو غــير مفهــوم الخلــق، لما رأوه من آيــات عديــدة في القـــرآن الكـــريم، تنسب إلى الله تعـــالى الخلـــق، وتنفي الخلق عن غـــير الله تعـــالى، وآيـــات تنسب الكسب إلى العبد، فعلموا أن العبد فاعل على سبيل الكسب، وأن الله تعالى فاعل لا على سبيل الكسب بل على سـبيل الخلـق. وعلموا أن الكسب ليس خلقـا، وعلمـوا أن الكسب كـاف في ترتب الثواب والعقـاب، بل كـاف في تـرتب التكـاليف على الإنسان.
وحاصل معـــــنى الكسب هو أن الله تعــــالى لما علم منذ الأزل ما سوف يفعله الإنسـان من أفعـال، وذلك كله على حسب إرادته، وفي الأوقات المعينة بعد وجـوده، فإنه جـلَّ شـــأنه يخلق للعبد الفعل الـــذي علم أنه ســـوف يريـــده، فالفعل يكون بإيجاد الله تعالى، وكسب من العبد، فيكــون فيه شبه الوصف للعبـد، وأما الله تعـالى فلا يتصف مطلقا بفعل من أفعاله. بل أفعاله تأتي نتيجة صفاته. ولهـذا فـإن الله إذا علم أن العبد سـوف يختـار الكفر فإنه يخلقه لــه، ويودعه فيه في الـــوقت الـــذي علم أنه يختـــاره، فيصـــبح الكفر صـــفة من صـــفات العبد لا صـــفة من صـــفات الله تعالى، فالله تعـالى هو موجد الكفـر، ولكن على وفـاق ما أراده العبـــد. وكـــذلك إذا علم الله تعـــالى أن العبد يختـــار الإيمان، فإنه يخلقه لـه، فيصـير العبد مؤمنـا، والله تعـالى خـــالق الإيمـــان، فالـــذي ينسب إليه الإيمـــان والكفر على سبيل الكسب إنما هو العبـد، وأما الله تعـالى فينسب إليه ذلك على سبيل الخلق والإيجـاد. وكـذلك إذا أراد الإنسـان الشرَّ، أو الخير.
ولا يلزم من ذلك أن يكون الله تعالى شـريرا لأن الشـرير هو من يتصف بالشـر، لا من يوجـده، والإنسـان هو الـذي يتصف بالشر، لاكتسابه له، وأما الله تعالى فهو خالقه، فلا

يكتسب شيئا من أفعالـه، لاسـتحالة اتصـافه تعـالى بصـفة حادثة. هذا كله على القول بأن الشر حقيقة موجــود، وأما على القـول بـأن الشر لا يوجد في نفس الأمر بل إنما هو صفة اعتبارية منسوبة للعبد، فلا إشكال هنا مطلقا.

ويعبر أهل السنة عن الكسب بأن الله تعـالى يخلق الفعل في العبد عند إرادة العبد الإتيان بالفعـل، ويخلق له كـذلك القـدرة المصـاحبة لفعلـه، فقـدرة العبد وفعله متلازمـان وليس الفعل موجـــودا بإيجـــاد قدرتـــه، بل قدرته وفعله موجودان بإيجـاد قـدرة الله تعـالى، وذلك كله على حسب تعلق علم الله الأزلي.

([107]) هذه العبارة من كلام الإمام الطحاوي لها موقع خطير ومعنى جليـل، لم أرَ من تصـدى للكشف عنه إلا أقل القليل. وقد تقـدم بعض المجسـمة إلى الاعـتراض عليها من أصلها، وأبطلوا معناها الذي فهموه ، ولم يكلفوا أنفسهم بالنظر لعل المصنف قد قصد أمرا آخـر. وها نحن نقصد إلى ذكر مــواقفهم المختلفة من هــذه العبــارة، ثم نأتيك بالكلام المحقق فيها والله الموفق.

أما الشيخ حسن السقاف، فلم يتعـرض لهـذه العبـارة، شأنه دائما في الأمور التي تحتاج إلى فهم ودقة نظــر، بل مرَّ عليها كأنها لم تكن. ووجه العجب من تصرف السقاف أنه هو المتصدي والمدعي للاجتهاد في هذا الباب.

وأما ابن باز، فقد قال بكل جرأة في التعليق على هذه العبارة: هذا غير صـحيح بل المكلفـون يطيقـون أكـثر مما كلفهم به ســـبحانه ولكنه عز وجل لطف بعبـــاده ويسر عليهم ولم يجعل عليهم في دينهم حرجا فضلا منه وإحسانا، والله ولي التوفيق."اهـ

فهذه عبارته وسوف يأتي كلامنا عليها، ونقد ما فيها.

وأما الشـيخ عبدالله الهـرري في كتابه إظهـار العقيـدة السـنية بشـرح العقيـدة الطحاويـة، فقد قـال في ص 205:"الجملة الأولى معناها ظاهر(يقصد قوله ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يُطِيْقُون)، أي ليس للعباد أن يلزمـوهم إلا ما كلفهم الله به، فيطيقـون في الجملة الأولى بضم اليـاء وكسر الطـاء، وأما الثانية فيتعين قراءتها بضم اليـاء وفتح

الطاء وتشديد الياء التي بعـدها(أي ولا يُطَيَّقـون)، ولا يصح معـــنى هـــذه الجملة الثانية إلا على هـــذا الوجه لظهـــور فســـاده، لأن المعـــنى على ذلك ينحل إلى أن العبـــاد لا يستطيعون أن يفعلوا سـوى ما كلفهم الله بـه، والواقع أن العبـاد قـادرون على أن يخـالفوا ما كلفهم به وذلك حـال أكثر البشر، وهذا التحقيق مما فتح الله به، ولم نرَ شـارحا عرج عليه ولله الحمد."اهـ

فكلام الهرري فيه نـوع حُسْـن، ومحاولة طيبة لتفسـير هـذه العبـارة. وأما نحن فـإن لنا كلاما قد ذكرنـاه في ما كتبناه على اعتراضات ابن باز على العقيدة الطحاوية، في سنة 1991للميلاد. وها نحن نـذكره هنا لفائدتـه، مع رجـاء أن نكون فيه من المصيبين.

والحق أن المعنى الذي اقترحه الشـيخ الهـرري جيـد، ولكنه متكلف، وعلى كل الأحوال، فإنه قد بذل جهدا بعدما لاحظ الإشكال الـذي يمكن أن ينشأ عن عبـارة الطحـاوي هذه، فاقترح هذا الحل.

ولكن قد ظهر لي بعد الفكر أن عبـارة الطحـاوي هـذه إذا كـانت مبنية على أن معـنى التكليف هو المشـقة، فـإن ظاهر الفكر قد ينتج عنه أن الإنسان يطيق أكـثر مما كلفه به الله تعـــالى، وذلك لأنه لا شك أن الإنســـان يمكن أن يصلي زيادة عن الصلوات الخمسـة، ويـزكي زيـادة عن ما فرضه الشرع، وهكذا، فيكون الله بنـاءا على هـذا المعـنى قد لطف بالعباد ولم يكلفهم جميع ما يطيقـون. ولكن هـذا المعـنى ظـاهري عنـدي. ولا يناسب تتمة كلام الطحـاوي، فإنه قد جعل هذه العبارة تفسـيرا لقولنا لا حـول ولا قـوة إلا بالله. وإذا كانت هي كذلك فلا يجـوز أن يـراد بـالتكليف المشقة فقط، بل ما هو شامل لها ولغيرها، فيــدخل تحت التكليف جميع الأحكام الشرعية الخمسة، فالتوفيق يكــون في الواجب والمندوب والمباح وليس فقط في الواجبات.

واعتمادا على هذه المقدمة نقول:

التكليف إذا أطلق عمَّ أنواع الأحكام الشـرعية الخمسة وهي الوجوب والحرمة والنـدب والكراهة والإباحـة، وهـذه تشـتمل على كل ما يمكن أن يُتَصَـوَّرَ من مـراتب الطلب

في الشـــرائع. ومن المعلــوم أن الشـــرائع أنــزلت لحكمة وعاقبة حميـــدة، لمصـــلحة الخلق أجمعين، وذلك لتوصل الإنسان وغيره إلى كمـال وجـوده،فـإذا وقف المكلف عند حدود الشرع، ووقف في كل نوع من أنواع الأحكام حسب مرتبته فـأذ بـالواجب على أنه واجب وبالمنـدوب على أنه مندوب وبالمبـاح على أنه مبـاح إلى آخـره، فإنه يصل إلى كمال وجوده على حسب طاقته ووسعه، وبالتدريج.

فـأوامر الله تعـالى ومطلوباته من عبيـده تعلقت بكل شيء مما يتصور أن يتلبس الإنسان به، أو يكون له مدخل في حياته في الدنيا والآخرة.

وبما أن أوامر الله تعـالى عامة التعلـق، والله تعـالى لا يـــأمر إلا بما يرضـــى، وإذا أمر أمر به على الوجه الـــذي يرضاه، ولا ينهى إلا عما لا يحب، وإذا نهى نهى على الوجه الذي أحب. ولا نتصـور أمـرا خارجا عن أوامر الله ونواهيه له مدخل في الرسالة والشرائع.

فيتحصل مما مضى أن الشره الذي أنزله الله تعـالى لا يتصـــور فيه نقص ولا قصـــور، وهـــذا معلـــوم من الـــدين بالضرورة.

والله لا يـأمر العبـاد إلا بما يطيقـون، وما يـأمرهم به لا يكون شـرا، فيتحصل لنا من هـاتين الكلمـتين أن الشـرَّ لا يطيقه العبـــاد، وما يظهر لنا من الإنســـان حين يشـــرب الخمر أنه يطيقـــه، فهـــذه إطاقة ظاهرية ومؤقتة غـــير معتـــبرة، وذو العقل الســـليم لا يلتفت إليهـــا، لأن حاصل شــرب الخمر هو هلاك الجســد، والإنســان لا يطيق هلاك نفســه، والشــرور إنما هي نقصــان في وجــود الموجــود، والموجــود لا يطيق عــدم بعضــه، لأن الإطاقة فعل يتعلق بموجود، والمعدوم ليس بشيء فلا تتعلق به إطاقــة، لهـذا قرر المحققون من علماء الأصـول أنه لا تكليف إلا بفعـل، فالفعل وجودي مطلقا.

ومما مضى يتبين ذو التحقيق أن كلام من اعترض على الطحاوي في هذه العبارة باطل، جملة وتفصيلا.

ومن الوجـــوه الـــتي يمكن أن يتـــبين بها بطلان كلام المعترضـين: أنهم يقولـون بـأن الخلق يطيقـون أكـثر مما

كلفهم، ولكنه لم يكلفهم بــه، إذن يوجد شــيء يمكن أن يتعلق به حكم شرعي ولكن الشرع لا يطاله ولا يتعلق به، وهذا تصريح بنقصان الشريعة.

وأيضا هـذا الـذي لم يكلفهم به الشـرع، إما أن يكـون خيرا أو شرا، فإن كان شـرا، فيلـزم أن يرضى الله بالشر على قـولهم، وهو باطـل، وإن كـان خـيرا، وهم يطيقونـه، فعـدم تكليفهم به بل عـدم دلالته لهم عليه منـاف للحكمة ولكون الشريعة كاملة، وهذا قدح في الحضرة العلية، وهو كفر.

وأما قولهم ولكنه عزَّ وجل لطـف...الخ، فـأقول: لطف الله إنما يمكن في عدم تكليف العباد ما لا يطيقون، لا في عدم تكليفهم بما يوصلهم إلى كمالهم، فالتكليف تشريف، وعـدم التكليف بما يـدخل تحت الطاقة يضـاد التشـريف، فأين يذهب اللطف؟!

([108]) الحَيْنُ هو الهلاك والمحنـــــة. وفي بعض النسخ (تقـدس عن كل سـوء وشَـيْنٍ) والشـين هو النقص والعيب. وفي بعضها (تقدس عن كلٍّ سوء).

([109]) لما كان الظلم هو إعطاء الشيء غــير ما يستحق، وكان كل ما سـوى الله تعـالى لا حق له ثـابت إلا بتثـبيت الله تعـالى لـه، فـإن الظلم منفي عن الله تعـالى مطلقا.

وأما ما يعـده الله تعـالى لعبـاده، فإنه لا يخلفـه، ولكن هـذا لا يكـون حقا لهم ثابتا إلا بتثـبيت الله تعـالى لـه.والله تعالى لا يخلف وعده.

([110]) قــال الشــيخ الغــنيمي في شــرحه على العقيدة الطحاوية بعد أن ذكر أن دعـاء الأحيـاء فيه منفعة للأموات:"وقد توارث السلف له، فلو لم يكن للأموات نفع فيه، لما كان له معنى، وقال عليه الصلاة والسلام:"ما من ميث يصـلي عليه أمة من المسـلمين يبلغـون مائـة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"، وعن سعد بن عبادة أنه قــال يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي صـدقة أفضـل، قـال الماء. فحفر بئرا وقال هـذه لأم سـعد. والأحـاديث والآثـار في هذا الباب أكثر من أن تحصر."اهـ

وهــذا الكلام قد نقله الغــنيمي عن الســعد في شــرح العقائد النسفية كما نبه، وتكملة كلامه هنـاك:"وقـال عليه الصلاة والسلام الدعاء يـرد البلاء، والصـدقة تطفئ غضب الرب، وقال عليه السلام إن العالم والمتعلم إذا مـرا على قرية فإن الله تعالى يرفع العـذاب عن مقـبرة تلك القرية أربعين يوما."اهـ

([111]) ذكر العلامة الطحاوي هذا هنا، لئلا يتـوهم متـوهم أن الـدعاء يـؤثر بنفسـه، بل الله تعـالى هو الـذي يستجيب للدعاء، فالأثر إنما هو صادر من الله تعـالى، وهو الذي يقضي الحاجات. وهذا المعنى واضح.

([112]) معنى الحَيْنِ هو الهلاك. كما مضى.

لما ثبت أن الله تعـالى هو الموجـود الـواجب الوجـود، وثبت أن كل ما سـواه فإنما هو ممكن الوجـود، فقد لـزم أن كل ما سوى الله تعالى فهو محتاج إلى الله تعـالى، ولا يمكن أن يســـتغني كل ما ســـواه عنه طرفة عين، وإلا لأصبح من أهل الهلاك، وهذا مطابق لما قـرره أئمة الكلام من أن الممكن محتاج إلى الله تعـالى حـال الإيجـاد، وبعد ذلك، أي إنه محتاج إلى الله تعالى لاستمرار وجوده أيضا.

([113]) روى الإمــام البخــاري في صــحيحه عن فاطمة عن أسـماء قـالت أتيت عائشة وهي تصـلي فقلت ما شـأن النـاس فأشـارت إلى السـماء فـإذا النـاس قيـام فقــالت ســبحان الله قلت آية فأشــارت برأســها أي نعم فقمت حـــــتى تجلاني الغشي فجعلت أصب على رأسي المــاء فحمد الله عز وجل النــبي صــلى الله عليه وســلم وأثنى عليه ثم قال ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقـامي حـتى الجنة والنـار فـأوحي إلي أنكم تفتنـون في قبـوركم مثل أو قـريب لا أدري أي ذلك قـالت أسـماء من فتنة المســيح الــدجال يقــال ما علمك بهــذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن لا أدري بأيهما قالت أسـماء فيقـول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينـات والهـدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقــال نم صــالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به وأما المنـافق أو المرتـاب لا أدري أي ذلك قـالت أسـماء فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

وفي البخاري أيضا عن مجاهد قال كنا عند بن عباس رضي الله تعالى عنهما فذكروا الدجال أنه قال مكتوب بين عينيه كافر فقال بن عباس لم أسمعه ولكنه قال أما موسى كأني أنظر إليه إذ انحدر في الوادي يلبي.

وفيه عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان.

وفيه أيضا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق.

وفي البخاري عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ينزل بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال أقتله فلا أسلط عليه.

وقد روي في الدجال أحاديث غير هذه.

([114]) روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس

من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحـدكم أو أمر العامة.

وروى الحـاكم في المسـتدرك عن قيس بن سـعد عن أبي الطفيل قـــال كنا جلوسا عند حذيفة فـــذكرت الدابة فقال حذيفة رضي الله تعالى عنه إنها تخرج ثلاث خرجات في بعض البوادي ثم تكمن ثم تخرج في بعض القرى حتى يـذعروا وحـتى تهريق فيها الأمـراء الـدماء ثم تكمن قـال فبينما الناس عند أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها حـتى قلنا المسجد الحرام وما سـماه إذ ارتفعت الأرض ويهـرب النـاس ويبقى عامة من المسـلمين يقولـون إنه لن ينجينا من أمر الله شـيء فتخـرج فتجلو وجـوههم حـتى تجعلها كـالكواكب الدرية وتتبع النـاس جـيران في الربـاع شـركاء في الأموال وأصحاب في الإسلام هذا حـديث صـحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي المستدرك عن أبي هريـرة رضي الله تعـالى عنه عن النبي صـلى الله عليه وسـلم قـال تخـرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المـؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان يجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ويقولون لهذا يا كافر.

وفي المستدرك عن أبي الزعراء قـال كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسـعود تفـترقون أيها النـاس لخروجه على ثلاث فـرق فرقة تتبعه وفرقة تلحق بـأرض آبائها بمنـابت الشـيح وفرقة تأخذ شط الفـرات يقـاتلهم ويقاتلونه حـتى يجتمع المؤمنون بقرى الشـام فيبعثـون إليهم طليعة فيهم فـارس على فـرس أشـقر وأبلق قـال فيقتتلـون فلا يرجع منهم بشر قـال سـلمة فحـدثني أبو صـادق عن ربيعة بن ناجذ أن عبد الله بن مسـعود قـال فـرس أشـقر قـال عبد الله ويزعم أهل الكتاب أن المسيح ينزل إليه قال سـمعته يـذكر عن أهل الكتـاب حـديثا غـير هـذا ثم يخـرج يـأجوج ومأجوج فيمرحون في الأرض فيفسـدون فيها ثم قـرأ عبد الله وهم من كل حدب ينسـلون قـال ثم يبعث الله عليهم دابة مثل هـــذا النغف فتلج في أســـماعهم ومنـــاخرهم

فيموتـون منها فتنتن الأرض منهم فيجـأر إلى الله فيرسل مــــاء يطهر الأرض منهم قـــــال ثم يبعث الله ريحا فيها زمهرير بـــاردة فلم تـــدع على وجه الأرض مؤمنا إلا كفته تلك الـريح قـال ثم تقـوم السـاعة على شـرار النـاس ثم يقـــوم الملك بالصـــور بين الســـماء والأرض فينفخ فيه والصــور قـــرن فلا يبقى خلق في الســماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك ثم يكون بين النفخـتين ما شـاء الله أن يكـــون فليس من بـــني آدم خلق إلا منه شـــيء قـــال فيرسل الله مـاء من تحت العـرش كمـني الرجـال فتنبت لحمــانهم وجثمــانهم من ذلك المــاء كما ينبت الأرض من الـثرى ثم قـرأ عبد الله والله الـذي أرسل الريـاح فتثـير سـحابا فسـقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كـذلك النشـور قـال ثم يقـوم ملك بالصـور بين السـماء والأرض فينفخ فيه فينطلق كل نفس إلى جســدها حـــتى يدخل فيه ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياما لــرب العــالمين قـال ثم يتمثل الله تعــالى إلى الخلق فيلقــاهم فليس أحد يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقـول من تعبـدون قـال فيقولـون نعبد عزيرا قال هل يسركم الماء فيقولون نعم إذ يـــريهم جهنم كهيئة السراب قـال ثم قـرأ عبد الله وعرضـنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبـدون فيقولـون المسـيح قـال فيقـول هل يسـركم المـاء قـال فيقولون نعم قال فـيريهم جهنم كهيئة السـراب ثم كـذلك لمن كـان يعبد من دون الله شـيئا قـال ثم قـرأ عبد الله وقفوهم إنهم مسـؤولون قـال ثم يتمثل الله تعـالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون فيقولون نعبد الله ولا نشـــرك به شـــيئا فينتهـــرهم مـــرتين أو ثلاثا فيقول من تعبدون فيقولـون نعبد الله ولا نشـرك به شـيئا قال فيقولون هل تعرفون ربكم قال فيقولون ســبحانه إذا اعترف لنا عرفنـاه قـالف فعند ذلك يكشف عن سـاق فلا يبقى مؤمن إلا خر لله ساجدا ويبقى المنـافقون ظهـورهم طبقا واحدا كأنما فيها السفافيد قال فيقولـون ربنا فيقـول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سـالمون قـال ثم يـأمر

بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمرا كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ثم مشيا ثم يكون آخرهم رجلا يتلبط على بطنه قال فيقول أي رب لماذا أبطأت بي فيقول لم أبطأ بك إنما أبطأ بك عملك قال ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل صلى الله عليه وسلم ثم إبراهيم خليل الله ثم موسى ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال ثم يقوم نبيكم رابعا لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه وهو المقام المحمود الذي ذكره الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة أو بيت في النار قال وهو يوم الحسرة قال فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ثم يقال لو عملتم قال فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت في النار فيقال لولا أن من الله عليكم قال ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله قال ثم يقول الله أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته قال ثم يقول أنا أرحم الراحمين قال ثم قرأ عبد الله ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين قال فعقد عبد الله بيده أربعا ثم قال هل ترون في هؤلاء من خير ما ينزل فيها أحد فيه خير فإذا أراد الله عز وجل أن لا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم قال فيجئ الرجل فينظر ولا يعرف أحدا فيناديه الرجل فيقول يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقول ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيقول عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي المستدرك أيضا عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال جلس إلى مروان ثلاثة نفر بالمدينة فسمعوه يحدث عن الآيات أولها خروج الدجال فقام النفر من عند مروان

فجلسوا إلى عبد الله بن عمـرو فحـدثوه بما قـال مـروان فقـال عبد الله لم يقل مـروان شـيئا سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقـول إن أول الآيـات خروجا طلـوع الشــمس من مغربها أو الدابة أيهما كــانت أولا فــالأخرى على أثرها قريبا ثم نشأ يحدث قال وذلك أن الشــمس إذا غربت أتت تحت العرش فسجدت واسـتأذنت في الرجـوع فلم يرد عليها شيء قال ثم تعود تستأذن في الرجوع فلم يــرد عليها شــيء قــال يا رب ما أبعد المشــرق من لي بالنــاس حــتى إذا كــان الليل أتت فاســتأذنت فقــال لها اطلعي من مكانك قـال وكـان عبد الله يقـرأ الكتب فقـرأ وذلك يــــوم لا ينفع إيمانها نفسا لم تكن آمنت من قبل أو كسـبت في إيمانها خـيرا هـذا حـديث صـحيح على شـرط الشيخين ولم يخرجاه.

([115]) روى الحـــاكم في المســـتدرك عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقـول فقد كفر بما أنـزل على محمد صــلى الله عليه وســلم هــذا حــديث صــحيح على شرطهما جميعا من حديث بن سيرين ولم يخرجاه وحـدث البخـــاري عن إســـحاق عن روح عن عــــوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة قصة موسى أنه آدر.

وهو في سـنن الـبيهقي الكـبرى بلفظ عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد.

ورواه الإمـــام أحمد بهـــذا اللفظ عنه وعن الحســـن، وإسحاق بن راهويه.

وفي مسـند أبي يعلى عبد الله أنه قـال من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا فسـأله فصـدقه بما يقـول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

وهـذا عن عبد الله بن مسـعود في الأوسط للطـبراني وغيره.

وهذا المعنى كثير في السنة.